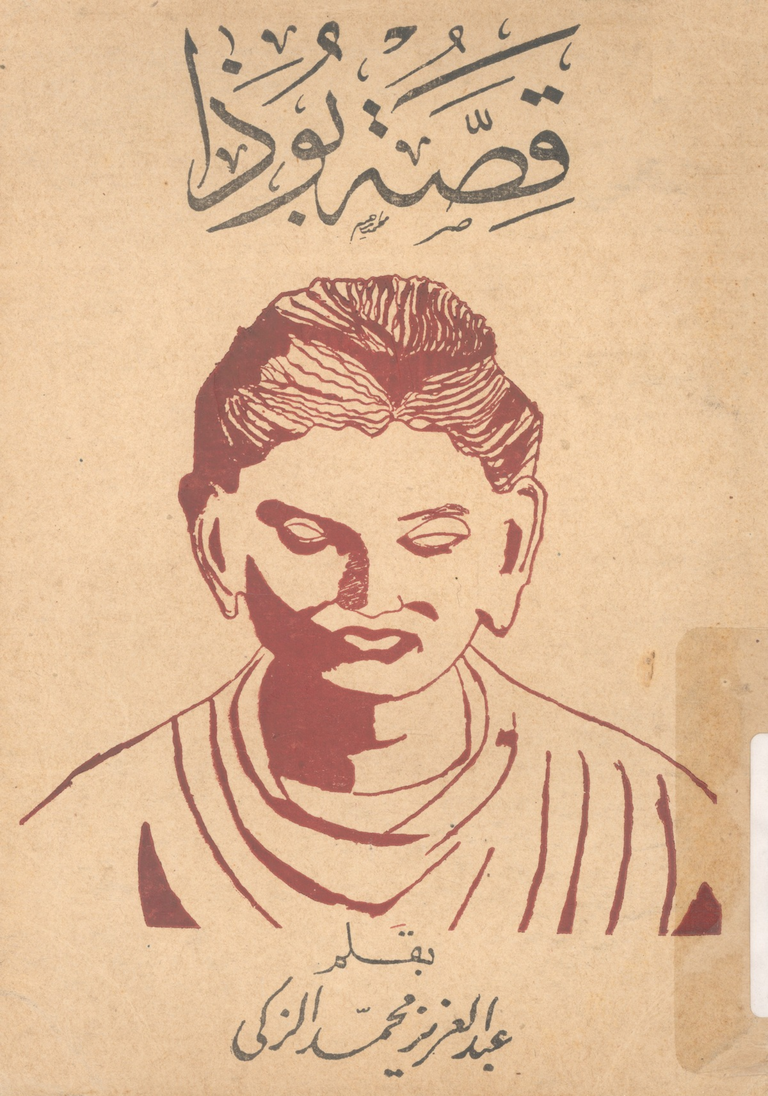
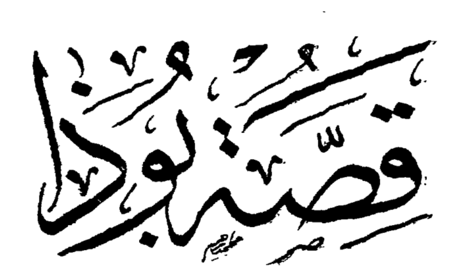

قصة بوذا
بقلم
عبد العزيز محمد الزكي



بقلم

عبد العزيز محمد الزكي

الناشر : مؤسسة المطبوعات الحديثة

تصدير

يعيب حياتنا الثقافية فى الوقت الحاضر أنها تهمل الثقافة الشرقية ، وأقصد بالثقافة الشرقية الثقافة الروحية التى نبعت من مصر وإيران والهند والصين ؛ بينما تتجه بكل قوانا الواعية الى الثقافة الغربية ، وتسير فى ركابها خشية أن تتخلف عن موكب الحضارة .

ويمكن أن نجد لنا عذرا فى القرن الماضى لأخذنا من الثقافة الغربية لإحياء حياتنا الفكرية التى أخمدها الاستعمار التركى ، ولكن بعد أن أخذنا من الغرب أكثر من قرن ونصف قرن يجب أن نعتمد على مقوماتنا العقلية فى نهضة حياتنا الفكرية ، وإننا يجب أن نتوقف عن الأخذ من الغرب ونبدأ فى خلق ما يعبر عن أعماق روحنا . فإذا كان لنا أن نأخذ العلم من الغرب فإن جميع الشعوب منذ الأزل تتعاون على تقدم العلم وتطوره وإن العلم ليس له وطن ، وليس الكشف عن أسرار الطبيعة يخص الشرق دون الغرب أو يهم الغرب دون الشرق ، وإنما يشترك الجميع فى البحث عن كنه كل ما يحيط الإنسان من حياة وظاهرات وكلها واحدة لا تتغير فى كل زمان ومكان .

وما ينطبق على العلم لا ينطبق على الفن ، فإن لكل وطن فنه الخاص الذى يتميز به لأنه يعبر عن خلجات روح هذا الوطن بالذات . فإذا كان لنا

أن نتذوق فنون مختلف الأمم ونطرب لها بما تبعثه فينا من مشاعر ، فإنه لا يحق لنا أن نقلدها لأن القوى الخالقة التى ابتدعتها تخالف قوانا الخالقة ، وإذا ما ألزمنا أنفسنا بمحاكاة فنون الغرب وآدابه فإننا لن نصل الى مرتبة الابتكار وسنظل أبد الآبدين مقلدين ، إلا اذا استوحينا روحنا الخالقة فإننا عندئذ يمكن أن نصل الى مرتبة الابتكار ولذلك يجب أن نحي قوانا الخالقة حتى نسير فى طريق الابتكار والابداع وأحسب أن غرس الثقافة الشرقية فى عقولنا يعتبر من العوامل الرئيسية لبعث قوانا الخالقة الخامدة .

ولكن ما لنا نهرع بعقولنا وقلوبنا نحو الغرب دون الشرق ....! وما لنا نتهافت على ثقافة الغرب ونهمل ثقافة الشرق ....! وما لنا نبحث عن مثلنا العليا فى الحضارة الغربية دون الحضارة الشرقية ...! وما لنا لا نمل استيراد كل ما يستحدثه الغرب من فنون وآداب وفلسفات ولا نلقى بالا الى ما يستحدثه الشرق ....! ما لنا نطمع فى أن نصل بمحاكاة الغرب الى ما وصل اليه من تقدم ورقى . ..! ولكن كيف نتطلع الى قوة الفكر وسلطان الثقافة ونحن عبيد الغرب نستجدى ثقافاته . ..! لم نمعن فى تشديد وثاق روحنا بأغلال الثقافة الغربية ونحــــول دون إطلاقها فى عالم الروح الرحيب الذى نشأت فيه منذ فجر التاريخ وتعودت الحياة بين جنباته بمرور الزمن ....!

إننا نأخذ من الغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر ، ولكن مازال فكرنا على ما هو عليه من تخلف وقصور . ألا يقنعنا ذلك بأن أخذنا

من الثقافة الغربية وبحا كانتها مهما طال لن يمكننا من خلق ثقافة أصيلة ، وأنه آن الأوان لكى نعمل على أن نتحرر من سيطرة الثقافة الغربية على حياتنا الفكرية كما تحررنا من السيطرة الغربية على حياتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية .. .

لا شك فى أن مسئولية مغالاتنا فى الأخذ من الثقافة الغربية يقع على عاتق كبار رجال الفكر فى العالم العربى الذين أتاحت لهم الفرص توجيه مستقبل الثقافة فى الوطن العربى خلال الأجيال الحديثة .

ويهمنا أن نذكر الآن رأيا قديما للدكتور طه حسين عرضه منذ حوالى ربع قرن فى مستهل كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » ويقوم هذا الرأى فى أن العقلية المصرية أقرب الى العقلية اليونانية منها الى العقلية الإيرانية أو العقلية الهندية أو العقلية الصينية ، مستدلا على ذلك بأنه كان هناك علاقات تجارية وثقافية بين مصر واليونان تبعد فى القدم قدم حضارة كل منهما ، كما يطلان على بحر واحد هو البحر الأبيض المتوسط ؛ بينما لم تقم إلا علاقات سطحية بين مصر والهند والصين ، ولما غزا الفرس مصر كره المصريون حكمهم ورحبوا بدخول الأسكندر المقدونى لمصر ليخلصهم من ظلم الفرس وجورهم . هذا فضلا عن أنه كان لتراث اليونان أثر واضح فى نهضة الحضارة الإسلامية ورقيها . وانتهى الدكتور طه حسين من كل ذلك الى أنه اذا كانت هناك علاقات جوار ومودة وتعاون ، وروابط تجارية ، وتبادل ثقافى بين مصر

واليونان من قديم الزمن ؛ وأن تراث الفكر الإغريقى استنهض همم العرب والمسلمين لتكوين حضارتهم فلا يوجد ما يمنع فى الوقت الحاضر من أن تتجه عقولنا نحو الغرب ونستعين بثقافاته فى بعث نهضتنا الفكرية ...

* * *

فكل الأسس التى اعتمد عليها الدكتور طه حسين فى تبرير ضرورة أخذنا من الغرب هو أن هناك روابط جغرافية وعلاقات تجارية وصلات ثقافية منذ القدم بين مصر واليونان ، وأنه كان للتراث الإغريقى أثر كبير على الحياة الثقافية فى الاسلام ؛ ولكنه لم يذكر اذا ما كان هناك تجانس فكرى بين العقلية الفرعونية والعقلية الإغريقية ، ولم يوضح لنا نوع أثر التراث اليونانى على العرب والمسلمين واذا كان من النوع الذى يبعث على طاقات خالقة أو من النوع الذى يحث على السير فى فلكه دون أن يأتى بجديد . . .

فلو تأملنا فى تاريخ الحضارة اليونانية نجد أن مقدماتها الأساسية تقوم على دعائم أرضية مادية تهتم بالأرض قبل السماء ، بل تسخر السماء من أجل الأرض ، تعطى للعقل كل السلطة للتصرف فى مختلف شئون الحياة ، ولاتكاد تعترف بالروح أو تقر بحدسها ، ولا تؤمن بقدرة الحياة الروحية على إسعاد البشر ، ولا تنظر الى الآلهة إلا خلال منظار الأرض فلا ترى فيهم أكثر من بشر وكل ما يمتازون به عن الإنسان أنه يجرى فيهم دماء تكسبهم

الخلود . وأن ما توصلت اليه الحضارة اليونانية من علوم كان الباعث عليها خدمة الإنسان وتهدف الى حفظ حياته على الأرض أو تهيئة المتعة والرفاهية والرخاء فى حياتنا الحاضرة ؛ وأن ما عرفته من فنون لا تعبر إلا عن الجمال المادى ولا تهتم إلا بالجمال الأرضى . كما كانت نزعات الأنانية وحب التملك والرغبة فى التوسع والسيطرة هى التى تحرك تاريخ الحضارة الإغريقية وتسير حياة اليونانيين .

بينما لو تأملنا تاريخ الحضارات الشرقية كالحضارة الفرعونية والحضارة الإيرانية والحضارة الهندية والحضارة الصينية نجد أن مقوماتها الأساسية تغاير مقومات الحضارة الإغريقية من جميع الوجوه ؛ لأن الحضارات الشرقية تهتم بالسماء قبل الأرض ، وتنشد الخلاص من الأرض فى سبيل الوصول الى السماء ، تعطى للروح كل السيطرة على شتى نواحى حياتها ، تؤمن بالأنبياء وتثق فى وحى السماء ، سخرت العلوم والفنون والآداب لخدمة السماء ، ولم تتورع عن أن تضحى بكل القيم الأرضية فى سبيل الحياة فى السماء .

فإذا ما أخذنا نبحث عن مقومات الحضارة الفرعونية (١) والبواعث التى حفزت قدماء المصريين على خلق مدنيتهم ، نجد أن إيمان المصرى القديم

---

١ ــ حول الفكر الاسلامى : فصل : إحياء مقوماتنا الروحية . للمؤلف تحت الطبع

بالبعث دعاه الى خلق كل ما عرف عن الفراعنة من علوم وفنون . فالرغبة فى بناء أماكن قوية متينة تصون الجسد من التلف حتى يمكن أن تعود اليه الروح من جديد ويضمن الإنسان الحياه فى العالم الثانى ، حفز المصريين على بناء الأهرامات وهى تحتاج الى معرفة دقيقة بالحساب والهندسة والفن المعارى فتقدمت هذه العلوم . وإمعان المصريين فى المحافظة على الجسد أداهم الى اختراع فن التحنيط وهو عملية لا يمكن أن يتقنها إلا من برع فى تركيب كثير من العقاقير ، وعرف موضع جميع أعضاء الجسم ووظيفة كل عضو منها ، فكان التحنيط مدعاة لتقدم علم الطب وفن الجراحة وصناعة الأدوية والعقاقير . ولقد أخذ الفراعنة حذرهم ، ولم يثقوا كل الثقة فى قدرة أهراماتهم فى صون أجسادهم ، وشكوا فى مهارتهم فى التحنيط وحسبوا حسابا لم قد يعترى الجسد من تلف فوضعوا فى المقابر تماثيل عديدة للميت حتى اذا ما انحل الجسد حلت الروح فى أحد هذه التماثيل ، فتقدم بذلك فن النحت . وما بنيت المعابد إلا للصلاة عن روح الميت طلبا للمغفرة ومساعدة لها فى رحلتها الشاقة الى العالم الآخر . وما زينت المقابر والمعابد بالنقوش الدينية إلا لتعين الروح فى توخى أيسر السبل فى رحلتها الى الحياة الثانية . فكانت عقيدة البعث هى الباعث الأول لوضع كثير من العلوم والفنون ، بل هى الدعامة الأساسية التى قامت عليها الحضارة الفرعونية . وعقيدة البعث عقيدة روحية أولا وقبل كل شىء تؤمن بحياة أخرى بعد الموت ، استولت على عقول قدماء المصريين وحثتهم على أن يهبوا حياتهم الدنيوية فى سبيل الاستعداد للحياة

الأخرى ، وعلى أن يسخروا مواهبهم فى المحافظة على الجسد حتى لا يعتريه الفساد فلا تجد الروح مستقرها فى العالم الآخر .

فالحضارة الفرعونية صدرت عن مقومات روحية ، ونمت وترعرعت فى أحضان مقومات روحية ، بخلاف الحضارة الإغريقية . فإذا كان هناك علاقات تجارية وثقافية وروابط جوار بين مصر واليونان فإن هناك كذلك تفاوتا كبيرا بين مقومات الحضاره الفرعونية والحضارة الإغريقية بعكس الحال مع الحضارة الإيرانية . فبالرغم من أن المصريين كرهوا حكم الفرس الظالم فلا يمكننا أن ننكر أن الحضارة الإيرانية اتخذت من تعاليم زرادشت الروحية موجها ومرشدا ، وهى تعاليم تقوم على أن هناك صراعا بين الخير والشر ، وأن هذا الصراع سيستمر حتى يقضى الخير على الشر ويعم الخير الحياة فى النهاية . ولقد سيطرت هذه التعاليم على حياة الإيرانيين الفكرية والاجتماعيه ، وأوحت اليهم بروائع الفن والأدب ، وحثتهم على العمل فى سبيل الخير بالسعى فى طلب التقدم لأن فى التقدم قضاء على الشر وانتشارا للخير ، فظهرت العلوم لتدعيم أسس الخير ، ونشأت الحضارة الإيرانية وتطورت بفضل الرغبة فى تحقيق الخير ومحاربة الشر .

ولا تختلف الحضارة الهندية عن الحضارة الفرعونية والحضارية الإيرانية من حيث أن مقوماتها الأساسية مقومات روحية بحتة . فإن ديانات الهند التى تعتقد فى كمون الخالق فى كل شىء فى الوجود ، وفى فضل مجاهدة اليوجا

فى تحقيق الطهارة الروحية ، وفى تعاليم بوذا وجانى التقشفية الأخلاقية ».
خلقت الحياة الهندية خلقا ، فهى وراء كل تطور وكل نهضة . فلقد ظهر في
غابات الهند وجبالها أوائل الزهاد والنساك ، وأبدع الهنود الكثير من
الفنون والعلوم من أجل خدمة التعاليم الفيدية والبرهمانية والجانية والبوذية
والهندوكية ، وهى ديانات كان لها دخل كبير فى (١) تنظيم شتى مظاهر الحياة
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .

أما عن الحضارة الصينية فمقوماتها كذلك مقومات روحية . فإن الشعب
الصينى قد آمن بقوة بالديانة الكنفشيوسية التى تنشد إقامة حكم صالح على
أساس أن تكون الأسره خلية المجتمع الأولى صالحة ، وأن تتحكم الأخلاق
الفاضلة فى حياة الأسرة وفى أساليب حكم البلاد حتى يمكن أن يعيش البشر
فى سعادة روحية حقة . فلا نعجب اذا كان للتعاليم الكنفشيوسية التى لا تكاد
تؤمن بإله وتثق فى القيم الأخلاقية الفاضلة كل الثقة هى التى وجهت سير
أحداث تاريخ الصين ، وألهمت الصينيين بمختلف الفنون والآداب والفلسفات
وحثتهم على وضع كثير من العلوم التى تفتخر بها الحضارة الصينية .

وهكذا قامت حضارات مصر وإيران والهند والصين على أسس روحية
وكانت التعاليم الروحية هى التى لها الفضل الأول فى نشأتها وتطورها وتقدمها

---

١ ــ حول الفكر الاسلامى : فصل : عقيدة تناسخ الأرواح . للمؤلف تحت الطبع

وذلك كله يبين أن هناك اتجاها عاما مشتركا بين مقومات الأمم الشرقية، وأن هذه المقومات المشتركة هي مقومات روحية ، وأنها هي التي تحفز على النهوض والخلق . وذلك يشهد على أن مصر أقرب بروحها الى إيران والهند والصين منها الى اليونان . فان لم يذكر التاريخ القديم أنه كان هناك علاقات تجارية واسعة أو تبادل ثقافي مستمر بين مصر والهند والصين ، وإن لم توجد روابط جوار بينها وبين مصر فلا يجب أن نغفل عن أن التاريخ لم يهمل فى أن ينبهنا الى أن الحضارات الشرقية جميعا قامت على نزعات روحية متشابهة متجانسة .

ويخبرنا التاريخ الاسلامي بأن الحضارة العربية قامت على تعاليم القرآن الروحية . فإن حب المسلمين فى المحافظة على سلامة القرآن حفزهم الى تدوينه وتدوين غيره من تراث العرب ، والى وضع أصول قواعد النحو العربي خوفا من اللحن ، والى تفسير القرآن والحديث فنشأت علوم التفسير والبلاغة والتاريخ . وما سنه القرآن من شرائع دفع الى وضع أصول علم الفقه ، ولما أخذت الحركات المناهضة للإسلام تشتد ظهر علم الكلام ليدافع عن معتقدات الإسلام . ولم يتقدم علم الحساب بين العرب إلا لأنهم احتاجوا اليه فى علم الفرائض الذى يحدد نسبة ميراث كل فرد حسب الشريعة الإسلامية . ولم يقبل المسلمون على دراسة الفلك فى أول الأمر إلا لمعرفة مواقيت الصلاة والصوم والحج . وكان الإسلام على الدوام يعاون على تقدم

العلوم التى تخدمه ، ولم يرتق من العلوم والفنون إلا ما كان له علاقة وثيقة بالإسلام والقرآن .

وهكذا نشأت الحضارة الإسلامية فى أحضان تعاليم روحية كذلك ، وكان يمكن أن ترتقى وتتقدم تحت رعاية نفس التعاليم الروحية ، ولكن لما أقبل المسلمون على ترجمة التراث اليونانى أغرقوا حياتهم الفكرية الناشئة بأفكار يونانية كان قد تم نضجها فاستطاعت أن تؤثر فيها تأثيرا كبيرا وتسيطر عليها فى آخر الأمر . ولا يمكننا أن ننكر فضل التراث اليونانى فى أنه عاون على صياغة ما توصل اليه العرب من علوم فى قالب على دقيق مما ساعد هذه العلوم على أن تسير بعض الخطوات السريعة الى الأمام . إلا أنه سرعان ما توقف تقدم هذه العلوم مما أدى بها فى النهاية الى نوع من الجمود العقيم الذى أعجزها عن التقدم والحركة .

إن المتتبع لتطور علوم النحو والبلاغة والفقه والكلام والفلسفة والتصوف (١) يدهش من كيف بدأت هذه العلوم بداية طيبة ، وكيف تعثر تطورها حتى تدهورت وما زال الفكر العربى فى عنفوانه . إذ تاهت فى ضخم الثقافة الإغريقية فضلت الطريق الذى يهديها الى الخلق والابتكار

---

١ — حول الفكر الاسلامى : فصل : جناية التراث اليونانى على الفكر العربى . للمؤلف تحت الطبع

بينما لو تركت هذه العلوم وشأنها تتطور تطورها الطبيعى لتمكنت ـ ولو بعد طول عناء ـ من أن تسير الى آخر مداها وتصل الى درجات رفيعة من الخلق والابداع . ولكن اندفاع العرب فى ترجمة التراث اليونانى وانكبابهم على دراسته والنقل عنه حتى سارت أفكاره فى دمائهم وعاشت آراؤه فى قلوبهم واستقرت مذاهبه فى عقولهم ، جعل كتاباتهم تردد نفس كتابات الاغريق فى أسلوب أو آخر ولكن لا تختلف عنها فى شىء ولا تخرج عن أنها محاولات للتوفيق بين تعاليم القرآن والأفكار اليونانية أو محاولات لمحاكاة تراث اليونان ، حتى أصبح الخروج من نطاقها يكاد يكون أمرا مستحيلا .....

ومن الغريب حقا أن كل مفكر إسلامى حاول أن يأتى بجديد ذهب صوته أدراج الرياح ، فإن محاولات عبد القاهر الجرجانى فى خلق مذهب جديد فى النقد تاهت بين الأفكار اليونانية وضاعت بين الآراء التى لم ترغب فى أن تتخلى عن محاكاة الفكر اليونانى . ولذلك لم تجد آراء الجرجانى الجديدة من يتعهدها من بعده . وإن ابن سينا نفسه أحس بأنه يعيش فى دوامة من النظريات اليونانية ، وشعر بما فى ذلك من نقص يعيب الحياة الفكرية فى الاسلام ومن خطر يهدد الثقافة العربية . فإذا به يعلن فى مقدمة كتاب « حكمة الإشراق » أنه يضع نظريات جديدة تتمشى مع الروح الشرقية ، ولكنه لم يستطع أن يأتى بجديد ، واستمرت كتاباته تسير على نهج اليونان تحاكى أفكارهم أو توفق بين نظرياتهم . وذلك لأنه انكب على دراسة

الثقافة اليونانية حتى ساوت فى دمائه وعاشت فى قلبه فاستولت على عقله ولم يستطع التحرر منها ، وبالتالى عجز عن الابتكار بالرغم من رغبته القوية فى أن يصنع فلسفة عربية إسلامية شرقية النزعات لا تسير فى ركاب الفلسفة اليونانية ؛ ولم يكن ذلك صعبا عليه ولكن سيطرة الثقافة اليونانية على الفكر الاسلامى عاقت كل نابغة عن الخلق وقيدت نشاطه وجمدت مواهبه وألزمته بأن يحوم حولها يردد ما تردد بالرغم منه .

وذلك يثبت أن تجربة الثقافة العربية فى الأخذ من التراث اليونانى فشلت فى تهيئة عقلية عربية تهيئة تبعثها على الخلق والابداع ، وذلك لسبب واضح بسيط هو أن مقومات الثقافة اليونانية المادية العقلية تختلف عن مقومات الثقافة العربية الروحية الحدسية ، ونظراً لأن الثقافة اليونانية كان قد تم تطورها وبلغت آخر درجاتها فى الرقى عندما وصلت الى العرب الذين كانوا فى بداية نشاطهم الثقافى ، فتمكنت الثقافة اليونانية بتفوقها أن تسيطر على الثقافة العربية الناشئة وتجبرها على السير فى ركابها ، ولما سارت وراءها سارت فى طريق يختلف كل الاختلاف عن طريقها الروحى الحدسى ، وحينما شعرت بخطئها وحاولت أن تتخلص من قيود الثقافة اليونانية كانت الفرصة قد ضاعت بعد أن تسمم جو الثقافة الاسلامية تسمما تاما بالأفكار اليونانية .

فلم يكن أثر التراث اليونانى على الفكر العربى فى صالح الثقافة العربية ولا يمكن أن نتخذ من تجربة العرب بتأثرهم بالتراث اليونانى مثالا يحتذى

أو نرى فيه القدوة الصالحة لأن هــــذه التجربة لم تصل بالعقلية الغربية الى مرتبة الخلق وإنما أوقفتها عند حد المحاكاة .

* * *

أحسب أن التاريخ يشهد ضد كل من يدعى أن العقلية المصرية أو العقلية العربية أقرب الى الغرب منها الى الشرق فإن مقومات الحضارة الفرعونية والحضارة العربية هى نفس مقومات الحضارة الشرقية التى تختلف اختلافا بينا عن الحضارة اليونانية ، وأن أثر التراث اليونانى فى الفكر الاسلامى لم يكن أثرا ناجحا بحيث نحب أن تتكرر مرة أخرى فى وقتنا الحاضر : لأنه كان من الأسباب الرئيسية فى شل العقلية العربية عن الخلق والابداع . ولذلك لا يجب أن نثق فى الثقافة الغربية الحاضرة أو نعتقد أنه يمكنها أن تساعد العرب على بعث نهضة ثقافية خالقة .

إننا نأخذ من الغرب منذ أن وطأت قدما نابليون أرض مصر ، ولكن ما زلنا نشعر بالقصور والتخلف فى ميدان الثقافة والفكر . ويرى الدكتور محمد مندور أن ذلك يرجع الى أن ما أخذناه من الغرب ما زال أقل من القليل ، وطالب العرب بأن يكثروا من الاطلاع على شتى الآداب الغربية وامتصاص مختلف اتجاهاتها حتى تسير فى دمائنا وتعيش فى نفوسنا وعقولنا وأن نحاكى ثقافات الغرب محاكاة مستنيرة ، وأن نتخذ من هذه المحاكاة سبيلا للخلق . ولكن تجربة الثقافة الاسلامية فى أخذها من التراث اليونانى

ما زالت ماثلة فى الأذهان ، وأن أخذنا من الغرب فى الوقت الحاضر لن يوصلنا الى مدى أبعد مما وصل اليه أسلافنا العرب فى العصور الاسلامية .

واذا أردنا أن نحاكى الغرب حقا يجب أن نحاكيه فى أصول منهجه الذى أدى به الى النبوغ . يجب أن نقلده فى الخلق ولا نقلده فى مخلوقاته . لا شك فى أن مقومات الثقافة اليونانية مقومات أصيلة انبعثت من أعماق الروح اليونانية نفسها ، مثلها فى ذلك مثل مقومات الثقافات الفرعونية والايرانية والهندية والصينية التى انبعثت من أعماق روح شعوبها . فلما سيطرت التعاليم المسيحية الروحية الحدسية الايمانية على الحياة الثقافية فى الغرب خلال القرون الوسطى أصابها الركود والجمود . ولما تنبه الغرب الى ركوده وجموده أخذ يبحث عن ثقافة غير الثقافة التى تستمد أصولها من تعاليم الديانة المسيحية الروحية أو تحاكيها ، فاتجه الى الثقافة الاسلامية على اعتبار أنها كانت ثقافة العصر الراقية ، فأدرك أنها تأخذ من الثقافة اليونانية فأخذ يبحث عن الثقافة اليونانية فى مصادرها الأولى . ولما توسع فى الاطلاع عليها أحس بأن هناك نوعا من التجاوب والمشاركة بين روحه وبين مقومات الثقافة اليونانية التى هى مقومات مادية بشرية عقلية ، فلم يتورع عن أن يدير وجهه عن الثقافة العربية ، ويبذل كل ما يستطيع من جهد لتحرير فكره من سيطرة التعاليم المسيحية الروحية الحدسية الايمانية . فإذا به يحطم سطوة الكنيسة الدينية على حياته العقلية ، ويطلق لفكره العنان ويترك

له مطلق الحرية فى توجيه حياته . فإذا به يشحذ مواهبه البشرية ويتخلى غير آسف عن القيم الروحية التى فرضتها عليه المسيحية عندما وجد أنها لا تتفق مع اتجاهاته المادية البشرية العقلية وتعوق تقدمه ، فانكب على التراث اليونانى لما أحس بأنه ينعش فكره ويحضه على الخلق والابداع . هذا هو الطريق الذى سار فيه الغرب حتى بلغ ما بلغ من رقى وتقدم ، وإننا اذا أردنا أن نصل الى ما وصل اليه يجب أن نسير فى نفس الطريق ....

واذا أردنا أن نسير فى طريق المجد حقا يجب أن نستفيد من تجاربنا فى الماضى البعيد والقريب وأن نجعل حياتنا الفكرية الحاضرة امتدادا لحياتنا الفكرية السابقة بتقوية النوازع الروحية فى النفوس . لأن الفترات التى ضعف فيها الوازع الروحى فى النفوس سواء فى العصور الفرعونية أو فى العصور العربية لم تتدهور الحياة الفكرية فحسب وإنما تعرضت فيها البلاد للتفكك والفتح ونهب الغزاة . وما سقطت مصر وبقية الدول العربية فى أيدى المستعمرين إلا بسبب خمول القوى الروحية وجمودها ، مما ساعد المستعمر على السيطرة على البلاد ثقافيا واقتصاديا وعسكريا . ولكن شدة وطأة الاستعمار نبه تلك القوى الروحية الخاملة فقام المصريون والعرب يقاومونه فى كل مكان ؛ فتسربت العواطف الروحية الى المشاعر الوطنية واختلطت بها اختلاطا أدى الى تفاعلها واندماجها اندماجا خلق منها طاقة حيوية نبهت المستعمر الى خطر مقومات العرب الروحية ، فأخذ يرميهم من

خين لآخر بالتعصب ليطفىء شعلة حماسهم الوطنى فى طلب الحرية والاستقلال ويظهرهم أمام العالمين بمظهر المتأخرين الرجعيين . ثم لوح لهم بثقافاته الغربية ليشغلهم عن إحياء مقوماتهم الروحية بالأخذ من الغرب ، ويغريهم بالجرى وراء مدنياته ليلهيهم بتحصيل ثقافاته عن العنـاية بروحهم ، ويوهمهم بأن رقيهم وتقدمهم هو فى محاكاة الغرب ، وأن ما يعانيه العرب من تأخر وضعف لا يرجع إلا لتعصبهم ورجعيتهم . وهدف المستعمر من وراء ذلك الى زهق الروح العربية لتنعدم مقاومة الأمة العربية لاستعماره ، أو لتخف حدتها على الأقل وترتاح نوعا ما الى المستعمر ، فلا ترى غضاضة فى أن تعتبر ثقافاته هى المثل الأعلى الذى يجب أن تحتذيه ، فلا تثور على حكمه أو تستهين بقدرة الغرب على مساعدة العرب فى نهضتهم الثقافية ، ويشعر فى النهاية أنه بدون عون الغرب ومحاكاة ثقافاته لن يحقق تلك النهضة التى ينشدها . فأقبل الكثير منا على ثقافة الغـرب ، و مع ذلك ما زلنـا نعانى جمودا فكريا يكاد يزهق روحنا ، وما زلنا نشكو من تخلفنا الثقافى ، وأخذ الشعور بالنقص يتسرب الى نفوسنا شيئا فشيئا يلهب عواطفنا ويخزيها ، ويغمر عقولنا بهـــواجس تدفعنا دفعا أعمى وراء حضارة الغرب ظنا بأنه كلما زاد محصـول ما نأخذه من الغرب ارتفع مستوى إنسانيتنا ورقينا ، ونستطيع بما أخذناه أن نخلق شيئا بل أشياء . وإذا ما عجزنا عن الخلق بعد ذلك لا نتـورع عن أن نتهم أنفسنا بالتقصير فى الأخذ من الغرب ، فنبالغ فى محاكاة ثقـافاته مبالغة رذيلة . ولا نتنبه الى أن الحياة فى جو تيارات الثقافة الغربية لا يلائم طبيعة

ميولنا الفكرية ويصرفها للجمع والتحصيل ؛ لأن الثقافة الغربية لا تملك إلا أن تثقف عقولنا وتزودها بمعارف متنوعة تجعل منها مكتبات حية متنقلة لا تملك لنفسها نفعا أو ضرا . لأن الثقافة الغربية لا تقدر أن ترعى عقولنا أو تنميها حتى تنضج فتستفيد وتفيد وتخلق وتبتكر . فلم نعاند ونكابر ونتمادى فى الأخذ من ثقافة مقوماتها غريبة عن روحنا ، فضلا عن أن هذا الأخذ لن يأتى بالثمرة المرجوة . ولذلك يجب أن نمعن النظر فى تاريخنا البعيد والقريب لنتعلم من تجارب أسلافنا ونسترشد بخبراتهم الثقافية فى بعث نهضتنا الفكرية . لقد قال التاريخ كلمته وشهد بأن العقلية العربية لا تنتج نتاجا فذا فريدا فى نوعه إلا اذا محت وجودها فى أفكار روحية ، ولا تستنبط أو تخلق عن يسر وبساطة إلا اذا استوحت روحها الأصيلة .

واذا أردنا أن نستوحى روحنا يجب أن نوقظ هذه الروح بعد طول سباتها العميق . وما دامت أسس مقومات هذه الروح هى نفس مقومات الروح الشرقية ، فأحسب إننا لو اتجهنا بعقولنا نحو الشرق ، وأتحنا لها من الفرص ما يجعلها تعيش فى الأفكار الشرقية فقد يساعد ذلك على أن تفوق روحنا من غفوتها وتتنبه الى أصول مقوماتها وتسير فى طريق المجد . وأحسب إنه اذا أخذنا فى الاطلاع على الثقافات الشرقية لا شك فى أن نفوسنا سترتاح اليها كل الارتياح ، وتتجاوب معها تجاوبا تاما وتألفها بسرعة عجيبة وتندمج فيها بكل كيانها وتشاركها مشاركة عميقة مدركة أنها نتاج فكر

ليس غريبا عنها وتشعر بأنه منها وهى منه .

ولقد كان أول من استجاب الى المشاعر الشرقية هو الرئيس جمال عبد الناصر مع أنه رجل ثورة وسياسة وليس برجل ثقافة وفكر . لقد تعودنا أن يكون رجال الفكر هم أول من يعبر عن روح الشعب ويطالب بتدعيم مقوماته وتنقية اتجاهاته ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر سبق بتفكيره السياسى جميع رجال الفكر فى العالم العربى . ولا عجب فى ذلك فإن الرئيس جمال عبد الناصر هو رمز الأمة العربية ، ولقد أثبتت سياسته أنه يعبر تعبيرا صادقا قويا عن مقومات العرب وآمالهم الروحية . لقد حرر مصر من المستعمر الغاصب ويحارب الاستعمار فى كل ركن من أركان الدول العربية وفى افريقية وفى آسيا ، بينما لم يستطع رجال الفكر الى الآن تحرير العقول من غزو الثقافة الغربية . بل إن الرئيس جمال عبد الناصر لا يمل من تكرار القول بأن الأفكار التى يجب أن تسود منطقة الشرق الأوسط يجب أولا وقبل كل شىء أن تنبعث من نفس المنطقة ولا تصدر اليها من الخارج وكذلك نحن ننادى مع رئيسنا بأن الآراء التى يجب أن تسود حياتنا الفكرية يجب أن تنبعث من أعماق قلوبنا وأغوار روحنا ولا تصدر الينا من الخارج . لقد آمن الرئيس جمال عبد الناصر بأهمية التعاون مع الشعوب الشرقية فى خلق حضارة شرقية تقف فى وجه الحضارة الغربية ، فإذا به يتجه نحو أندونيسيا والهند والصين ، ويلعب دورا رئيسيا فى دعم مؤتمر باندونج الذى نادى بالحياد الإيجابى والتعايش السلمى وحق تقرير المصير وهى مبادىء

إنسانية روحية تحترم الأخلاق الفاضلة . ولقد نجح الرئيس جمال عبد الناصر نجاحا كبيرا فى تعاونه مع الشعوب الإفريقية والآسيوية وفى توطيد دعائم هذه المبادىء الانسانية الروحية فى الحياة العالمية بحثه على عقد مؤتمرات من حين لآخر تنبه الأذهان للقضايا الإنسانية التى يدافع عنها ، حتى أصبحت دول العالم أجمع تنظر الى هذه القضايا بعين الاعتبار ، مما يدل على أن معالم روحنا الشرقية إبتدأت تتضح فى المضمار السياسى وتلفت الأنظار الى أهمية المقـــومات الروحية فى تحقيق مجتمع إنسانى يتمتع بالسلام والاستقرار والطمأنينة . ولقد كان من الواجب أن يتزعم رجال الفكر فى العالم العربى هذه الحركة ويمهدوا طرق تنفيذها لرجال السياسة .

لقد صادق الرئيس جمال عبد الناصر جميع قادة الشرق فى آسيا وفى إفريقية ذلك لأنه يعتقد أن مثل هذه الصداقة تعتبر من أهم الوسائل الطيبة التى توثق علاقات الأمم الشرقية ببعضها بعضا ، وتعمل على تعاونها فى الرقى والتقدم فى شتى ميادين الإصلاح . ولكن لا نكاد نعرف أن هناك صداقات قوية بين رجال الفكر فى العالم العربى ورجال الفكر فى الدول الشرقية بالرغم من أهميتها فى توطيد الروابط الثقافية بين العرب والشرق . ومع ذلك نعرف أن هناك صداقات وصداقات بين رجال الفكر عندنا وبين رجال الفكر عند الغرب . ولا أكون مجانبا للصواب اذا زعمت أن رجال الفكر فى الغرب هم الذين سعوا سعيا وراء هذه الصداقات لأنهم يعلمون عظم أثرها

فى توطيد دعائم الثقافة الغربية بين العرب فلا نعجب اذا لم يوجد فى العالم العربى أساتذة جامعيون تخصصوا فى اللغات الشرقية من سنسكريتية وبالية وصينية مع أننا نعرف أن هناك عشرات الأساتذة الذين تخصصوا فى اللغة اليونانية القديمة واللغة اللاتينية . ولا نكاد نعرف أن هناك أستاذا تخصص فى ناحية من نواحى الفكر الشرقى القديم أو الوسيط أو حتى الحديث ، ولكن نعرف كثيرا من أساتذة كليات الآداب قد تخصصوا فى مختلف فروع الثقافة الغربية من قديمة ووسيطة وحديثة . فلا نلوم طلبة كليات الآداب إذا عرفوا الكثير عن « سقراط » و « أفلاطون » و « وأرسطو » ، ولا يعرفون شيئا عن «زرادشت» و «مانى» أو عن «بوذا» و « جانى» أو عن « كنفشيوس » و « لوتشيوس » ، ويدروسون « الإلياذه » و « الأوديسه » بينما يجهلون «المهبا راتا» و «الرامايانا » ؛ ويمتحنون فى أدب «أرستوفان» و « سوفكليس» و «إربيد » و « فرجيل » . ولا يسألون عن آداب « لوبو » و « داوتشين » و « دوفو » .

وأحسب أن كل ذلك يرجع إلى عدم عناية الجامعة باعداد جيل من المتخصصين فى شتى الثقافات الشرقية ، لأن المشرفين عليها ما زالوا إلى الآن يقدسون صنم الثقافة الغربية ويجدون فيها الغذاء الفكرى الكامل الذى يكفل تنمية عقل الطالب دون حاجة إلى ثقافات الشرق . مع أن تراث الفكر الشرقى تراث وفير وعميق يتناول شتى فروع الثقافة الانسانيه ، ولا يبزه تراث الفكر اليونانى فى شىء . هذا فضلا عن تنشئة الطلبة العرب على

الثقافات الشرقية فيه إيقاظ لمواهبنا الروحية الخـامدة . وتدعيم لنزعاتنا الانسانية الراكدة ؛ وإن حياة فكرنا فى كنفها يبعث على الثقة والاطمئنان، فنشعر بأننـا نعيش فى أحضان ثقافات صدرت عن نبع عذب تكلف به نفوسنا وأنبعث من معين حلو تألفه روحنا ، يوحى بشىء من العزة الفكرية والكرامة العقلية ، فنؤمن بقدرتنا على الخلق والإبتكار . ومتى وثقنا فى عقولنا وآمنا بعبقريتنا ، فإننا سننتج فى ميدان الثقافة ما يبهر الشرق والغرب على السواء ، ونتخلص من ذلك الشعور الأليم بالنقص الذى يلقى فينـا بانفعالات مريرة توهمنا بأننا أقل فطنة وقدرة من الغرب ، فلا نستسلم لثقافاته ولا نشعر بعجزنا عن النتاج الأصيل .

لا ريب فى أن نشر الثقـافات الشرقية من إيرانية وهندية وصينية فى ربوع الوطن العربى فيه إحياء لعقولنا الخاملة التى استعذبت المحاكاة، وبعث لعبقريتنا التى طال أمد جمودها ومتى نشطت العقول واشتعل بريق العبقرية . فلن نحتاج لثقافة شرقية أو ثقافة غربية فى تربية فكرنا ، وسنسير فى الطريق الذى يدفع بنا إلى وضع ثقافة أصيلة تنم عن طبيعتنا وتلائم اتجاهاتنا تعطى أكثر مما تأخذ . فإن كنا نعيب على كليات الآداب عدم عنايتها بتدريس الثقافات الشرقية ، فلإننا ـ فى الحقيقة ـ نرى أن تزويد طلبتها بهذه الثقـافات يحقق صحوة العقل العربى الشرقى الميول . ولذلك لا يجب أن يقف تدريس تراث الشرق لطلبة كليات الآداب دون بقية أفراد الأمة العربية ، ولا يوجد ما يمنع تدريسها كذلك فى المدارس الثانوية والاعدادية بالمقدار الذى يلائم

مستوى كل مدرسة . ذلك لأننا فى وقت نبذل كل ما نستطيع جهد لتوطيد صداقتنا بالشعوب الآسيوية الإفريقية وهى شعوب شرقية؛ ولكن كيف يمكن أن نقيم هذه الصداقة إذا كان الشعب العربى يجهل الشيء الكثير عن تاريخ تطور هذه الأمم فضلا عن جهله بثقافاتها ... ! ؟

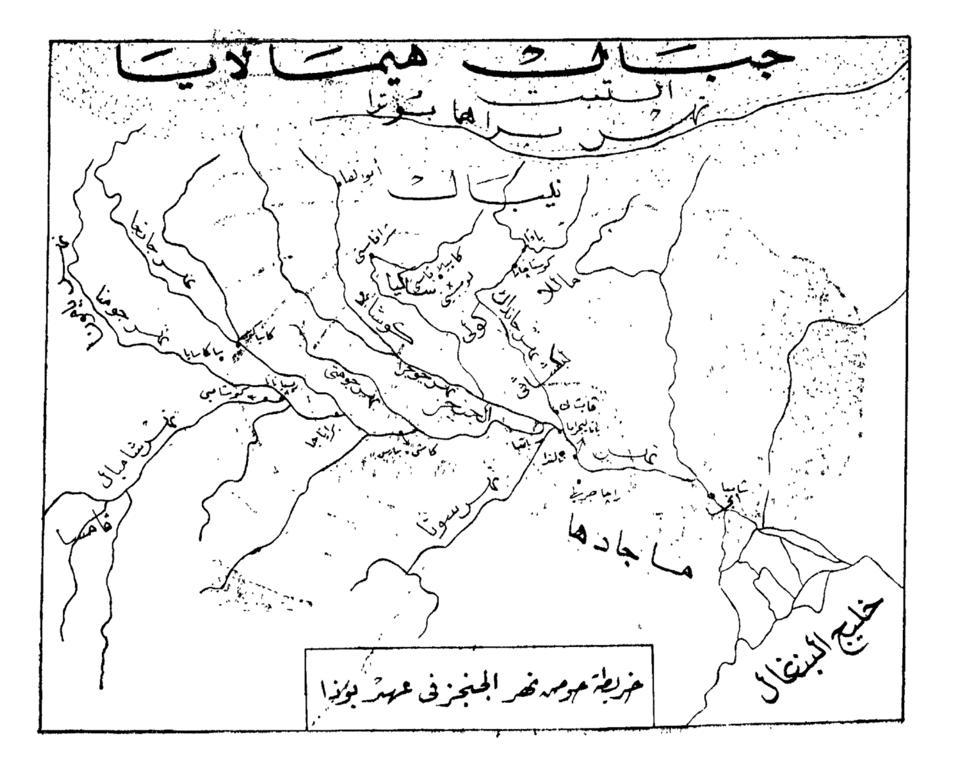
لقد سبقنا الغرب فى التوفر على دراسة الفكر الشرقى دراسة مستفيضة لاحيائى الفكر الشرقى ؛ ويرجع إليه الفضل الأول والأخير فى كشف النقاب عن كل ما كان يحيط التراث الشرقى من غموض وظلام لاعن رغبته فى الأخذ منه ، وإنما طمعا فى أن يفهم نفسية الشعوب الشرقية فيما يساعده على إطالة أجل استعماره لهذه الشعوب على أساس من المعرفة والعلم . ولكننا نحن العرب لانهتم حتى أن نقيم صداقتنا للشعوب الشرقية على أساس من المعرفة والعلم ، ونكتفى بأن نقيم هذه الصداقة على تقارب أهدافنا فى محاربة الاستعمار أو على تشابه آمالنا فى خلق حضارة شرقية . ولكن كيف يمكن أن نطهر الشرق من المستعمرين ... وكيف نؤسس حضارة شرقية ... إذا كانت أغلبية الشعوب تجهل ثقافات بعضها بعضا ... ؟ لذلك يجب أن تضاعف الجهود حتى تنتشر الثقافات الشرقيه بين أفراد الأمة العربية ، إذا أردنا أن نقيم صداقتنا مع الشعوب الشرقية على أساس وطيد لا ينفصم . لأن المعرفة تولد الألفة ، والألفة تعين القادة على رسم السياسة التى تصهر الشعوب فى وحدة تخلق منها قوة تعمل على صون النزعات الروحية ونشرها فى ربوع العالم .

وكتاب « قصة بوذا » ما هو إلا محاولة متواضعة لنشر تراث الثقافة الشرقية فى الوطن العربى . وكم كنت أتمنى أن تكون دراساتى الجامعية قد أتاحت لى فرصة الإلمام باللغات الهندية على الخصوص اللغة السنسكريتية واللغة البالية لتكون عدتى فى كتابة « قصة بوذا » . ولكن أرجو فى المستقبل القريب أن تظهر كتب فى الفكر الشرقى يعتمد كاتبوها على المصادر الأولى فى لغاتها الأصيلة وليس على ترجمات فى لغات غربية .

ع . الزكى



(بوذا فى شبابه)



خريطة حوض نهر الجنج في عهد بوذا

مقدمة

إن سرد قصة حياة بوذا ليس بالأمر الهين ، فهى حياة وقعت احداثها فى عهد يبعد فى القدم إلى القرن السادس قبل الميلاد . وهو عهد مازال غامضا على المؤرخين ، ولم يحـــدد معالمه الباحثون بعد ، ومهما بلغت دقة الباحث فلن يخلو بحثه فى حياة بوذا من التعرض إلى الأساطير والخرافات ، مما دعا بعض المشتغلين بالبوذية إلى اعتبار بوذا شخصية اسطورية خرافية خلقتها العقلية الهندية كما خلقت غيرها من الشخصات الخرافية ، وأحاطتها بالمعجزات والكرامات .

إن الأساطير التى وصلتنا عن بوذا لا تبدأ منذ ولادته ، وانما تتعرض له قبل أن يولد ، وتستغرض شتى مراحل حياته ومماته وبعد مماته ، فتاه الباحثون فيها ، ووجدوا صعوبة كبرى فى تعرف حياة بوذا الصادقة الحقيقية مما أدى إلى انكار وجوده كفرد حقيقى ، واعتبروه مثل كريشنا أحد أبطال ملحمة المهاباراتا ، ثم أله بعد ذلك نظرا لسمو أخلاقه ، وسعية الدائم لنشر الخير ، أو مثل راما بطل ملحمة الرامايانا ، وهو أحد هؤلاء الأبطال الذين ضحوا بكل شيء فى سبيل الشرف والكرامة والعزة ونصرة الحق ونشر الخير فأله الهنود . ورأى بعض المفكرين أن بوذا لايخرج عن أن يكون بطلا أسطوريا مثل كريشنا وراما ثم أله بعد ذلك مثلهما تماما ، اذ ينقصنا الدليل القاطع على وجوده خصوصا وأن يوم ميلاده لم يعرف بالضبط ، وإذا ماعرفنا أن السير المعتمدة التى تناولت حياته كانت تحفظ فى الصدور ، ثم

دونت بعد وفاته بقرون بعد أن إضيفت إليها اضافات متنوعة فى الشرق الأقصى ، فهناك سير كتبت فى الهند ، وأخرى فى سيلان ، وثالثة فى الصين وغيرها من بلاد الشرق الأقصى كالتبت ، وقد دونت هذه السير فى وقت تعددت فيه المذاهب البوذية حتى بلغت العشرات ، وتوخى كل من حاول تاريخ حياة بوذا أن يعرضها فى صورة تؤيد دعائم مذهبه فأحيطت حياة بوذا بالمعجزات والكرامات حتى تجذب الأنصار .

فكل هذه العوامل تجعل من تناول حياة بوذا أمراً شاقا ولذلك حينما حاول المشتغلون بالفكر البوذى من أمثال : ريز دفيدز وزوجته ، وصامويل بيل ، ومارکس مولر ، وفوسيل ، وأدوارد توماس وغيرهم عرض حياة بوذا عرضوها فى صورة تكاد تكون مجردة من الأساطير ، وجعلوا من بوذا شخصية إنسانية لا شخصية الهية ، ولذلك لا أجد نفسى مجانبا الصواب إذا ماسرت على منوال علماء الفكر البوذى فى تناول قصة حياه بوذا . فلقد اطلعت على ترجمات كثيرة من الكتب التى كتبها الهنود وأهل سيــــلان والصينيون ، وعلى كثير من التراجم التى كتبها الباحثون الغربيون عن حياة بوذا ، فتوصلت إلى فكرة عامة عن حياة بوذا جمعتها من مختلف هذه الكتب مستوحيا تعاليمه ، محاولا أن أعرض حياته عرضا يبين كيف أدت تطوراته النفسية الى تكوين عقيدته مستعينا ببعض الأساطير التى كان لها أثرا كبيرا فى نشر البوذية ، ولها دخلا عظيما فى تعلق البوذيين بتعاليم بوذا .

واذا كانت هناك صعوبات فى عرض قصة حياة بوذا بدقة وصدق ،

— ٥ —

فلا شك فى أن هناك شبه استحالة فى عرض تعاليم بوذا غير مختلطة بتعاليم أتباعه ، لأن بوذا لم يترك كتبا خاصة به ، ودونت تعاليمه بعد وفاته فى فترات متفاوتة حدث فيها كثير من الإضافات والبدع كادت تغير معالم العقيدة البوذية التى وضعها بوذا نفسه ، الا أننى توخيت فى هذا الكتاب تناول تعاليم بوذا ونظمه ما أمكن مع اغفال ذكر كل ما يشك فى أنه نسب إليه ولم يكن من بين تعاليمه الأصيلة . ولكن لا أحسب أن فى قدرة أى باحث فى الفكر البوذى فى وقتنا الحاضر أن يحدد تعاليم بوذا تحديدا وافيا ثابتا لا ريب فيه ، ولكن عندما يتقدم البحث فى أفكار بوذا قد يتمكن الباحثون من تمييز تعاليم بوذا من تعاليم أتباعه تمييزا قاطعا .

الأسكندرية

يناير ١٩٥٩

عبد العزيز محمد الزكى

الفصل الأول

مولد جوتاما ونشأته

فى القرن السادس قبل الميلاد كان الغزاة الآريون قد استقروا من زمن فى شمال الهند ، واختلطوا بسكانها الأصليين ، وكونوا القرى والمـــدن ، واشتغلوا بالزراعة والرعى . وكانوا يعيشون فى قبائل تخضع لحاكم يهتم بصالحه الشخصى قبل أن يهتم بصالح شعبه .

وكان ينظم حياة الهنود نظام الطوائف الذى يقسم الهنود إلى طوائف أربع رئيسية ، على رأسها طائفة البراهمة التى تتكون من رجال الدين ، الذين كان لهم نفوذ دينى يسمح لهم بالسيطرة على الحياة العامة . ويليها طائفة الكشاتريا التى تتكون من رجال الجيش الذين يحاربون الأعداء ، ويحفظون الأمن فى داخل البلاد ، فأتاحت لهم القوة الحربية فرص الاستيلاء على الحكم . أما طائفة الفيسيا فيشتغل أفرادها بالتجارة والزراعة ، والصناعة ، بينما يقوم أفراد طائفة السودرا بأعمال الخدم .

وكان الحكام وأفراد الشعب يحترمون رجال الدين من البراهمة ، ذلك لأنهم كانوا يقومون بأداء الشعائر الدينية التى لا يجيد أداءها غيرهم ، ويرتلون الأناشيد الفيدية التى لا يعرف طرق ترتيلها سواهم ، ويفسرون الكتب الدينية من فيدا وبرهماناس ويوبانيشاد التى لا يعرف أسرارها غيرهم . فضلا عن أنهم يدعون أنهم يعرفون أثر النجوم والكواكب على حياة الأفراد ، وتفسير

الأحلام ، وقراءة الطوالع ، ويوحون للهنود بأن لهم دراية تامة بشتى الوسائل التى تبعد الشر ، وتجلب الخير خصوصا وأن بلاد الهند عرضة للزوابع والفيضانات والقحط ، وغاباتها مليئة بالحيوانات المفترسة ، فتفنن البراهمة فى عمل الرقى والتعاويذ التى تحمى الهنود من خطر تقلبات الطبيعة والحيوانات المتوحشة .

ومما ساعد على تقوية نفوذ البراهمة إيمان الجميع بعقيدة التناسخ التى تزعم بأن روح الميت تولد فى جسم جديد من إنسان أو حيوان أو نبات حسب أفعاله السابقة ، وأن من يهرب من سلسلة الولادات المتتالية يستقر مقامه فى النفس الكبرى التى تتجلى فى شتى موجودات الكون من انسان وحيوان ونبات وجماد ويعيش فى سعادة مطلقة لا تعرف الموت والولادة وآلام الحياة . وخيل للناس أن فى قدرة البراهمة إنقاذهم من توالى الموت والحياة . ولذلك كان لكهنة البراهمة سيطرة روحية عظيمة مكنتهم من استغلال الحكام والشعب الهندى ، فاغتنوا ، واقتنوا القصور والضياع ، وعاشوا فى كنفه عشرات الزوجات ، ولم يعرف الا القليل منهم حياة الزهد .

ومع ذلك فلقد كان هناك عدد كبير من الهنود من مختلف الطوائف قد هجروا بيوتهم ، وسكنوا الكهوف والمغارات ، وتجولوا فى الغابات ، يعذبون أنفسهم بأقسى أنواع الرياضات الجسمية والمجاهدات النفسية ليقضوا على نزعات الحس التى تجرى وراء رغبات الشهوة ، وقبلوا أن يقطعوا كل صلة تربطهم بالحياة ليفوزوا بالحياة فى النفس الكبرى حيث السعادة الحقة التى لا [illegible] آلام أو أحزان ، ويصير الله والانسان حقيقة واحدة .

وفى هذا الجو نشأت أسرة جوتاما الكشارترية المحاربة من قبيلة ساكيا في بلاد نيبال ، وحكمت ولاية (كابيلاڤاستى) التى تقع على أحد ضفتى نهر روهينى الذى ينبع من جبال الهمالايا ، ويقع شمال مدينة بنارس الحالية . ويحد ولاية كابيلاڤاستى اتحاد ليشافيس القوى ومملكة ماجادها الفتية شرقا . ويحدها أراضى البراهمة المقدسة وولاية كوشالا التى تعادى مملكة ماجادها غربا . وكان التنافس بين ولاية كوشالا ومملكة ماجادها سببا فى صيانة استقلال ولاية كابيلا فاستى ، مع أن قوتها الحربية لا تقوى على حفظ استقلال البلاد ، وإن كانت تقوى على صد هجمات القبائل الجبلية ، وإخضاع العشائر الثائرة التى تخرج عن طاعتها .

وكان سكان كابيلا فاستى يشتغلون بالزراعة على مياه نهر روهينى أو يرعون الأغنام والماشية على المراعى الجبلية . وأحيانا كان ينشأ نزاع بين قبيلة ساكيا وقبيلة كولى التى تعيش على الضفة الأخرى من نهر روهينى بسبب مياه هذا النهر . إلا أن هذا النزاع كان سرعان ما ينتهى بالصلح نظرا لما يقوم بين القبيلتين من أواصر القرابة والمصاهرة .

وفى فترة من الفترات التى كان يسود فيها الوئام بين القبيلتين تزوج زعيم ساكيا سودهودانا ابنتى زعيم كولى إلا أنهما لم ينجبا أطفالا مما أحزن قلب سودهودانا ، خصوصا وأن هذه القبائل تعتقد أن حالة الإنسان فى حياته التالية بعد الموت ، تتوقف على الشعائر التى يقيمها له من يخلفه فى الزعامة ، وأن أبر فرد للزعيم هو الابن .

ولكن حدث أن أتته زوجه مايا الأخت الكبرى فى ذات يوم ، وهى فى

سن الخامسة والأربعين ، وأخبرته بأنها بعد أن صامت سبعة أيام حلمت حلما غريبا ، وهو أن الملائكة صعدت بها فى أعنان السماء ، وأن فيــلا أبيض اللون ، متناسق التكوين ، بديع المنظر ، رأسه تلمع كالزمرد ، وأنيابه ذهبية ، ومسلح بأسلحة ست دخل رحمها من جانبها الأيمن . فاستدعى سودهودانا الكهنة والعرافين ، وطلب منهم تفسير هذا الحلم ، فأخبروه بأن زوجته ستلد له ولدا سيكون له شأن عظيم ، لأن الكتب المقدسة تذكر أن الرجل العظيم يتسرب إلى رحم أمه فى شكل فيل يتصف بمثل هذه الصفات .

ولم تمض أيام حتى حملت مايا . ويذكر أن هـذا الجنين كان يرى فى رحم أمه جالسا جلسة القرفصاء أثناء أشهر الحمل . وفى الشهر الأخير من الحمل طلبت مايا من زوجها أن تسافر إلى أهلها لتضع المولود عندهم كما هى العادة فى ذلك الوقت . فأعد لها زوجها شتى سبل الراحة حتى لا يسبب لها السفر المتاعب ، كما أعد لها والدها قصرا خاصا لتلد فيه وهى فى راحة تامة .

ولكن أتاها المخاض وهى فى الطريق ، فاضطرت إلى أن تضع رحالها تحت شجرة سال فى بستان لومبينى . وأثناء الوضع انحنت الشجرة لتظلها ، وأتت الملائكة لمساعدتها . وعندما وضعت خطا الوليد إلى الأمام سبع خطوات ، وصاح قائلا « إننى سيد الكون ، إن هذه الحياة آخر حياة لى » وظهرت اثنتان وثلاثون علامة فى السماء والأرض ، منها انتشار النور فى فى كل مكان ، واستعادة الأعمى البصر ، والأصم السمع ، والأبكم النطق ، واستقامة الأشرار وسعادة عامة الناس . وبعد الولادة عادت الأم وابنها إلى قصر زوجها .

وفى اليوم الخامس بعد الولادة أقام سودهودانا حفلا كبيرا اجتمع فيه البراهمة والعرافون وقراء الطوالع والمنجمون والمتطلعون على أسرار العلامات وقرروا جميعا بأن سيكون لهذا الطفل شأن عظيم ، لأن به سبع علامات مقدسة ، تدل على أنه إما سيكون حا كما من أقوى حكام العالم تدين له كل الدنيا أو زاهدا من أعظم الزهاد قاطبة يبشر بتعاليم جديدة تنقذ البشرية من الآلام وذلك بعد أن يشاهد كهلا ومريضا وميتا وزاهدا ، ثم يهجر قصر أبيه ، ويعيش عيشة الزهاد .

فابن الحاكم إما يصبح ملكا مرهوب الجانب واسع السلطان ، وإما يصبح زاهدا قوى الروح تنتشر تعاليمه الجديدة فى كل مكان . ولا يوجد المــع من هذين المستقبلين فى ذلك الوقت ؛ فان الحاكم القوى هو المثل الأعلى لطائفة الكشاتريا التى تنتسب إليها أسرة جوتاما ، وإن الزاهد المستنير مكانته أرفع من مكانة البراهمة أنفسهم سواء ظهر من بين طائفة البراهمة أو حتى من بين طائفة السودرا ، لأن الشخص الذى ينجح فى الإفلات من براثن الحياة ، وينجى بنفسه من الشهوات والرغبات ، ويرضى بتعذيب الجسد والنفس فى سبيل الطهاره الروحية ؛ لاشك فى أنه شخص ممتـــاز يستحق التقدير والإحترام دون النظر إلى أصل طائفته . فإن لم يكن ابن الحاكم من طائفة البراهمة إلا أنه يمكنه أن يكون أحد هؤلاء العظماء الذين يمكنهم تحطيم قيود الحياه ، ويصبحون من بين زعماء الروح . فهل خدع الكهنة وقراء الطوالع سود هودانا بهذا التنبؤ !؟ ولكن الأحداث صدقت التنبؤ الأخير ، فهل تكشف لهم الغيب حقا !؟ وهل نفذت بصيرتهم إلى أسرار المستقبل أم

وضعت قصة هذا التنبؤ بعد أن تم لبوذا سيطرته الروحية ، وأخذ أعوانه بعد موته يحيكون مثل هذه القصص ليضيفوا على حياته هالة من المعجزات والكرامات !؟

إن الذين تعرضوا لكتابة حياة بوذا سردوا كثيرا من المعجزات والخوارق وخلطوا الواقع بالخيال حتى يصعب على الباحثين تمييز الحق من الباطل . ولكن لايجب أن تهمل هذه القصص عند تأريخنا لحياة بوذا لمجرد أنهـا تخالف سنن الحياة وتعارض مألوف الطبيعة ، وأن غرضنامن ذكرها أن نعرف حياة بوذا كما يعرفها البوذيون أنفسهم ، هـذا فضلا عن أنه لايوجد دين يخلو من معجزات وخوارق سواء أكانت حقيقية أو مختلقة ، إذ لا يستقيم دين إذا لم يحط نبيه بهالة من الألوهية بأن ينسب إليه كرامات عجيبـة تـدعم دعوته ، خصوصا فى العصور القديمـة التى كان للخرافة فيها تأثير كبير على العقول .

ولم يمض يومان على هذا الحفل الكبير الذى اجتمع فيه الكهنة والمنجمون ، حتى وافت الملكة مايا المنية ، وتركت ابنها الوليد فى المهد ، وهو لم يتجاوز أسبوعا واحـدا من العمر ، وليس فى موتها أى غرابة لأنه لايجوز لها أن تلد مولوداً آخر بعد هذا الابن المقدس . ولقد كفلته خالته زوجة أبيه الثانية التى لم تنجب أطفالا ، وتولته بالرعاية والحنان ، وشملته بالعطف والحب ، وخصصت له مرضعة رحيمة .

أما عن الاسم الذى وضع للوليد الجديد فلا يكاد يعرف بالضبط إذا

ما وضعت عند ولادته أو بعد موته . فلقد لقب باسم (سدهارثا) أى الشخص الذى حقق عرضه ، وباسم (ساكياسيها) أى أسد قبيلة ساكيا ، وباسم (ساكيا مونى) أى حكيم قبيلة ساكيا ، وباسم (سودجاثا) أى الشخص السعيد وباسم (دساتها) أى المعلم ، وباسم (جينا) أى المنتصر ، وباسم (ها جاتا) أى المبارك . وباسم (لوكاناتا) أى سيد العالم ، وباسم (سارفجنا) أى العالم بكل شيء ، وباسم (دهارماراجا) أى ملك الحق ، ولقب بأسماء أخرى كثيرة تصف عادة أخلاقه وفضائله وقدراته الروحية ، إلا أن جمهرة الباحثين الذين يؤرخون حياة بوذا يفضلون تلقيبه باسم اسرته (جوتاما) .

ولا نكاد نعرف شيئا عن طفولة جوتاما بعد وفاة والدته ، إلا حادثة عجيبة ماذكرت إلا لتبين إحدى المعجزات التى تنسب إلى بوذا . إن من عادة الأهالى على رأسهم الحاكم الاحتفال بعيد الحرث عند بداية موسم الزراعة . واصطحب سودهودانا طفله معه ليحضر هذا الحفل ، وأرقده على وسادة تحت ظل شجرة . ولكن حدث أن انصرف الجميع إلى الحفل فرحين مسرورين ، ونسوا الطفل مدة طويلة ، فلوحظ أن الطفل أجلس نفسه جلسة القرفصاء على الوسادة مما حير الجميع ، وزاد فى دهشتهم أن ظل الشجرة لم يتحول عن الطفل ، بل ظلت الشجرة تستظله وتحميه من وهج الشمس مع أن ظل جميع الشجر قد تحول تحوله الطبيعى .

أما عن صبي جوتاما فيكاد الرواة يغفلون هذه الحقبة من حياته على أهميتها القصوى فى فهم شخصيته فهما حقيقيا صادقا ، إذ أن نوع التربية التى

تلقاها فى صباه تلعب دورا هاما فى تحديد مقومات شخصيته ، وأن نوع الثقافة التى تزود بها تعيننا على إدراك دواعى ميله للعزلة . كما أن دراسة تطورات حياته النفسية فى فترة المراهقة تضع أيدينا على العوامل التى أدت إلى نظرته الحالكة الكئيبة إلى الحياة وإلى رغبته القوية فى الكشف عن حقيقة خالدة بعيدا عن غمار المجتمعات . إلا أن هناك أحد[1] الرواة المتأخرين لم يبخل علينا بذكر بعض أحداث صباه ، وإن كانت لا تخلو من غموض ومغالاة ، إلا أنها لم تترك هذه الفترة من حياة بوذا مجهولة لنا تمام الجهل ، وتمدنا بوقائع تفسر لنا بعض المميزات النفسية التى هيأت جوتاما لهجرة أهله ، والإندماج فى سلك الزهاد والنساك .

لقد نشأ جوتاما فى بيت من أعرق بيوت الكشاتريا ، وكان أبوه عريض الثراء ، ويتولى حكم البلاد ، هذا فضلا عن أنه كان وحيد أبيه ، وليس له منافس فى وراثة أبيه ، وتولى الحكم من بعده . فلا نعجب إذا أمعن والده فى تدليله ورعايته ، وأحاطه بشتى وسائل الراحة والترفية ، خصوصا وهو يرسخ تحت ثقل أفكار غرسها مفسرى العلامات وقراء الطوالع فى عقله ، ولذلك كان يخاف على الدوام من أن وريثه قد تجبره الأحداث إلى أن يهجر قصر أبيه ، مضحيا بالحكم فى سبيل أن يصير زاهدا . ولذلك حاول الأب ومازال وحيده فى نعومة اظفاره أن يكفل له الحياة الناعمة الهادئة البهجة السارة حتى لا يخطر له فى يوم من الأيام أن يخرج من بيته ولا يعود إليه .

---

1) Teh Life of Buddha : By Asvaghosha Bodhisattva .

ولكن لا ننسى أن أمه ماتت وهو مازال فى المهد صبيا ابن سبعة أيام ، فنشأ يتيم الأم ، وإن حدثنا الرواة عن حنان خالته زوجة أبيه الثانية ، وكيف أنها اتخذت منه ولدا ، وولته عنايتها ، ومنحته قلبها ، لأنه لم يكن لها من النسل ما تمنحه العناية والعطف والحنان والحب . إلا أن فقد الأم لا يغنى عنه بديلا مهما كان هذا البديل ، وأن أثر حرمان جوتاما من أعز مخلوق عليه لا أحسب أنه مر دون أن يحرك كوامن نفسه الرقيقة الحساسة . ولعل هذا اليتم هو الذى غرس أول بذرة تشاؤمية فى نفس جوتاما ، أخذت تنبت شيئا فشيئا حتى نمت وترعرعت مع الأيام ، وقوت جذورها مآسى الحياة .

ولما بلغ جوتاما الثامنة عهد به والده لأعظم معلمى مملكته ليزوده بثقافة عصره حتى يشب مستنيرا عالما بكل مايحيط به ، فيحسن الحكم عندما يتولاه . وبدأ المعلم يلقنه أصول القراءة والكتابة ، وما أن أتقنها حتى أخذ يقرأ شعر الملاحم ، والأناشيد الدينية ، وحكم النساك إلى أن حفظ كثيراً منها على ظهر قلب . وبعد ذلك أخذ يدرس أعمال سكان السواحل والجبال والغابات ، إلا أن الثقافة النظرية لا تكفى لتكوين عقلية الحاكم ، فتوفر جوتاما على دراسة العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك ، ولقد اظهر على الدوام سرعة فهم لكل ما يلقى عليه من دروس ، وقدرة فائقة على استيعابها واستظهارها حتى فرح به أبوه فرحا كبيرا . وما أن قوى عوده ، واشتد ساعده حتى كانت الحدائق الملكية ميدانا للتدريب على ركوب الخيل ، وقيادة العجلات حتى مهر فيهما مهارة فائقة . وكثيرا ما كان يقضى أوقات فراغه فى صيد الغزلان ووفى التسابق بالخيل ، ولكنه غالبا ما كان يطلق

سراح ما يصطاده من غزلان ، ويتوقف فى منتصف السباق عندما يجد جواده قد فقد أنفاسه ، وأضناه الجرى ، ذلك لأن نفسه المرهفة لا ترضى لأحـــد أن يتألم ، ولا ترتاح الى التسلى بتعذيب الحيوان ، واللهو بإيذاء الغزلان والخيل .

وعاش جوتاما فى صباه عيشة خاليـة من تلك الآلام التى يقاسيها من يوجد خارج قصور الحـكام . وكان قرة عين أبيه ، يوفر له حياة النعيم والرفاهية على الدوام . فأمضى جوتاما شبابه فى مرح طاهر ولهو برىء لا يعكر صفو حياته شيئا من الأشياء . ولكن يروى أن حادثا أنزل بنفسه الكآبة مما أحزن أباه ، فخاف أن يؤدى به إلى ذلك المستقبل الذى تنبأ به العرافون والمنجمون ، ويلخص هذا الحادث فى أنه حصل ذات يوم من أيام الربيع أن كان سرب من البجع طائرا فوق الحديقة الملكية ، ومسافرا إلى موطنه الأصلى نحـو الشمال حيث جبال الهمالايا الشاهقة . فإذا بأحـد رفاقه من الأمراء يصوب سهمه نحو إحداها ، فأصابها فى جناحها ، وسقطت ملطخة بالدم بالقرب من جوتاما . وما كاد يراها تئن من الجرح حتى أسرع إليها وامسكها ، وأخذ يربت عليها بعد أن نزع السهم من جناحها ، ثم ضمد جراحها . ولما عجز عن تسكين آلام الطائر حزن حزنا عميقا ، مما دعا والده إلى أن يهتم بعلاج هذه البجعة ، ولما شفيت أخلى جوتاما سبيلها وتركها تلحق بذويها. وأراد والده أن يزيل أثر هـــذا الحادث من نفسه ، ويعيد إليه بهجته ومرحه . وكان قد أتى عيد الحرث عيد الربيع ، فطلب من جوتاما أن يخرج إلى الحقول ، ويشـــاهد خضرتها ، والثمار الناضرة ، والأزهار

اليانعة ، ويسمع تغريد الطيور ، ويتمتع بمباهج الطبيعة الجميلة الخلابة . ولكن جوتاما لم ير وجه الحياة الباسم فى الربيع ، ولم يلحظ ما فى الطبيعة من جمال ، وإنما رأى وجهها العابس وصورها الحزينة ، رأى أن تلك الحقول لم تخضر ، وأن تلك الثمار لم تنضج ، وأن تلك الأزهار لم تتفتح إلا بكد الفلاح المرهق لبدنه الذى لم يبذله إلا سعيا وراء القوت ، وأن الحقول و لأثمار والأزهار لا تتمتع بما تتمتع به من جمال إلا بعد أن ترهق الماشية إرهاقا شاقا فى وهج الشمس ، ويستغلها الفلاح إستغلالا بشعا من أجل منفعته ؛ وأن الطيور التى تغرد تعيش على إلتقاط الديدان التى تعيش بدورها على كائنات حية أخرى ، وأن جميع المخلوقات الحية من كبيرها إلى صغيرها يعيش على الفتك بغيرها ، ولا يوجد إنسان أو حيوان أو حشرة يمكن أن يعيش دون أن ترهق حياة كائن ما .

فبدلا من أن تسرى أفراح عيد الربيع عن جوتاما ، وتبعث فى نفسه البهجة والسرور ساقته سوقا الى التأمل فى مآسى الحياة ، وبدلا من أن يشارك الجميع فى فرحهم ولهوهم إذا به ينزوى فى مكان هادىء بعيدا عن الصخب سارحا فى عالم من الأفكار لا يرتبط بصلة بما يدور حوله من مرح وحبور . ولقد انزعج سودهودانا لحالة ابنه أشد الانزعاج ، وفكر تفكيرا جديا فى الوسائل التى تدخل السرور فى قلبه ، وتبعد عنه تلك الهواجس التى تدفعه إلى الإنعزال ، وتسوقه إلى ذلك المصير الذى تنبأ به به المنجمون ، وسودهودانا لا يرضى لوحيده أن يعيش هائما على وجه فى أحراش الغابات ، وبين شعب الجبال ، فعمد إلى تيسير كل سبل الترفيه

التى كثيرا ما كان يلجأ إليها الحكام عندما يستولى على أحد أبنائهم ضربا من الغم والكرب والكآبة يحثه على قطع صلاته بكل ما يتصل بالناس. وكثيرا ما كانت تنجح سبل الترفيه فى إزالة كل مايعكر صفو ابن الحاكم الحزين، وتحببه فى الحياة وفى الإندماج فيها. ولكن هـــذه السبل لم تنفع مع جوتاما، بل زادته نفورا من الحياة، وإمعانا فى العزلة والتأمل. لقد شيد سودهودانا ثلاثة قصور ليقضى فى كل منها فصل من فصول السنة التى ينقسم إليها مناخ الهند فكان قصر فصل البرودة مصنوعا من قطع الأشجار، مربعة الشكل، مغطاة بطبقة من أخشاب الأرز ليكون دافئا، أما قصر فصل الحرارة فكان مبنيا من الرخام المرمر المعرج ليكون رطبا، وشيد قصر فصل الأمطار من الآجر الأزرق ليلهو فيه وقت الحصاد، وكانت هذه القصور تحاط بحدائق فسيحة غناء مورقه يانعة على الدوام، تنساب مجارى الأنهار بين جنباتها الزاهرة. إلا أن الحيـاة المترفة الحلوة الناعمة لم تنزع الحزن العميق من جوتاما، فاضطر سودهودانا على عادته إلى أن يطلب العون من العرافين والمنجمين وقراء الطوالع، وفحص جوتاما من جديد لعلهم يجدون ما يطمئن قلبه، أو يعثرون على علامات تكذب تنبؤهم القديم، ولكنهم أكدوا له أن المصير المحتوم لا بد بالغه إذا رأى على التوالى كهلا فريضا فميتا فزاهدا. فوطد سودهودانا العزم على أن لا يرى ابنه أحدا من هؤلاء الأشخاص على الإطلاق، ويشغله بحياة زوجية، ويحيطه بمثات الحسان حتى يحب الحياة، وينجى من تلك النهاية التى لا يرضاها له بحال من الأحوال لأنه يطمع فى أن يكون جوتاما خليفته فى الحكم.

ولقد بذل سودهودانا كل ما يستطيع من جهد ليدخل السرور فى قلب ابنه الحائر، وأتبع كل طريق يبعد عن ذهنه تلك الأفكار المضطربة

النافرة من الحياة، ولـكن ذهبت جهوده أدراج الرياح ، وظل جوتاما على ماهو عليه من ميل للوحدة ، وشغف بالتأمل الذاهل ، لايشعر بما يحيطه من جمال ، ولاينشرح صدره لم فى الحياة من بهجة . فجمع سودهودانا وزراءه ، وطلب منهم المشورة بصدد أطوار ابنه الغريبة، فنصحوه بأن يتخذ من الحب علاجا لشفاء الشاب المراهق . فعزم الآب على أن يتيح لجوتاما من المناسبات ما تحيطه بأجمل الفتيات حتى يقع فى غرام يلهيه عن كل شيء ، ويفتح قلبه لـكل شيء فى الوجود من متعة وفتنة ، فأمر الملك بإقامة حفل كبير دعا إليه أفتن العذارى ، ووعدهن بأفخر الهدايا عند حضورهن ، فتوافدت أجمل الفتيات على القصر فى أبهى زينتهن ، يلبسن أبدع الثياب ، وأثمن الحلى . ولـكن لما مررن أمام جوتاما ليقدمن له التحية ، ويوزع عليهن الهدايا لم تنل واحدة منهن إعجابه ، ولم يجد بينهن من هزت أوتار قلبه ، حتى بدا عليه السأم والملل . ولـكن أقبلت فجأة فتاة رائعة الجمال ، وما أن وقع نظر جوتاما عليها حتى فتن بجمالها الخلاب افتانا ، واشتعلت نيران الهيام فى جوارحه ، ووقع فى حبها من أول نظرة . ولما تقدمت إليه حيته بابتسامة حلوة رائعة، وطلبت منه هديتها ، فارتبك جوتاما خجلا ، ورد عليها آسفا بأنه قد وزع جميع الهدايا قبل مجيئها ، فقالت هازلة إنها لا تستحق هذا العقاب ، وإنها لم تأت إنما حتى لا تنال الهدية التى وعدت بها ، فزاد إرتباك جوتاما ، ورد عليها متلعثما بأنه ليس فى الأمر إثم

وعقوبة ، وإنما هى أتت متأخرة بعد أن وزعت جميع الهدايا . ثم خلع قلادة من حول رقبته ، وألبسها إياها ، ثم أمر باحضار هدايا ثمينة أخرى وهبها جميعا لهذه السيدة الرائعة الجمال . لم يغفل رجال الحاشية عن نظرات جوتاما الولهانة إلى يزودهارا إبنة ملك كولى ، وأدركوا أنها لا تخلو من إعجاب وهيام ، وتسمعوا إلى همسات حديثهما . فأدركوا أن اهتمام جوتاما الكبير بيزودهارا أنه ولع بجمالها الفاتن ، واستمرأ حديثها الساحر ، فأسروا بقصة النظرات والحديث إلى سودهودانا فسر سرورا عظيما ، ووجد فى يزودهارا المنقذ الوحيد لإبنه من هاوية الزهد ، ورأى أن حياته بجوارها قد تحثه على الإقبال على الحياة بما فيها من متع ولذات ، فيشفى من تلك الانفعالات العابسة التى تلون أفكاره بألوان قاتمة . فأرسل أحد رجال الدين إلى والدها ليطلب يدها لإبنه ، ولكن لم يكن جوتاما أول من رغب فى الزواج منها ، وإن هناك كثيرا من الأمراء رغبوا فى الفوز بها . وكان من عادة هؤلاء القوم فى ذلك الوقت أن يجرى بين الراغبين فى الزواج مباراة يتنافسون فيها فى شتى الفنون الحربية والرياضية والثقافية والدينية ، فمن يتفوق على الجميع يفوز بالعروس ، لأنه أثبت أنه جدير بها . وأخبر والد يزودهارا الكاهن بأن جوتاما شاب مترف مدلل يعيش عيشة ناعمة ، وأنه لا يصلح لإبنته زوجا ، وأن التقاليد تحتم على الزوج أن يكون فارسا مقداما بارعا فى الفنون العسكرية ، مبرزا فى الألعاب الرياضية ، كما أن هناك كثيرا من الأمراء تقدموا لخطبة يزودهارا ، ولابد أن تقام مباراة بينهم من ينتصر فيها يفوز بها . فعاد الكاهن إلى سودهودانا ، وأخبره بما سمعه

من ملك كولى ، فحزن حزنا عميقا ، وخاف أن يفشل إبنه فى التغلب على أقرانه فى تلك المباراة ولا يحصل على من عشقها فؤاده فتتوغل الكآبة فى قلب العاشق ، وتعميه عن كل ما فى الدنيا من رونق وبهاء .

ولكن لما وصل أمر هذه المباراة إلى سمع جوتاما ابتسم ابتسامة التحدى ووطد العزم على أن يخوضها ، وينتصر على كل من يتقدم لمنافسته . وأقام حاكم كولى حفلا كبيرا أشبه بذلك الذى وصفته ملحمة المهاباراتا والذى أقامه والد دروبادى حينما تكاثر الراغبون فى الزواج منها ، وفاز بها أرجونا بعد أن تفوق على كل من تصدى له فى المباراة . ولقد تجمع حشد كبير من الناس فى الحفل الذى أقامه والد يزودهارا من سادة ساكيا وسادة كولى ، وقصده كثير من سكان المدن والقرى المجاورة ، ليشاهدوا تلك المباراة . وذهبت العروس إلى الحفل وسط أهلها يحف بها الموسيقيون يصدحون بأشجى الألحان ، ثم أخذ يقبل الأمراء المتنافسون تباعا ، وأخيرا أتى جوتاما راكبا جواده المحبوب كانتاكا . ولقد كان الحفل مهيبا أرهب جوتاما ، ولكن ما أن رأى يزودهارا حتى ذهبت عن نفسه تلك الرهبة ، واعتلى وجهه ابتسامة مشرقة مصمما على الفوز بمن استولت على مجامع قلبه .

وحين بدأت المباراة فاق جوتاما إخوانه ببراعته فى استخدام السيف والقوس والسهم والهراوة . وأبدى قدرة فائقة على كبح جماح أكثر الخيول هياجا ، وترويضها على الركوب ، وأظهر

مهارة فائقة فى قيادة العربات الحربية وركوب الفيلة الضخمة ، كما تقدم الصفوف فى الألعاب الرياضية التى خاضها ، ففاز فى السباحة والجرى بقصب السبق ، وقهر كل من وقف أمامه فى حلبة المصارعة والملاكمة ، وبذ الجميع فى دقة إصابة الهدف بالنبهم ، كما كان أبعدهم مرمى وأقدرهم على حمل وشد أثقل الأقواس وأصلبها. ولم يتفوق جوتاما على منافسيه فى الفنون العسكرية والألعاب الرياضية فقط ، إنما تفوق عليهم كذلك فى فنون الشعر والرسم والموسيقى والرقص ، وفى العلوم الدينية ، وفى السحر وفى تفسير الأحلام ، فحق لجوتاما أن ينال يزودهارا ، لأن براعته العسكرية وتفوقه الرياضى ، وتقدمة العلمى والثقافى تلزم حاكم كولى أن يزوج يزودهارا لجوتاما بعد أن أثبت إمتيازه فى كل مضمار ، وأقنع الجميع بأنه يستحق العروس عن جدارة .

بعد ذلك أخذ الجميع يستعدون لحفل الزواج ، فاقيمت الشعائر الدينية الخاصة بالزواج فى يوم اختلف الرواة فى تحديد تاريخه ولكن جميع ماذكروه من تواريخ يبين إما أن الزواج تم قبل أن يتم جوتاما السادسة عشر أو بعد أن تعدى التاسعة عشر من من عمره . وما أن تمت طقوس الزواج ومراسيمه العديدة حتى أقامت يزودهارا مع زوجها فى أحد قصوره الثلاثة ، بعد أن سبقتها إليه آلاف الحسان ليقمن برعاية جوتاما تحت إشراف يزودهارا ، وكان بينهن المغنيات ذات الأصوات الساحرة ، والعازفات البارعات

فى عزف أعذب الألحان ، وكان بينهن أيضا من يتوفرن على خدمته يسرعن فى تلبية طلباته ، ويحققن رغباته ، وكانت الحسان تملأ جنبات القصر حتى لايخطو خطوة ولاتقع عينيه على غادة ساحرة فاتنة . وأشيع أنه اتخذ منهن محظيات وزوجات وإن ظلت يزودهارا الزوجة الأولى المتربعة على عرش قلبه . وظل جوتاما يعيش فى قصوره عيشة كلها متعة ونعومة يرشف من شهد الحياة مالذ وطاب ، ويرتع فى أحضان الحسان مايربو عن عشر سنوات ، وقصد والده من وراء ذلك أن يغرقه فى حياة الملذات الحسية حتى تظل عواطفه حبيسة الهيام .

ولكن لما أشبع جوتاما شهواته إشباعا تاما ، وأرضى جميع نزواته ولبى نداء كل رغبة ، جاء وقت لم تعد فيه شهوته تشتهى متعة ، ولم تجد نزواته لذة لم تعب فيها عبا ، فتوقفت رغباته عن طلب المتع ، وأخذ يتضاءل إقباله عليها ، وبدأ يمل حياة القصور ، وعاد إلى حالته قبل الزواج ، وفقد الشعور بالمرح والسرور ولم يعد يحفل بما يحيطه من جمال وفتنة وبهجة ، إذا به لايطيق عيشته اللاهية الصاخبة ، وإذا بالنزعات القاتمة تسيطر على تفكيره من جديد ، وأحس بنفور من الحسان ، واشمأز من الملذات . وكان يتولاه الحزن والغم من حين لآخر ، وينزع للوحدة والتأمل والوجوم ، وكانت هذه النكسة من البوادر التى جعلت سودهودانا يحس بأن ميعاد إنصراف إبنه عن حياة القصور قريب مما دعاه إلى تشديد المراقبة عليه ، وإبعاد كل ما يبعث على الألم والحزن من طريقه ، وأصدر

الأوامر المشددة بإقصاء أى كهل أو مريض أو ميت أو ناسك قبل أن يسير جوتاما فى أى طريق ، وزيادة فى الحرص طلب من الحراس إزالة الحيوانات النافقة ، والطيور الميتة ، والأزهار الذابلة من الحدائق الملكية فى الصباح المبكر قبل أن يستيقظ جوتاما حتى لا تقع عيناه عليها أو يرى المرض والشيخوخة والموت ممثلا فيها ، فيزهد الحياة ، ويعتزل ويطلب حياة النساك ليتخلص من آلام الحياة ، ويتحرر من أحزانها .

الفصل الثانى

هجرة القصر

يكاد يصمت الرواة عن تجريات حياة جوتاما بعد زواجه، ولقد اشارت بعض الروايات إشارات عابرة إلى إنصراف جوتاما إلى المتع الجسدية واللذات الحسية، مما دعا إلى تهامس أهل ساكيا بأن جوتاما لم يعد له عمل غير الانغماس فى الملذات، وأنه كاد يفقد مهارته الحربية وقدراته الرياضية. ولكن مغالاته فى طلب المتع جعله يسأم حياة الترف الخاملة، ومما زاد من ضيق جوتاما وحزنه أن يزودهارا ظلت ما يقرب من عشر سنوات لم تنجب نسلا يسر به قلبه، ويشغل بعض وقته، فبدت عليه ضروب من الحيرة والارتباك والحزن والوجوم، وتولته رغبة أكيدة فى الخلاص من حياته الرتيبة التافهة، فعاد إلى حياة العزلة غارقا فى التأمل الشارد والتفكير الذاهل.

فلما علم سودهو دانا بما ألم بوريث ملكه، فكر فى أن يطلق سراح جوتاما من سجن القصور، ويسمح له بخوض المجتمع الرحب، وطلب منه أن يخرج إلى شوارع المدينة ليرى كيف يعيش رعايا والده، ويفهم ما يدور بينهم من معاملات، ويمضى بعض الوقت متنزها فى الحدائق. ولكن قبل أن يخرج جوتاما إلى الطرقات أصدر سودهودانا أوامراً مشددة

بأن يقصى من سبيل جوتاما كل ما يعكر صفوه ، وخصوصا العجزة والمرضى والموتى والنساك حتى لاتقع عيناه إلا على كل ما يبعث على السرور .

وما أن سمع سكان المدن وأهل القرى بأن ولى العهد سيسير فى الطرقات راكبا عربته حتى عم الفرح بين الجميع ؛ وأقبل الأهالى على تمهيد الشوارع وتزيين الطرقات ، ولبسوا أحسن الملابس . ولما رأى جوتاما البشر يعلو الوجوه إنشرح صدره لحب مواطنيه له ، وسر لسرورهم ، ولم يتجول طويلا فى أنحاء المدينة حتى إذا به يرى منظرا لم يره من قبل ، رأى رجلا محطم الجسم هزيلا ضعيفا لايقوى على السير ، يتكىء على عصا ، متآكل الأسنان مجعد الجبين ، على رأسه شعيرات بيضاء ، فذهل جوتاما لمنظره المؤلم ، وسأل سائق عربته تشانا ' « من هذا الرجل الذى تقوس ظهره ، وكاد يفقد بصره ، ويستعين بعصاه على السير ؟ هل أذبلت الحرارة قوة جسده أم ولد على هذه الصورة ؟ » فتردد تشانا فى الإجابة ، ولما ألح عليه جوتاما فى السؤال أخبره بأنه لم يولد على هذه الصورة ، وإنما بدل العمر هيئته ، وأصاب الزمان قواه بالضعف والهزال ، وفقد لذة الحياة ، ويعيش على الدوام فى أسى وحزن ، لأنه أصبح كهلا عجوزا وشيخا مسنا بعد أن كان فى يوم من الأيام طفل رضيع تربى على صدر أمه الحنون ، ثم صار شابا قويا جميلا يملأه الأمل ولكن أصبح بمرور الزمن على ماهو عليه الآن من ذبول وهزال وقبح ، وبعد أن سمع جوتاما هـذا الكلام سأل سائقه سؤالا ثانيا « هل هذا الرجل هو الرجل الوحيد الذى أصابته الشيخوخة أم هناك أشخاص آخرون غيره ؟ » فأجابه بأن الجميع إذا ما تقدم بهم السن

شاخوا ، وأن جوتاما نفسه معرض للشيخوخة ، وهذه سنة الحياة وطبيعة الإنسان ، ولن يفر أحد من العجز ، ففزع جوتاما من هذه الإجابة فزعا شديدا ، وجزع لأنه سيصبح فى يوم كهل ضعيف وأن زوجته يزودهارا لن تنجا من ذبول الشيخوخة ، وأنهما سيقاسيان كثيرا من الحزن والشقاء إذا ماطال بهما العمر ، فأستولت الكآبة على قلبـــه ، وشرد فكره ، وأدرك أن حياة اللذة لاقيمة لها مادامت عرضة للزوال ، ومادام الإنسان يبلغ الشيخوخة التى لاتمكنه من الاستمرار فى طلب اللذة ؛ وإنه إذا كان الآن شابا قويا فإن قوة شبابه تنضب بعد حين ، فأغتم وأمر تشانا بأن يعود إلى القصر ليهرب من منظر ذلك الكهل البشع ، ولأنه لم يشعر بمتعة التنزه مادام شبح الشيخوخة يطارده ، وأن سنين الحياة تنقضى بسرعة تفوق سرعة الريح . ولما عاد إلى القصر ، كان حزينا هلعا ، يحس أنه يكاد يدفن فى هذا القصر ، وأن الحياه لاتطاق فيه .

وعندما سمع الملك بسرعة عودة جوتاما إلى القصر ، لحزنه من رؤية الكهل ، وجزعه من حياة الشيخوخة ، حث إخوانه من الأمراء على أن يسروا عنه ، ولا يتركوه منفردا ، وأن يلحوا عليه فى الخروج من القصر من حين لآخر ، حتى لا يظل قابعا فيه تستولى عليه الأفكار السود . فخضع لإخوانه آخر الأمر ، وخرج من القصر للنزهة بعد أن قويت الرقابة على الطرقات لإبعاد أى شخص يتقذى جوتاما من منظره ، وبعد أن زينت الشوارع والحدائق لتبدو جميلة خــــلابة تبعث فى نفس جوتاما السرور . ولكن سرعان مالمح رجلا مريضا على قارعةالطريق ، متورع الجسم ، مشوه

الخلقة ، يتنفس بصعوبة يئن أنينا متواصلا ، ويبكى بكاءاً مراً . فسأل جوتاما سائقه تشانا « من هذا الرجل ؟ » فأجابه بأنه مريض أنهكته العلة ، وأضناه السقم يطلب معونة مواطنيه . ثم عاد وسأله وهو حزين إذا ما كان هذا الرجل هو الشخص الوحيد الذى ألم به المرض أم هناك غيره كثيرون . فرد تشانا عليه بأنه لا يوجد شخص لا يتعرض للمرض ، وأنه يبتلى الجميع ، فاغتم جوتاما ، وأخذت الأفكار تدور فى رأسه متسائلا ، عن الأسباب التى تدفع الإنسان إلى التمسك بجحيم الحياة يصلى بعذاب المرض . وعاد الى قصر أبيه مفجوع القلب كسير الفؤاد .

ولما استفهم سودهودانا عن سبب عودة ابنه حزينا ، قيل له أنه رأى مريضا ، فلام الملك الحراس ، وأنبهم تأنيبا قاسيا على غفلتهم ، وطلب منهم المزيد من اليقظة والإنتباه حتى لا يصادف الأمير ما يثير أشجانه ، بل أخذ يشرف بنفسه على بهاء الطرقات ورونقها ، وزود الحـــدائق بالمغنيات والعازفات ، وبأجمل الفاتنات اللاتى برعن فى اصطياد قلوب الرجال ، وادخال السرور فى نفوسهم . وبالرغم من كل هـــذه الاحتياطات رأى جوتاما فى المرة الثالثة نعشا يحمله أربعة رجال ، وتولول النساء من حوله يشددن شعورهن ، ويضربن صدورهن ويلطمن خدودهن . فى حين يدق بعض الرجال على الطبول ، ويعزف غيرهم على المزمار ، بينما ينشد الكهنة التراتيم الدينية . فتعجب جوتاما من هذا المنظر الغريب ، وطلب من أن يخبره عن أمر هؤلاء القوم ، فأنبأه بأن مايراه ما هو الا جنازة ميت ،

قد فقد حيوية الحياة ، ولم يعد يقوى على الحركة ؛ وأنطلقت روحه الى مكان مجهول ، وأن أهله وأصحابه يبكون على فقده . ثم تساءل جوتاما اذا ماكان هذا الميت هو الشخص الوحيد الذى توفى ، فكانت الإجابة بالطبع أن الموت مصير كل فرد ، ولا مهرب منه على الإطلاق ، فأدرك جوتاما أن المنية توافى كل انسان ، وينزل الردى بالجميع فى وقت معلوم ، وأن شبح الموت مسلط على الرقاب فى كل خطوة نخطوها . فإذا كانت الحياة تشقينا بضعف الشيخوخة ، وتعذبنا بآلام المرض ، وتقضى علينا بموت لن ينقذنا من ويلاتها ، وانما يعقبه حياة جديدة نقاسى فيها من جديد الشيخوخة والمرض والموت ، كأن الإنسان يعيش فى حلقة لا نهاية لها ، تنتقل من الحياة الى الموت ، ومن الموت الى الحياة ، ولا تدور الا حول الشيخوخة والمرض والموت . فكيف يمكن أن يطيق الإنسان هذه الحياة ؟ وكيف لا يفكر فى الهرب من تكرار الحياة ، وتوالى الموت ، وفى الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت ؟

ولما لاحظ تشانا ماطرأ على جوتاما من اضطراب لم يعد هذه المرة الى القصر انما استمر فى السير الى الحدائق حيث أخذت العازفات تصدح بأعذب الألحان ، وتغنى المنشدات أبدع الأغانى ، وترقص الراقصات أفتن الرقصات ، لكى يبثن السرور فى نفس الأمير الحزين . ولكن ظل جوتاما على ماهو عليه من كآبة ووجوم غارقا فى أفكاره الحائرة ، ولم تستطع فتنة النساء أن تغريه وتبدل من نفسه شيئا ، وأن حلو حديثهن وعذوبة متسامرتهن لم تستطع

أن تبعده عن مايجول فى خاطره . فعاد الى القصر ، وتدور فى رأسه أفكار تقلقه ، وتضنيه ، وما أن وصل حتى التف حوله رفقاؤه ، وأخذوا يناقشونه فيما يحزنه ويقلقه ، ثم أخبره أحد الأصدقاء بأن حياة القصور الهادئة الوديعة المريحة بما فيها متعة ولذة لا تدعو الى الحزن والقلق . » ولكن من الذى يضمن لى بقاء هذه الراحة وتلك اللذة الى مالا نهاية ؟ ومن الذى يقدر أن يبعد عنى ضعف الشيخوخة وآلام المرض وقضاء الموت ، والعودة الى الحياة مرة ثانية أقاسى فيها من جديد ويلات الشيخوخة والمرض والموت الى مالانهاية ؟ كان رد جوتاما على هـــذا الصديق . ولقد اضطرب سودهودانا عند سماع هذا الرد ، وألم به الحزن ، وخاف أن يصبح وحيده زاهدا ولكنه لم يستسلم وأخذ يطارد جوتاما بالمغريات ، ويحيطه بالرفاهية ليل نهار ، وقرب إليه أجمل الغانيات ليأسرن قلبه ، وأرسل إليه وزراءه ليخلصوه من الأفكار السوداء ، ولكن ظل قلبه متعلقا بالشيخوخة والمرض والموت ، وظل عقله يبحث عن كيفية الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت ، وما استطاعت فتنة النساء أن تلهيه عن هذه المصائب الثلاث ، ولا استطاع منطق الوزراء أن يزيل شبحها من ذهنه ، وإن استطاع اقناعه بالخروج مرة رابعة إلى الحدائق . فاستعد سودهودانا لهذا الخروج استعدادا كبيرا ، فامتد الحراس فى الطرقات عشرات الأميال لابعاد كل ما يقلق مزاج جوتاما . وزينت الطرقات بأبهى زينة ، ولكنه فوجىء برؤية رجل رزين هادىء يلبس رداءاً برتقالى اللون ، فسأل تشانا عن كنه هذا الرجل ، فأجابه بأنه ناسك هجر الحياة ، يريد الخـــلاص ، ويبحث عن طريق النجاة بعيدا عن المجتمعات ، ولذلك قطع صلته بكل ما يربطه بالأرض ، ولا يهتم بشىء من أمور الدنيا

إنما يعيش على ما يتفضل به الناس عليه من صدقات ، فتولى جوتاما نوعا من الفرح ، إذ وجد فيه المنقذ الذى يخلصه من وطأة الأحزان التى تشقيه ، وعاد إلى القصر عازما على أن يسلك مسلك هذا الناسك ، لعله يجد حياة خالية من الشيخوخة والمرض والموت .

ولما أحس سودهودانا بميل ابنه لحياة النساك ، أغراه بالملك ، وعرض عليه أن يتنازل له عن العرش ، إذا كان ذلك يثنيه عن حياة الزهد ، ولكن جوتاما لاينشد ملكا أو أى شىء من الحياةوقال لأبيه إنه على استعداد لأن يعيش على الدوام بجوارة إذا ضمن له أن الشيخوخة لن تهد حيويته ويظل أبد الدهر شابا فتيا ، وأن المرض لن يبتليه بالسقم والألم ، وأن الموت لن يعرف السبيل إليه . ولكن من الذى يستطيع أن يؤمن أحدا ضد الشيخوخة والمرض والموت ، فحزن سودهودانا وأدرك أن ابنه أفلت من بين يديه وأن جميع محاولاته لم تجد معه شيئا ، وأن إغراءه بتولى الملك لم يبدل من تصميمه .

وظل جوتاما فى حيرته غير راغب فى حياته التى يحياها ، وينشد حياة خالية من الألم ، ويريد أن يدخل فى زمرة الزهاد ، إلى أن سمع أن زوجته يزودهارا على وشك أن تضع له مولودا بعد أن انتظره عشر سنوات . وكان هذا الخبر جديرا بأن يبعث فى نفسه السرور ، ولكن أحس بأن هذا المولود قد يقيده بأغلال الحياة ، فلا يستطيع منها فكاكا وهو غير راغب فيها ، فعزم

على أن يهجر الحياة فى الحال ، حتى لا يتعلق قلبه بحب طفله ، ويرغمه على البقاء فى قصور أبيه ، ويعيش شقيا لا يعرف كيف يتخلص من حياة مليئة بالآلام والأحزان . وأدرك أن أى تردد أو تأخير فى مغادرته قصر أبيه قـــد يفسد عليه حياته ، فيفشل فى فهم أسرار الحياة ، ولذلك عزم على أن يهرب فى هذه الليلة بالذات .

ولمـــا رجع إلى القصر ، كانت يزودهارا قد وضعت طفلا ذكرا سمى راهولا ، وكان الجميع يحتفلون بمولد حفيد الملك ، وما أن دخل جوتاما القصر حتى التفت حوله نساء القصر مهنئات براهولا واذا بأميرة من قريباته تقبل عليه قائلة «بالسعادة ذلك الأب وبالسعادة تلك الأم وبالسعادة تلك الزوجة بابنها وزوجها » وما أن سمع لفظ « السعادة » حتى خلع قلادته ، ومنحهااياهاهدية منه ، فظنت أن جوتاماأعجب بها ، ووقع فى حبها ، ويريدها زوجة له ، ولم تفهم أن لفظ « السعادة » التى نطقت به نبهت جوتاما الى أن ما يطلبه هو السعادة ، وأن السعادة الحقــــة فى النجاة من الشيخوخة والمرض والموت ، وأن الفرار من الحياة هو سبيل هذه السعادة ، وأنه ما أعطى قلادته لهذه الأميرة الا لأنها لقنته هذا الدرس الذى حثه على أن يبحث عن السعادة بعيدا عن الحياة . ثم تابع السير الى قاعات القصر الداخلية ، فوجد المغنيات والعازفات والراقصات ينشدن ويعزفن ويرقصن فرحات ، فنفر منهم ، وأسرع إلى حجرة يزودهارا ، فوجدها نائمة وفى أحضانها راهولا ، وكان يود أن يأخـــذ ابنه بين ذراعيه ، ويقبله ولـكنه خاف أن يوقظ زوجته ، فتحول بينه وبين الفرار ، أو يخفق

قلبه بحب ابنه ، ويتعلق به ، ولذلك ظل بعيدا عنهما إلى أن انتصف الليل، وقام بهدوء وألقى نظرة الوداع على زوجته وابنه الذى لم يبلغ من العمر إلا يوما واحدا ، ومشى فى ردهات القصر ، ووجد الراقصات والمغنيات والعازفات نائمات على الأرض من طول السهر ، بعد أن أعياهن الرقص والغناء والعزف ، وكن فى أوضاع فاضحة أثارت اشمئزاز جوتاما ، واحتقاره لأجسادهن ، وذهب توا الى تشانا المخلص ، وأخبره بعزمه على الفرار هذه الليلة . وطلب منه أن يعد العربة وحصانه المفضل كانتاكا ، فاضطرب تشانا ، واحتار لأنه كان خائفا من غضب سوهودانا . ولكنه رضخ آخر الأمر وأعد لجوتاما العربه والحصان كانتاكا .

ولكن ما الذى دعا جوتاما الى هجرة قصر أبيه فى سن لا يتجاوز التاسعة والعشرين ، ويفر من حياة مترفة ناعمة ليطلب حياة جافة خشنة قاسية . . . ! ؟ هل خوفه من الشيخوخة والمرض والموت هو حقا السبب الوحيد لفراره . . ؟ أحسب أن هناك كثيرا من الدواعى ساقته الى هذا المصير ..

لقد نشأ جوتاما يتيم الأم ، ولعل هذا اليتم قد قوى فيه نزعة الهنود الميالة للتشاؤم من الحياة فشب من صغره ميالا للوحدة والعزلة ، شغوفا بالتأمل الشارد والتفكير الذاهل ينظر الى الحياة خلال منظار أسود ، فلم ير فيها غير الآلام والأحزان والشقاء بالرغم من تدليل والده ومن حياته

الخاصة المليئة بالمتعة والملذات، وهى لاتثير الخوف أو تبعث على كراهية الدنيا . لاشك فى أن رؤياه للكهل المتهدم والمريض المتوجع والميت الذى ينوح أهله على فقده أشعره بأن حياة القصور تختلف اختلافا بينا عن الحياة الواقعية ، وأن مايبدو على أهل ساكيا من فرح فهو زائف مصطنع أجبرهم والده على تكلفه حينما يمر بينهم ، وأنهم فى الحقيقة أشقياء تكثر بينهم المجاعات وتفتك بهم الأوبئة وتحصدهم حصدا . وكان الأولى بجوتاما أن يفكر فى اسعاد رعايا أبيه عن طريق توفير الطعام للجميع ووقايتهم من الأوبئة وعلاج المرضى ورعاية العجزة . ولكن ما الفائدة من كل ذلك طالما هناك حياه أخرى بعد كل موت يتعرض فيها الإنسان لنفس الآلام التى قاساها فى حياة سابقة . فإن الخدمات الطبية والاجتماعية لا يمكن أن تجول بخاطر جوتاما لأنه كان يريد الخلاص وليس الخلاص من هذه الحياة فقط انما من كل حياة أخرى تأتى بعد الموت . ولقد كان فى امكانه أن يتخلص من حياته بالانتحار ولكن الانتحار لايوقف عودته الى الحياة من جديد . فضلا عن أن جوتاما يؤمن بعقيدة التناسخ التى تزعم أن الإنسان يولد من جديد بعد كل موت ويتقمص جسم حيوان أو جسم انسان حسب أفعاله الخيرة أو الشريرة وأن على الإنسان فى حياته الجديدة أن يتطهر من الأوزار والآثام تطهيرا تاما حتى يمكن أن تندمج روحه فى الروح الكبرى التى تشمل كل شىء فى الوجود ولكن سرعان ماتعود ثانية الى الدنيا يتعاقب عليها الحياة الموت الى أن تتحد بالروح الكبرى ثم تعود الى الدنيا وهكذا الى مالانهاية

فلا نعجب إذا اعتقد جوتاما بأن عذاب الحياة يطارد الإنسان فى كل حياة سواء أفعل خيرا أم شرا . ولكن جوتاما صمم على أن يعثر على ما يخلصه من هذه الآلام ، فلعل رؤيته للناسك قد أوحى إليه بأن قطع صلته بالحياة والانقطاع للتأمل قد ينير السبل أمامه ، ويصل فى النهاية إلى ما يبحث عنه ، علما بأن حياة الناسك كانت المثل الأعلى للحياة فى ذلك العصر ، بل إن مكانة الناسك كانت تفوق مكانة البراهمة الذين كانوا فى قمة الطبقات الهندية ، وإن احترام الهنود للناسك كان يزيد عن احترامهم للبرهمى الذى يحترف الدين ، مع أن كثيرا من النساك كانوا من طبقة السودرا أحط الطبقات الهندية إلا أن ثورتهم الروحية على الحياة الدنيا ، وعزمهم الأكيد على أداء المجاهدات الجسدية والرياضية النفسية ، ورضاهم التام بحياة خشنة جافة قاسية ، كان يكسبهم حب الجميع وتعظيمهم مهما كانت مرتبة الطبقة التى ينتمون إليها . ولذلك لم يقم حائل بين جوتاما ورغبته فى حياة الزهد والتنسك وأن انتسابه إلى طبقة الكشاتريا لم يعق مستقبله كرجل محب للتأمل الدينى والبحث الفلسفى ، والكشف عن الحقيقة التى كان يحتكر البراهمة الإشتغال بها .

الفصل الثالث

البحث عن السعادة

لما أحضر تشانانا العربة التى يجرها الحصان كانتاكا ، ركب جوتاما العربة ، وظلت تجرى به فى ظلمات الليل وهو شارد الذهن يفكر فيما هو مقدم عليه من حياة جديدة عليه كل الجدة ، وكانت تراوده مشاعر من الحسرة على ما سيفقده من عز وأبهة وسلطان ومتعة ولذة ورفاهية ، ولكنه قاوم هذه الخواطر بحزم ، وعزم على أن يستمر فى طريقه ويهجر الدنيا نهائيا . وعندما وصل عند نهر أنوما بعيدا عن مملكة كولى ، خلع جواهره وأعطاها لتشانانا ثم جز شعر رأسه بالسيف وأعطاه كذلك لتشانانا ، واستبدل ملابسه الملكية بملابس أحد الفقراء المارين ، ثم طلب من تشانانا أن يعود إلى أبيه ، ويخبره بأمر هجرته للدنيا . ولكن تشانانا ناشد جوتاما أن يعود معه ، ولا يتمسك بحياة الزهاد ، ولما رفض جوتاما ألح تشانانا فى أن يبقى معه ليقوم بخدمته ويسهر على راحته ، فلم يقبل جوتاما ولذلك اضطر تشانانا الى أن يعود حزينا ، منكسر القلب ، خائفا من غضب سودهودانا .

بينما توجه جوتاما إلى مملكة ماجادها ليبدأ حياته الجديدة التى ارتضاها لنفسه. وفى أثناء توغله فى الغابات المؤدية إلى هذه المملكة ، صادفه جماعة من

الزهاد يقطنون فى جنبات هذه الغابات بعيداً عن صخب المجتمعات ، فتقدم جوتاما إليهم ، ثم حياهم ، ولما ردوا التحية أبلغهم بأنه زاهد حديث العهد بهجرة الدنيا ، وأنه عزم على أن يسير فى طريق الزهد ، فطلبوا منه أن ينضم إليهم ، ويلتحق بجماعتهم ، ويقوم بما يقومون به من واجبات روحية ، ويشاركهم الحياة فى الغابة . إلا أن جوتاما ليس عنده دراية بهذه الواجبات الروحية ، إذ لم يمارسها من قبل ، فطلب من كبيرهم أن يخبره عن مختلف طرق المجاهدات التى يمارسونها ، ويبين له الباعث الذى يدفعهم إلى أدائها ، ويوضح له الغاية التى يهدفون إليها من ورائها . فأخبره كبير الزهاد بأنهم هجروا الدنيا طمعا فى حياة روحية حقة بعيدا عن تضارب الأهواء والرغبات والمطامع ، وأن حياتهم فى الغابة حياة دينية خالصة تقوم على تعذيب الجسد ، وإقامة الشعائر للنار ؛ وتلاوة الصلوات والدعوات . وهم أحيانا يحرمون على أنفسهم الطعام والشراب ، وأحيانا لا يأكلون إلا أبسط المأكولات وأقلها ، ومنهم لا يأكل إلا ما يلتقط من حب كالطيور ، ومنهم من يعيش على ما يجمعه من ثمار الأزهار والفاكهة ، ومنهم من يتغذى على الأعشاب كالغزلان ، ومنهم من يسد أودة بما يستجديه من طعام وشراب من أهالى القرى المجاورة . وهذا فضلا عن أنهم يقومون بمجاهدات مضنية لتطهير الروح من أوزار البدن ، فيعذبون أجسادهم بالنار أو يلزمون أنفسهم بالتنفس فى الماء كالأسماك ، أو يجبرون أذرعتهم على أن تظل مرفوعة إلى أعلى ، أو يضعونها على فوق رؤسهم لمدة طويلة بصفة مستمرة . وهم كذلك يقربون القرابين للنار المقدسة يوميا حتى يظل لهيبها يتصاعد منه الشرر على الدوام .

وفى أوقات محدودة يؤدون الصلوات ويتلون الدعوات وأن غايتهم من كل ذلك هو تخليص الروح من أدران الجسد التى تسبب عودتها الى الحياة بعد كل موت وما أن تتم طهارة الروح ، لا يرجع الإنسان للحياة الأرضية من جديد وإنما يذهب الى السماء حيث السعادة الحقه والنعيم المقيم .

بعد أن أنصت جوتاما الى هذه التعاليم ، لم يجد فيها بغيته ؛ لأن المجاهدات الجسمية والشعائر الدينية لا توصل إلى السعادة ، فاذا كان اللهو والمجون والخلاعة لا تجلب الطهارة الروحية ، فإن القلب الطاهر لا يمكن أن يعيش سعيدا فى جسد معذب ، ومعرض للشيخوخة والمرض والموت . وإذا كان التعذيب ينقى الروح من أشرار الجسد ويمنع الإنسان من أن يولد فى حياة أرضية مرة أخرى ، إلا أنه يولد فى السماء ، ولكن جوتاما ينشد الخلاص من الحياة نهائيا ، بذلك فقط يستطيع أن يتغلب على الشيخوخة والمرض والموت ، ويقطع صلته بالولادة والموت كلية ، سواء أكانت هذه الولادة فى الأرض أو فى السماء . ولما أحس كبير الزهاد بأن جوتاما لم يتقبل تعاليمهم ، وأنه مازال فى حاجة إلى معرفة أعمق وأن ايمانه بالمجاهدات والشعائر ضعيف ، نصحه بأن يقصد أرادارااما وأدرارااما ، وهما ناسكان ثقافتهما الدينية واسعة ، ولهما باع طويل فى المجاهدات ، وبلغا درجة ممتازة من الطهارة والصفاء . ولم يتردد جوتاما فى الذهاب إليهما . لأنه ينشد العلم الصحيح الذى يحقق له سبيل الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت .

ولكن بينما هو فى طريقه إليهما قابل وزير أبيه وكبير كهنة القصر

اللذين أرسلهما إليه سودهودانا ليقنعاه بالعودة . بعد تبادل التحية أخذ الوزير سادهارما والكاهن بوروهينا يجادلانه فى أمر رجوعه إلى أبيـــه . بدأ الوزير سادهارما الحديث بأن أخبره عن عظم ألم أبيه وفجيعة زوجته، وعن الأسى الذى عم أهل ساكيا عندما شاع نبأ هجرته للبلاد ، واختياره حياة الزهد فى الغابات، ثم أعلن الوزير عن حزنه لرؤية جوتاما مرتديا ملابس بالية خشنة وهو أمير عاش طوال عمره حياة ناعمة وتعود الراحة والاستقرار ، والجدير به أن يخلع هذه الملابس، ويطيع أمر والده ويعود إليه، إذ عليه واجبات جسام نحو مهام الحكم وأهل ساكيا . فرد جوتاما على الوزير بأنه لم يعص والده إلا خوفا من الشيخوخة والمرض والموت ، ورغبة فى التخلص من توالى الموت والولادة ، وأن حزن أبيه لفراقه لا داعى له ، لأننا نتقابل فى الحياة لفترة معينة ثم يفرق بيننا الموت ، فلا يجب أن نجعـــل الأوهام تتسلط علينا ، ونترك الحزن يستولى على مشاعرنا . أما طلب العودة لكى ينتظر اليوم الذى سيعهد إليه فيه بمهام الحكم فكيف يقوم بهذه المهام بينما يجهل حقيقة الحياة ويعيش نهبة للشيخوخة والمرض والموت ، وكيف ينصرف عن البحث عن طريق الخلاص ، وينغمس فى ملاذ الحياة التى تزيد من شقائه . فما كان من الكاهن بوروهينا إلا أن أخبره بأنه إذا كان يقصد أن يحيا حياة دينية طاهرة بعيدة عن الملذات فما الذى يمنعه من أن يجمع بين هذه الحياة وبين الحياة بالقرب من أهله وفى وطنه فإنه يستطيع أن يتزود بشتى التعاليم الدينية ويؤدى الشعائر دون أن يهجر الدنيا ويعيش هائما فى الغابات يرتدى ملابس خشنة ويستجدى قوته ؛ وقد يظن أن فى عودته إلى ذويه نوعا من الهزيمة

والتراجع ، إلا أن هناك كثيرا من الأمراء قد سبقوه فى هجرة الملذات ، ورغبوا فى حياة طاهرة ، وعاشوا حياة دينية نقية دون أن يهجروا أهاليهم. ولكن جوتاما أجاب بأن طلب الثقافة الدينية فى القصر ليس بالطريق السوى الذى يوصل إلى الخلاص ، لأن الخلاص لا يتحقق بالحياة فى القصور الناعمة المترفة ، وانما فى الغابات والجبال ، وإذا عاد إلى القصر فإنه سيعود إلى حياة الترف التى تغرى بطلب الملذات ، كما أنه لم يرغب فى أن يكون من بين هؤلاء الذين يطلبون الثقافة الدينية وهم فى مكاتبهم دون أن يمارسوها ممارسة عملية أولا يسعون فى الكشف عن الحق ، ويدرسونه دراسة وافية . ولما رأى بوروهينا تصميم جوتاما على عدم العودة ، رجاه أن يعود إلى أهله بعد أن يحقق غايته ، ويصل إلى طريق النجاة فإن الأمير راما بطل ملحمة الرامايانا عاش ردحا من الزمن فى الغابات والكهوف ، وتنسك حتى وصل الى أرقى مرتبة روحية ، ولكن حينما علم بما يعانيه وطنه من اضطرابات ومحن عاد مسرعا اليه ، وتولى زمام الحكم ، وأعاد الأمن الى نصابه ، وأنقذ البلاد من الفوضى ، كما أن هناك أمراء كثيرين سلكوا فى أول الأمر طريق الزهد ثم بعد أن حققوا أهدافهم الدينية عادوا آخر الأمر وتولوا الحكم تلبية لنداء الواجب فرد عليه جوتاما بأنه ليس من هؤلاء الذين يهجرون الدنيا ليقضوا حقبة من الزمن زاهدين متقشفين ، ثم يعودون الى ملذات الحياة مرة ثانية ولا يجب أن تؤخذ حياة راما ومن سار سيره مثلا أعلى للزاهد الحق الذى يريد أن يكشف عن الحقيقة وأن الحكيم لا يسلك سلوكهم ، أو يتخذهم

قدوقله ، اذ ماالذى يدعو الزاهد إلى أن يفسد حياته بالملذات بعد أن صار طاهرا نقيا ، وأكد له جوتاما بأنه لن يعير من مسلكه شيئا ، ولن يعود الى حياة القصور حتى ولو سقطت الشمس من السماء ، واصطدم القمر بالأرض ، وأنقلبت جبال الهمالايا رأسا على عقب . وبعد رفض حوتاما العودة رجع الوزير سادهارما والكاهن بوروهينا بعد أن فشلا فى مهمتهما .

انطلق جوتاما نحو نهر الجنجز ، وبعد أن عبره اتجه نحو مدينة راجاجريها عاصمة ملكة ماجادها ، والتى يتخذ منها الملك بمبسارا مقر حكومته ، وهى مدينة هادئة آمنة ، يحيط بها تلال خمسة ، فى سفوحها عدد من الكهوف ، كثيرا ما يلجأ اليها الزهاد والنساك . وما أن دخل جوتاما مدينة راجاجريها بطلعته البهية ، وقوامه المعتدل ، وشبابه الفتان حتى أثار اهتمام الأهالى ، وتعجبوا من فتى فى شرخ الشباب يرتدى ملابس الزهاد البالية ، بينما تبدو عليه ملامح النبل والعز والجاه ، فالتف حوله الرجال والنساء عارضين عليه الضيافة ، ومشفقين عليه من قسوة التقشف ، وأخذوا يسيرون خلفه حتى كونوا موكبا كبيرا مما لفت أنظار الملك بمبسارا ، وهو فى برجه المرتفع يراقب أحوال رعيته ، وطلب من رجال حاشيته أن يأتوه بأخبار ذلك القادم الغريب ، وسبب التفاف الجماهير حوله . فعلم أن جوتاما ابن الملك سودهودانا قد هجر الحياة مفضلا عليها الزهد والتقشف ، وقد أثار مظهره التقى الورع أفراد الشعب ، ولكنهم أشفقوا على شبابه ، وبهرهم حسن

طلعته ونبل محياه ، فتنافسوا فى الفوز بشرف ضيافته ، ولكنه لم يقبل من أحد ضيافة وانما أخذ يطرق الأبواب مستجديا قوته ، ثم عاد الى الغابة المجاورة ، وأكل مما جمعه من صدقات ، وشرب من مياه النهر ، وسكن غارا فى سفح أحد التلال القريبة بالمدينة .

ولقد أثارت تصرفات جوتاما عناية الملك بمبسارا ، وأسف أشد الأسف للمصير الذى آل اليه الأمير جوتاما ، فقرر أن يزوره فى مغارته، لعله يستطيع أن يقنعه بأن يقلع عن حياة الزهد، ويعود الى سيرته الأولى فى قصر أبيه . فسار اليه فى ركب يحف به آلاف الأهالى . ولما وصل بادره بالتحية ، فرد عليه جوتاما تحيته، ثم أخذا يتبادلان الحديث. ولما تأكد من أنه جوتاما ابن الملك سودهودانا حقا ، أخذ يلومه على ارتدائه ملابس خشنة بالية بينما هو جميل الخلقة . حسن القوام جدير بالثياب الفاخرة والجواهر الثمينة ؛ وأنبه على استجداء الطعام ، لأن الاستجداء لا يليق بنسل الملوك الذين يجب أن يقيموا فى القصور وليس فى الكهوف ؛ فرجاه أن يعود الى أهله أو يقاسمه ملك دولته مع عنايته بالدين والتقشف . لأن أصالة النسب والحسب . وعظم الجاه والسلطان مدعاة للقوة ، وأن جمال الخلقة وحسن الطلعة واعتدال القوام وبهاء المظهر يكسب المرء هيبة ونبلا ، وان القوة والهيبة والنبل والشرف تعين على اخضاع الآخرين أو التفوق عليهم ، وتحث على نيل ثناء الجميع وجذب اعجابهم ؛ وتجلب شهرة سرعان ما تنتشر فى شتى الأرجاء .

وما الذى يعيب الرجل الفاضل التقى الورع اذا احتمى بالنسب والحسب ، وعمل على قهر الممالك التى تخرج عن سيادته ، واجتهد فى تنمية الثروة ، وأخذ نصيبه من متع الأرض . . . ؟ فان الحكيم هو الذى يجمع بين معرفة الدين واتباع الفضيلة ، وبين طلب القوة وتنمية المال والتمتع باللذات . فان الرجل الفاضل المتدين الذى يهمل المال ، ويحتقر اللذة محروم من متع الأرض وان الرجل الذى يقضى حياته فى جمع المال محروم من نعيم المتع الروحية : أما الرجل الفقير الجاهل بأمور الدين المنصرف عن هدى هدى الفضائل فمحروم من متع الأرض ومتع السماء على حد سواء ، والحكيم الحق هو الذى يجمع بين مطالب الأرض ومطالب السماء ولا يغفل أحدهما ، أو يفضل الآخر على الآخر ، ويمكن الإنسان اذا ما تقدم به السن ، ونال كفايته من متع الأرض أن ينصرف كلية لى الحياة الروحية الخالصة .

فرد جوتاما على يمبسارا بأن الفضيلة والشهوة لا تجتمعان اذ كيف يهتدى سلوك الانسان بالفضائل ، بينما تتحكم فيه الأهواء ؟ ان الشهوة تجرى وراء اللذة ، وتضحى فى سبيلها بكل القيم والفضائل بل انها تسوق الإنسان سوقا للإثم وهى لا تقف عند حد ، وتطلب على الدوام مزيدا من اللذة ، فتؤدى بالإنسان فى النهاية الى هاوية سحيقة . فان هناك كثيرا من الملوك والحكام دفعهم الجشع والرغبة فى السيطرة على ما يجاورهم من ممالك الى اقتراف كثير من الأوزار البشعة . بل ان دأبهم فى البحث عن المال ، وطموحهم فى الاستيلاء على البلاد المجاورة أدى بكثير منهم الى الهلاك . وان رجال الدين والزهاد الذين حادوا عن طريقهم ، واستهوتهم مغريات

الحيـــاة ، وأسرتهم فتنة النساء ، وحاولوا أن يجمعوا بين الدين والدنيا ، لا شك فى أنهم تعثروا فى الطريق ، لأن الزاهد الحق لا يشتهى ، ولا يطمع فى شىء ويفضل التقشف ليحطم كل ما يفتعل فى داخله من رغبات وشهوات ، حتى تصبح عاجزة على أن تغريه كل يوم بلذة جديدة ، فلا يشعر بتلك الآلام المريرة عندما يفشل فى تحقيق رغبة . والحكيم الحق هو الذى يتجنب هذه الآلام بأن يعطل نشاط شهواته شيئا فشيئا الى أن يقضى عليها قضاء تاما فى آخر الأمر . ان الشهوة خطر وبيل يهدد كيان الحياة ، فانها تدفع الصديق إلى كراهية صديقه ، وترغم الأخ على قتل أخيه .

أما الرجل الذى يبذل قسطا من حياته فى جمع الثروات ، ويحسن استغلالها ، ويجيد انفاقها . فقد يكون رجلا فاضلا ولكن الثروة متاع زائل ، وأن من يكثر من المال ليحتفظ به ولا يتمتع به فوجود المال عندئذ مثل عدمه ، والرجل الفاضل حقا هو من يبذل ماله - اذا كان غنيا - فى العطاء لأن فى الإحسان كسبا وثراء يفوق غنم المال ! وقد يكون الملك بمبسارا كريما ومحسنا كبيرا بارا بشعبه ، ولكن جوتاما لا يريد أن يبقى مالا حتى ليتفضل به على الغير ؛ لأنه ينشد الخلاص من توالى الولادات ويريد أن يبعد عن غوائل الشيخوخة والمرض والموت . فالمال لا يهم جوتاما من بعيد أو قريب لأنه لا يحقق هذه الغاية وينقذه من مآسى الحياة وويلاتها ويبلغه السعادة المنشودة .

ثم انتقـل جوتاما إلى موضوع الحسب والنسب فقال إن شرف المنبت، وعراقة الأصل، وبهاء الخلقة وحسن الهندام لا تدعو للتفاخر لأنه ليس للمرء فيها فضل، إنما هي موروثة منذ أجيال، ولا تمنح إلا نبلا زائفا. ولذلك هجر جوتاما القصور، واستغنى عن شرف الحسب ونبل النسب وفضل الحياة فى الغابات؛ ولم يهتم بالطعام إلا بالقدر الذى يبعد عنه غوائل الجوع والعطش، وخلع الملابس الفاخرة وارتدى الملابس التى تحمى جسده من البرد والحر، وأقام فى الكهوف لأنهـا تكفل له الراحة والنوم الهادىء. فحياة الزهد والتقشف حياة آمنة لا تغرى بالانغماس فى اللهو، ولا تحفها الآلام والأحزان. لذلك هجر جوتاما الدنيا بما فيها، وفضل الزهد على سطوة الحسب، وجاه السلطان، وثروة الحكام. ولقد وطد العزم على ألا يرجع إلى حياته الأولى، وأنه لا فائدة من الإلحاح عليه فى العودة إلى أبيه، أو مشاركة بمبسارا فى ملكه، فإن الثرى لا يتمنى أن يكون فقيرا، وإن المتعلم لا يرضى أن يصبح جاهلا، وكذلك لا يقبل الزاهد التقى الورع المتقشف أن يعيش فى المجتمعات الصاخبة اللاهية الفاتنة. ثم عرض جوتاما على بمبسارا أن يقاسمه حياة الزهد، ويشاركه فى التقشف، فان هذا العرض أفضل من مشاركته فى الحكم، وأجل من الانغماس فى الحياة الدنيا، ولا يجب أن يتأخر فى هجرة الحياة مدعيا أنه مازال فى سن مبكر، وينتظر إلى أن يتقدم به السن ثم يهجر الحياة، اذ من يضمن له أنه سيعيش إلى أن يتقدم به السن، فإن الموت واقف لنا بالمرصاد، وليس له ميعاد،

يقتحمنا فى أية لحظه ويسلب حياتنا فى سرعة البرق ، فيجب أن نهجر الحياة من الآن لا الغد ، لأن الحياة عرضة للزوال . وقد يظن البعض أن تقريب القرابين إلى الآلهة ، وذبح الذبائح لها قد يطيل من العمر . ولكن هذ العمل كريه فى ذاته ، إذ كيف تهلك حياة لتبقى حياة ؟ وكيف نلجــأ إلى القتل لتطيل العمر ؟ فليس للزهد موعد ، وأن من ينشد الخلاص من توالى الولادات لا ينتظر للغد ، وإنما يبدأ بهجرة الحياة فى الحال .

بعد أن انتهت هذه المناقشة ، استأذن جوتاما من بمبسارا ليستأنف السير باحثا عن الزاهدين اللذين سمع أن عندهما المعرفة الحقة التى تهديه إلى السعادة وطريق الخلاص . فلم يحــل بمبسارا دون ذهابه ، ولم يستعن بسلطته لحجزه وإرغامه على الاندماج فى الحياة ، وذلك لإعجابه بحكمته ، وعمق روحيته ، وإن كان يود أن يبقى جوتاما فى رحاب قصوره اشفاقا على شبابه من قسوة الزهد وخشونة التقشف .

وما أن وصــل جوتاما مغارة الزاهد أرادا راما حتى أحسن الناسك إستقباله ، وحياه أجمل تحية . ثم جلسا ، والتف حولهما مريدو أرادا راما وأتباعه . ولما عرفوا أنه حديث العهد بالتنسك وطدوا من عزمه ، وحثوه على التمسك بحياته الجـــديدة . الا أن جوتاما بادرهم بسؤاله الذى حير الجميع ، وهو كيفية الخلاص من توالى الولادات حتى لا يعانى مرارات الشيخوخة والمرض والموت . فرد أرادا بأن طريق الخلاص يقوم فى طلب المعرفة الحقة ، والتمسك بحياة روحية طاهرة ، إذ

أن المعرفة والطهارة تهيء للفرد حياة هادئة آمنة سعيدة فى براهما كبير الآلهة.
فما كان من جوتاما إلا أن طلب من أرادا أن يزوده بالمعرفة الحقة ، وأن يخبره عن سبل الحياة الطاهرة ، وأن يوضح له حقيقة الحياة فى براهما .
فقال أرادا إن المعرفة الحقة هى أن تعرف أن هناك وجودا واحدا هو براهما ، وأن كل مايبدو فى الوجود من تنوع وكثرة ليس الا مظاهر مختلفة لحقيقة واحدة هى حقيقة براهما السرمدية التى تكمن فى جميع محتويات الكون من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، وأن ما نراه من اختلاف فى الكون ، وتغير فى الطبيعة يرجع الى جهلنا بحقيقة براهما ، الذى يجعلنا نرى التعدد فى الوجود لأنه ليس هناك الا حقيقة واحدة . إلا أن مجرد معرفة هذة الحقيقة لا يكفى لكى يخلص الإنسان من دائرة الولادات . وإنما يجب الإيمان بها كذلك . ولا نستطيع أن نؤمن بها عن صدق الا إذا تأصلت فى أغوار النفس ، وسيطرت سيطرة تامة على كل ما يرد على الذهن من أفكار ، وتحكمت تحكما مطلقا فى كل ما يصدر عن المرء من أقوال وأفعال . أما اذا كان للشهوة أثر فى الفكر ، فقد يضعف الإيمان بحقيقة براهما الفردة ، فينحرف السلوك عن جادة الطهارة ، وقد يساق الإنسان الى الإثم. فلكى يأمن طالب الحقيقة شر غواية الشهوة ، يجب أن يقطع صلته بكل ما يربطه بالأرض من علاقات ، حتى لا تستهويه مفاتن الدنيا وملاذ الحياة ، ويعتزل المجتمعات فى ركن هادىء ناء غير بعيد عن القرى التى قد يلجأ اليها ليسأل أهلها الطعام . ثم يأخذ فى دراسة التعاليم الفيدية فى سكينة وعمق ، وفى

أداء الشعائر الفيدية باتقان فى مواعيد رتيبة ، كما يقوم بممارسة أضراب قاسية من المجاهدة والتعذيب الجسدى ، الغرض منها القضاء على قوة الشهوة، والسيطرة على الحواس ، واتاحة الفرص ليتغلب العقل على الأهواء، فيصفو الذهن ، ولا ينشغل بمطالب الدنيا ، وينصرف بكليته الى تأمل الواحد حتى لا يحس بأن هناك انفصالا بينه وبين براهما ؛ وأنهما حقيقة واحدة ، فيولد بعد الموت فى سماوات براهما . وإذا ماواصل التنسك يعيش بعد كل ولادة عيشة أفضل وأسعد من التى سبقتها ، ويصعد بعد كل موت إلى أن يبلغ ذروة الكمال المطلق ، وتتخلص روحه نهائيا من كل ما يتعلق بالمادة فلا تعود إلى الحياة مرة أخرى ، وتتحد ببراهما .

لم يعترض جوتاما على كل ما زوده به أرادا من تعاليم الديانة البرهمانية ، وما علمه اياه من الشعائر الفيدية ، وما عرفه به من عقائد اليوبانيشاد ، وانما اعترض على كيفية تحرر الروح من الجسد تحررا تاما يكفل لها الاندماج فى براهما ، أى اعترض على هدف الديانة البرهمانية التى تؤمن بوحدانية الوجود وترى أن سلوك الانسان يجب أن يهدف الى تحقيق اتحاد الخالق بالمخلوقات . وتساءل جوتاما عن ماهية تلك الروح التى تبقى بعد أن تتحرر من الجسد . إذ كيف تخرج الروح من الجسد ، ثم تبقى شخصية الانسان كما هى دون أن تتغير ؟ فإن النار عندما تفقد حرارتها لا يمكن أن تسمى نارا وكذلك اذا خرجت روح الانسان من جسده لا يمكن أن يسمى انسانا . واذا زعم بأن العارف لبراهما يمكن لروحه بعد أن تتحرر من البدن أن تبقى فى براهما ،

ولكن كيف تبقى شخصية العارف فى براهما فى الوقت الذى تحطمت فيه ذاتيته ؟ واذا ادعى بأنه عندما يندمج العارف فى براهما لا يكون هناك حقيقتان منفصلتان : حقيقة معروفة ، وحقيقة عارفة ، وإنما حقيقة واحدة هى براهما ، ولكن كيف يكون براهما حقيقة معروفة فى الوقت الذى تذوب فيه شخصيات عارفة . ؟

ولذلك لم يجد جوتاما فى دروس أرادا مايؤكد أن الروح يمكن أن تتخلص من الجسد نهائيا دون أن يقضى ذلك على ذاتية الإنسان ، أو ما يؤكد أن شخصية الإنسان تتلاشى نهائيا فى براهما . وأحس بأنه مازال هناك شك يدعو إلى الاعتقاد بأن الشخصية الذاتية تبقى فى النهاية ، ومادام هناك شخصية ، فهناك ترجيح للولادة ، وإمكان للعودة إلى الحياة من جديد ، ومقاساة الشيخوخة والمرض والموت ، فلا نعجب إذ لم يقتنع جوتاما بآراء آرادا . ولقد نصح أرادا جوتاما بأن يتوجه إلى الناسك أدرا راما لعله ينجح فى زيادة الإيضاح ، وتقريب حقيقة فناء الروح فى براهما إلى ذهنه . فأخبره أدرا بأن هدف الزاهد هو تخليص إنيته من المادة حتى تقتصر على فكر أو لافكر ، ثم لايبقى لها وجود ، فلا تعود إلى الحياه من جديد ، وتظل على الدوام متحدة ببراهما . ولكن جوتاما لم يستطع أن يدرك أن شخصيه الفرد أو إنيته الذاتية يمكن أن تزول زوالا تاما فى براهما ، وأعتقد بأن لها على الدوام وجودا مستقلا يدعو إلى عودتها إلى الحياة من جديد .

وبعد أن ألم جوتاما بثقافة عصره الدينية ، وأخذ العلم على كبار النساك

وجد نفسه مازال لايعرف شيئا عن طريق الخلاص وسبيل السعادة الذى هجر الدنيا من أجله ، ولم يبق أمامه إلا أن يسلك سبل المجاهدة التى تنتشر بين عامة النساك وأن يأخذ فى تعذيب جسده تعذيبا مضنيا لعله يقضى على ما يكمن فيه من نزوات وأهواء ، فيكتسب قوى خلقية خارقة ، وتشف بصيرته حتى يتكشف له سبل النجاة . فتوجه جوتاما إلى غابة أورفيلا ، وسكن فى غار هادىء يتدفق أمامه بجرى من الماء العذب يتجه نحو قرية كثيرا ما كان يلجأ إليها جوتاما حين يعوزه القوت ، ويستجدى من أهلها ما يلزمه من طعام . وكان هذا الغار فى سفح مرتفع تحيط به أشجار باسقة ، يلذ للطيور أن تنتقل على أفنانها ، وتغرد على أغصانها ، كما كان يتخلل هذه الأشجار شجيرات ناضرة يفوح أريج أزهارها بأطيب الروائح الزكية . وعزم جوتاما أن يعذب جسده فى هذا الكهف الهادىء الذى سخت عليه الطبيعة بمناظر خلابة ، وصمم على أن يميت أى انفعال ، ويزهق كل عاطفة . ويقضى على جميع نزواته حتى يتطهر تطهيرا كاملا ، وتصفو طويته من شوائب الشهوة ولم يترك سبلا معروفة لتعذيب الجسد إلا سلكها . فعذب جسده بالجوع والعطش ، وأحيانا ما كان يمتنع عن التنفس ، أو يلزم أطرافه مواضع معينة لا يغيرها أياما كثيرة ، فتقرب إليه خمسة مريدين ، واتخذوه لهم رائدا ، وقاموا بخدمته ، وذلك بعد أن أعجبوا بقدرته الفائقة على تحمل مشاق المجاهدة المؤلمة ولقد ذاعت شهرته فى جميع الآفاق ، وشهد له الجميع بالتفوق على كل من سلك طرق التعذيب . واستمر فى معاناة آلام التعذيب فترة

طويلة دامت ست سنوات متتالية حتى ضمر جسمه ، وهزل قوامه ، وبرزت عظامه . ولكنه بعد طول هذا العناء والنصب لم يصل إلى شيء ، ولم يحقق غايته ، فلم يجد العلم فى تنوير ذهنه إلى طريق السعادة ، ولم ينفع تعذيب الجسد فى تبصيره بالوسيلة التى تنجيه من توالى الولادات ، ألا يدعوه ذلك إلى اليأس ، ويشعره بأن هربه من الحياة كان عملا خاطئا ، وأنه يبحث عن المستحيل ؟ وما جدوى استمراره فى تحمل آلام الجوع والعطش وتعذيب البدن ؟ إنه كثيرا ما كان يغيب عن وعيه من شدة الجوع ، ومن قسوة المجاهدات التى تهلك قوى البدن دون طائل حتى اذا فقد وعيه ذات مرة وظل فى غيبوبة دامت وقتا طويلا حتى ظن مريدوه أنه فارق الحياة ، ولكن كانت دهشتهم عظيمة عندما أكل وشرب على غير عادة بعد أن أفاق . لقد صمم جوتاما أن يتخلى عن تعذيب الجسد ، إذ أدرك أن الجسد الهزيل والفكر المعذب ، والقوى المحطمة لا يمكن أن تعرف الطريق الذى يحررها من سلسلة الولادات ، بل إن قسوة المجاهدة تشل التفكير ، وتميت الحيوية ، وتعطل أى نشاط . وشاء فى هذا اليوم أن إمرأة كانت تسكن القرية المجاورة وكان قد سبق لها أن نذرت أن تهب الزاهد جوتاما قدرا مليئا بالأرز والحليب إذا أنجبت طفلا ذكرا ، وقد رزقت بالطفل الذكر ، فأرادت أن تفى بالنذر ، وجلبت ذلك القدر المليء بالأرز والحليب لجوتاما ، فأكل منه حتى استعاد حيويته ، وعاد إليه نشاطه ، وما أن شاهد المريدون تصرفات جوتاما حتى خاب أملهم فيه ، وتبدل تعظيمهم له إلى احتقار ، وأدركوا

أنه فشل فى تحقيق هدفه فتخاذلت ارادته ، وعجز عن مواصلة التعذيب والمجاهدة ، فتنكروا له ، وهجروه غير آسفين .

ولقد اضطرب جوتاما أشد الإضطراب عندما نبذه مريدوه ، وانتابته نوبات من الحيرة والشك والإرتياب حتى فكر فى العودة الى أهله ، انهم ينتظرونه ، وعلى استعداد تام لاستقباله بالبشر والسرور ، ولكن هل يقبل الفشل . . ؟ لقد هجر الحياة ليحقق غايته ، فيجب أن يواصل البحث عن هذه الغاية . فجلس جلسة القرفصاء تحت شجرة تين مصمما على ألا يغادر هذا المكان حتى ينكشف له طريق النجاة أو يموت . إلا أن جلسته لم تكن هادئة مريحة إذ أخذ ينتابه حنين لأهله وزوجته وابنه ؛ واستبدت به رغبة ملحة فى العودة الى حياة القصور بما فيها من لذة ومتعة . وأخذت تصور له الأهواء استحالة التخلص من الشيخوخة والمرض والموت ، وأنه يجرى وراء وهم خادع . ولكنه قاوم هذه الأهواء وتلك الرغبات وحاربها بلا هوادة ولقد تعاونت الطبيعة الهائجة مع شهواته على بذر بذور اليأس فى داخله لتقلعه عن تحقيق حياة لا تعرف الشيخوخة والمرض والموت ، فإذا بالعواصف تهب ، فتهطل عليه الأمطار الغزيرة ، ولكنه لم يتزحزح من مكانه ، وتقذف الريح الغبار فى عينيه ، وتحدث أصواتا رهيبة مرعبة ، ولكنه كما قاوم أهواءه الشريرة ، صمد فى وجه الطبيعة الثائرة سبعة أيام بلياليها ؛ وكانت ارادته أقوى من شهواته وأقوى من تقلبات الطبيعة فلم يأت مساء الليلة السابعة إلا وقد اتضح لجوتاما حقيقة الحياة ،

وعرف سبيل النجاة ، وأدرك أين توجد السعادة الحقة . فأستنار ذهنه لكل ما كان غائبا عنه ، ولم يعد جوتاما شخصا عاديا ، أو زاهدا بسيطا ، وإنما أصبح « بوذا » أى المستنير الذى تبين له سر الألم فى الحياة ، واهتدى إلى كيفية الخلاص منه ، وتحقيق حياة لاتعرف الآلام والمسرات لأنها فوق الآلام والمسرات .

الفصل الرابع

طريق الخلاص

أخيراً اطمأن جوتاما على مصيره ، وحق له أن يهدأ ويستقر بعد أن عرف الطريق الذى يحول دون عودته للحياة من جديد . إلا أنه لم يعرف طريق الخلاص إلا بعد جهاد شاق طويل مضن : جهاد مع أهله ، وجهاد مع شهواته ورغباته ، وجهاد فى طلب المعرفة ، وجهاد فى تمحيص هـــذه المعرفة ، وجهاد فى مناضلة ما دب فيه من يأس وقنوط ، وجهاد فى مقاومة ما اعتراه من شك وريبة ، ثم تصميم أخير إلى بلوغ الحق ومعرفة طريق الخلاص أو يستشهد دونه.ولقد وفق فى جلسته الأخيرة تحت شجرة التين إلى الإهتداء إلى طريق الخـــلاص ، بينما كيانه كله كان يدور فى دوامة من الرغبات والشكوك ، ولقد وفق فى التغلب على هذه الشكوك بينما تحيطه طبيعة هوجاء تبعث فيه الفزع والقلق فعرف طريق الاستقرار وهو فى خضم متقلب من الأهواء ، وعرف طريق النجاة وكل ماحوله يوم بالهلاك .

وقد يظن أن طريق الخلاص قد طرأ على خاطر جوتاما فجأة دون مقدمات سابقة ، وأن جلسته الأخيرة هى التى هيأت له وضع أسس الخلاص دفعة واحدة ، ولكن لا شك أن فلسفة جوتاما الدينية ما هى إلا تعبير

صادق عن خلاصة تجاربه الروحية والدينية واتصالاته الاجتماعية . لقد أحس جوتاما منذ الصغر بما يشوب الحياة من نكد وكد ونصب وتعب ، وشعر بما يصاب به الإنسان من مصائب تبليه بالشيخوخة والمرض والموت فأوحت اليه مشاهداته ، وأهدته خبرته إلى أن الحياة أساسها الألم ، ولا تبعث الا على الحزن ، وهى سلسلة لا تنتهى من المخاوف والعذاب لا يستطيع أن يتخلص منها أحد مالم يبحث عن علة هذا الألم ويدرك أسبابه الحقيقية . فعرف جوتاما أن علة ما يعانيه من الألم يرجع الى الجهل أولا وقبل كل شيء ؛ ثم الى الشهوة خصوصا شهوة الحياة التى تسبب الولادة بعد كل موت. فإن الجهل يدفعنا الى حب الحياة والتعلق بمفاتنها ، وتمعن الشهوة فى طلب المزيد من اللذة والمتعة . وذلك يسوق الى اقتراف الخطايا والآثام ، ويشجع على الاعتداء على الآخرين طمعا فى ارضاء نزوات وأهواء لاتعرف الرضا. بينما الأفعال الآثمة هى التى تحدد الحياة المقبلة أى هى التى تربط الإنسان بالأرض وتسبب عودته الى الحياة بعد كل موت ، يعانى فيها الشقاء والحزن والخوف والشك والقلق .

أما من يعرف أن الجهل هو سبب شقائه ، وعلة عودته الى الحياة ، فيجب أن يبحث عن المعرفة الحقة التى تمحو جهله . ليتخلص من الآلام ، لأن القضاء على الآلام فيه قضاء على النتائج . فالقضاء على الجهل فيه قضاء على شتى صور الألم ، وان المعرفة الحقة هى التى ترحمنا من قسوة الآلام . وتتكون المعرفة الحقة من حقائق أربع هى :

١ - إن الحياة تقوم على الألم .
٢ - إن علة هذا الألم هو تعلق الشهوة بالحياة .
٣ - إن استئصال رغبة حب الحياه فيه استئصال للألم .
٤ - إن اتباع الطريق المثمن كفيل بالقضاء على حب الحياة .

ويجب أن يعرف الفرد هذه الحقائق الأربع بمطلق حريته دون أن تفرض عليه من قوة أرضية أو من تعاليم سماوية ، ويؤمن بها طواعية دون إلزام ، لأن المعرفة أساس طريق الخلاص ، فمن يجبر على الإيمان بمعرفة قد يشك فيها ، والشك يعوق النجاة من الآلام . كما أن مجرد معرفة الحقائق الأربع ، والاعتقاد فى صدقها لا يكفى للتحرر من توالى الولادات ، لأن معرفتها هو بداية طريق الخلاص ، وأن إلتزام هدى الطريق المثمن هو الذى ينجى من الآلام ؛ وينقسم هذا الطريق إلى ثمانى شعب وهى :

١ - العقيدة الصادقة .
٢ - النية الصادقة .
٣ - القول الطيب .
٤ - الفعل الحسن .
٥ - العيش السوى .
٦ - الجهد القيم .

٧ - الوعى السليم .
٨ - التأمل الصالح .

ولم يجد جوتاما أن هناك أفضل من عقيدته التى تقوم على الإيمان بالحقائق الأربع ، وعدم الارتباط بوجود الروح الفردية أو الروح الكبرى ؛ وأن ما يتناسخ ليست الأرواح المزعومة . فإذا آمن أحد بهذه العقيدة لا يكفى طالما كان سلوك الفرد غير فاضل ، ولذلك يجب أن يكون صافى النية ، طاهر الطوية ، لا يكن للغير أى شر أو حقد أو حسد ، يحب خير الجميع ويعمل لخير الغير على الدوام . وذلك لا يتحقق مالم يكن حلو الحديث . يتجنب الكذب والنفاق والرياء والنميمة والغيبة ، يتوخى الصدق فى القول ، ويبعد عن لغو الحديث ، فلا يسب أحدا سبا يشين سمعته ويخدش كرامته ، ولا يعنف فى القول . كما يجب أن يكون سلوكه فاضلا ، لا يأتى منكر الأفعال ؛ ولا يعتدى على حقوق الغير ، لا يقتل أى كائن حى ، ولا يسرق ، ولا يغش ، ولا يتعاطى الخمور والمخدرات ، ولا يزنى . لأن اجتناب مثل هذه الأفعال المشينة يقوم سلوك الفرد ، ويكسبه فضائل خلقية ، وخصال حميدة تهيىء له عيشة صالحة سوية . تعينه على اتباع طريق وسط لا يتمادى فيه فى طلب الملذات الحسية أو المغالاة فى تعذيب الجسد . ويقوم بجهد قيم فلا يقوم بصلوات أو يتلو عبادات ، ولا يهتم بأداء أى نوع من الطقوس والشعائر ، ولا يضيع وقته فى طلب رحمة إله أو معونة رب ، ولا يعتمد على تحقيق مأربه الا على أفعاله فقط لا غير ويوجه كل جهده

نحـو تطهير فـكرة وتصفية ذهنه فـلا يدع للشر سبيـلا الى عقله ويعمل على تنقيته من كل شر يكون قد تسرب اليه ولا يألو جهدا فى اشاعة الخير فى طيات الفـكر حتى يشمله من كل جانب . واذا ماطهر الإنسان لسانه وأفعاله وفـكره يـكون قد وصل الى مرتبة من الوعى السليم الصالح ، فيستطيع أن يتحكم فى الانفعالات الجامحـة والمشاعر المضطربة والرغبات الملحة والأفـكار الشريرة . بفضل ما اكـتسب من خصال خلقية عديدة ، ومن قوى ذهنية نبيلة . بذلك يسيطر على نزعاته ونوازعه ، ويتغلب على ميوله وأهوائه ، ويصل الى درجة من الطهارة يـكون فيها الذهن صافيا صفاءاً تاما ، فيقدر على تنقية عقيدته من الشكوك والريب ، وإذا تبدد الشك يقوى الإيمان بالحقائق الأربع وقوة الإيمان تدفع للتخلص من النواقص والعيوب ، فيتاح للذهن الصافى فرصة للتأمل الهـادىء فى الحقيقة المطلقة تأمـلا خاليا من كل مؤثر خارجى : لا تعوقه رغبة ، أو تعرقله شهوة فيسير على الدوام فى الطريق المثمن غير متخاذل حتى يقطع صلته بالوجود ، ولا يولد على الإطلاق ، لا فى الأرض أو فى السماء ، ويصل الى النرفانا حيث الهدوء المطلق والسكينة التامة والراحة الكاملة ، حيث لا يوجد آلام وأفراح ؛ حيث تبلى الشهوات وتنعدم الرغبات وتتلاشى الحواس ؛ حيث تصفى المشاعر وتستقر الأفكار . حيث السلام الدائم والرضاء المتواصل الذى لا يشوبه الشقاء والحزن والخوف والشك والقلق .

ولا يبلغ الإنسان النرفانا الا اذا سار فى الطريق المثمن إلى آخر مداه ولا يمكن لإنسان أن يقطع هذا الطريق فى حياة واحدة . ويحتاج الى آلاف

السنين يتردد خلالها على مختلف الكائنات الحية ، وينتقل فيها ما بين الأرض والسماء ، ويعمل فى كل منها على أن يتخلص شيئا فشيئا من النواقص العشر وهى :

١ - الوهم .

٢ - الشك .

٣ - العمل لكسب القوت

٤ - الشهوة الجنسية .

٥ - الكراهية والحقد .

٦ - حب الحياة الأرضية .

٧ - الرغبة فى الحياة السماوية .

٨ - الكبرياء .

٩ - الغرور .

١٠ - الجهل .

ويمكن أن يتخلص الإنسان من هذه النواقص بعد أن يمر بمراحل أربع . فى أول الأمر يجب أن يهجر الإنسان الحياة ، ويقطع صلته بالمجتمعات يستجدى طعامه . ولا يلجأ لعمل ليربح مالا يقتات منه أو يقوم بعمل يعود عليه بالفائدة بينما يضر الآخرين ثم يتخلص من كل الأوهام التى غرستها شتى الديانات فى العقول حتى لا يشك فى تعاليم بوذا أو يثق فى أثر الشعائر الدينية وتقريب القرابين للآلهة فى تحرير الإنسان من الآلام أما

إذا أضعف قوى شهواته ورغباته وأحقاده علاوة على الإيمان بالحقائق الأربع والسير فى الطريق المثمن فلن يعودالى الأرض إلا مرة واحدة. وعندما يقضى على الشهوة الجنسية والنزعات الشريرة والأنانية فلن يرجع الى الأرض وقد يعيش فى السماء بينما الإنسان الذى تحرر بمجهوده الخاص من كل الرغبات سواء أكانت مادية مثل الرغبات الأرضية والحسية أوغير مادية كالرغبة فى التمتع بنعيم الجنة فى السماء والحياة بقرب الآلهة ، وتحرر من الغرور والكبرياء والجهل فإنه لن يرجع لا الى الأرض أو الى السماء ولن يولد فى أجسام أرضية أو فى صور إلهية. وانما يبلغ النرفانا فيخرج من نطاق الألم والسرور ، ويصبح فوق الأحزان والأفراح ، ولا يأتى من الأفعال ما يربطه بالحياة فيعيش فى هدوء تام فى الخير المطلق وفى الحكمة السرمدية.

لقد عرف بوذا طريق الخلاص الذى يزيل سبة الجهل ، ويخمد نيران الشهوات ، ويؤدى الى المعرفة الحقة التى تحميه من شقاء الحياة ؛ فرسم البرنامج الذى يقضى على أسباب الشقاء ولكن معرفة الحقائق الأربع واتباع هدى الطريق المثمن ، والتخلص من النواقص العشر والسير فى مراحل طريق الخلاص الأربع حتى يبلغ منتهاها ، ويصل إلى حالة تخلو من الآلام والأحزان . . هل كل هذه الوسائل تحول دون عودة الإنسان من جديد الى الحياة سواء أكانت هذه الحياة فى الأرض أو فى السماء على صورة انسان أو على هيئة إله ! ؟ أن طريق بوذا فى تحرير الإنسان من الشقاء لا يختلف كثيرا عن طريق الديانات الأخرى المعاصرة له فى تحقيق السعادة الحقة. إلا أنه يختلف مع هذه الأديان فى أنه لم يقم وزنا للشعائر الدينية ، وأنكر

قيمة الصلوات والعبادات والدعوات وتقريب القرابين فى تحرير الإنسان من الإثم والآلام : ولم ينخدع بفائدة المجاهدات العنيفة القاسية التى تكيل العــــذاب للإنسان فى تحقيق السعادة . بينما يتفق طريق بوذا مع الديانات الأخرى فى سعيها الدائب لتطهير البدن من الشر بقهر الرغبات والأهواء والتحلى بالفضائل الخلقية عن طريق الابتعاد عن الحياة ، وعدم الانغماس فى متعها والإكتفاء باستجداء لقمة العيش يوما بيوم ؛ حتى تتحقق درجة من الطهارات الفكرية تمنح الذهن صفاءاً يتيح لمقدرة على التأمل الهادىء الرزين الذى لا يعكره شوائب المادة ونزوات الشهوة .

ولكن حينما ناقش بوذا أستاذيه أرادا ، وأدرا علم منهما أن قمع الرغبات وتطهير النفس قد يدعو إلى التحرر من كل ما يتعلق بالأرض ؛ فلا يعود بعد الموت اليها ، إنما يصعد ويعيش اما فى سماوات براهما أو يتحد ببراهما ويصبحان حقيقة واحدة . ولقد اعترض بوذا بأن الحياة فى السماء لا تختلف عن الحياة فى الأرض ، لأن الحياة تقوم على الألم والشقاء ، وأن اشتهاء الحياة فى السماوات يدل على حيوية الشهوة وقدرتها على الإغراء وبعث الرغبات . فالحياة فى السماء لا تختلف عن الحياة فى الأرض ويجب أن نتخلص منهما جميعا . أما عن القول باتحاد الروح الفردية بروح براهما الكبرى أمر لا يقبله العقل ؛ اذ كيف يفقد الفرد شخصيته الذاتية ؛ وتنعدم انيته فى رحاب روح كبرى ؟ لأنه لا بد أن توجد الروح الفردية فى الروح الكبرى على وجه من الوجوه ؛ وهذا الوجود يدعو الى العودة الى الحياة من جديد ؛

وهذا ما ينبغي تحرر منه. فالاعتقاد بوجود الروح الفردية ، والإيمان بامكان اندماجها في روح براهما فيها ترجيح للعودة إلى الحياة ؛ وبذلك لا تقف سلسلة الولادات عند نهاية . ولذلك ضحى بوذا بالروح لأنه أدرك أن الإيمان بها قد يقف حائلا بينه وبين النرفانا وضحى كذلك بالروح الكبرى لأن عقله لم يفهم كنة هذه الروح وطبيعتها ، ولم يدرك كيف يمكن أن تتحد بها الأرواح الفردية . فأنكر أن الإنسان مكون من جسد وروح لأنه أخذ ينقب عن الأجزاء التي يتكون منها الإنسان ؛ فوجد أنه مكون من مجموعة من الكيفيات المختلفة لا يوجد بينها الروح ؛ فلم يعترف بوجود الروح ، وأصر على أن الإنسان لا يخرج عن الكيفيات الآتية : ـ

أولا : الصفات المادية .

ومنها العناصر الأربعة من تراب وماء ونار وهواء ، ومنها أعضاء الحس الخمسة ، ومنها كيفيات المادة الأربع من شكل وصوت ورائحة وذوق ، وغيرها من العوارض المادية المختلفة كالمكان والحركة والتآكل والتغير والتبدل .

ثانيا : الحواس :

وهي ست حواس : منها الحواس الخمس المعروفه من بصر وسمع وشم وذوق ولمس أما الحاسة السادسة فهي التذكر .

ثالثا : الأفكار المجردة :

وهى الصور الذهنية للأشياء المحسوسة التى ترد الذهن عن طريق الحواس .

رابعا : الميول والإتجاهات الفطرية :

وهى ما يتصف به الفرد من ذكاء وغباء ومن غيرية وأنانية ، ومن استقامة وقوة شكيمة وفسق وضعف فى العزيمة .

خامسا : الفكر :

وهو القوة العاقلة الواعية .

وهذه الكيفيات الخمس تشمل الجسم وأعضاءه وقواه الحسية والشعورية والعقلية ، وليس بينها ما هو ثابت لا يتغير ، ولا تخفى وراءها مبدأ يقومها يسمى الروح . فإن الصفات المادية عرضة للتغير والتبدل ، وإن الحواس والذهن كثيرا ما تختلف إدراكاتها بالنسبة للفرد من حين لآخر ، لذلك كانت الإحساسات والمشاعر والأفكار متغيرة على الدوام لا تثبت على حال ، لأن الجسم متغير وتغير جميع أعضائه ووظائفه وقواه تبعا لتغيره . والأفكار متغيرة لأنها لا ترد إلى الذهن إلا عن طريق إتصال الحواس المتغيرة بالأشياء الخارجية المتغيرة أيضا ، بل إن الذهن لا يبقى على حالة واحدة فى لحظتين متتاليتين ، وهو فى تدفق مستمر كتدفق تيار النهر الذى لا تستقر قطرة من مياهه فى مكان واحد لحظتين متتابعتين . فالذهن فى تغير

دائم ، ولا يظل على حالة واحدة ، وليس الذهن إلا مجموع تلك التغيرات المتواصلة التى ليس بينها حقيقـــة ثابته مطلقة كالنفس أو الروح . فعند تحليل الإنسان إلى مكوناته الأولى لم يجد بوذا الروح فلم يجد ما يدعو إلى الإعتقاد بوجودها ، ورأى أن الروح ليست إلا اسما لا مسمى له ، وأنها وهم باطل لاسند له من الواقع ، والإيمان بها يعوق تحرير الانسان من الحيـاه . ولذلك لا يجب على أحد أن يتكلف بمشقة أداء الشعائر والمراسيم والطلاسم الدينية أو تقريب القرابين لتطـهير الروح من الآثام لأنه ليس هناك روح على الأطلاق حتى تطلب لهـــا الكفارة من أجل الطهارة . وإذا عجز بوذا عن العثور عن الروح الفردية فى الإنسان ، لا شك أنه عاجز أيضا عن العثور على روح براهما الكبرى فى رحاب الكون ، وزعم أن الجدل فى سبيل التدليل على وجودها ضرب من العبث لا يثير إلا مشكلات لفظية ، ونوعا من الحوار لا يؤدى الى حقائق حاسمة ، ولذلك يجب أن نتجنب الحديث عن الروح الفردية ، وأن نمتنع عن الدخول فى مناقشات حول الروح الكبرى حتى لا نتعب عقولنا بأمور عقيمة الجدوى .

ولكن كيف يتفق انكار وجود الروح مع الإيمـــان بالتناسخ ، لأن العرف المتـــداول بين الهنود هو أن الروح هى التى تتناسخ ، وتنتقل من بدن لبدن ، فان شق على بوذا أن يعثر على الروح فى الإنسان ، فكان الأولى به أن ينكر التناسخ كذلك ، اذ ما الذى يولد بعد كل موت ؟ وكيف ينتقل

الإنسان من حياة الى حياة أخرى ؟ وما الذى يربط حياة بحياة اذا كان جميع كيان الإنسان عرضة للتغير وليس فيه مبدأ ثابت..؟!

إن بوذا الذى ضحى بالروح لايستطيع أن يضحى بالتناسخ ، لأن عقيدة التناسخ ، فضلا عن أنها عقيدة شعبية سيطرت على تفكيره سيطرة تامة منذ الصغر ، فهى التى أخافته من الحياة ، وهى التى أوهمته بأن آلام الحياة لاتنتهى بالموت ، فإن تنكر للتناسخ لكان عليه يتذكر لنضاله التقشفى كذلك منذ أن بدأه بهجرة أهله إلى أن انتهى بالاستنارة تحت شجرة التين . فلا نعجب اذا اعتقد بوذا أن التناسخ حقيقة بديهية لا تحتاج لبرهان أو دليل ، ولم ير فيها حقيقة خارجة عن نطاق ادراك العقل البشرى ، وآمن بهما لأنه أحس فى داخليته بأنه عاش قبل ذلك مرارا . وكثيرا ما كان يتذكر قصصا حدثت له فى حياة سابقة ، وتذكر أنه ظهر فى كثير من الحيوانات من غزلان وقردة وأفيال وخيل وكلاب وفيران ، ومن زواحف وثعابين ومن طيور جارحة وبرية ومستأنسة ، كما تذكر أنه ظهر فى صور بشرية متنوعة ، فظهر عشرات المرات فى صور العبيد والزراع والتجار والأمراء والملوك والزهاد والملائكة . وبذلك تشهد حيــــاة الفرد الذهنية على أنه سبق أن وجد فى الحياة قبل حياته الحالية. فلم ينكر بوذا التناسخ كما أنكر الروح تمشيا مع منطق إنكار كل ما لم يجد له العقل أصلا واقعيا فى الخارج ، لأنه لايستطيع أن ينكر عقيدة شعبية لها آثار عميقة فى نظم المجتمع ، ورسخت فى أذهان الجميع مع مرور الزمن ؛ كما أنه لايستطيع أن ينكر جهاده فى التنسك الذى

اتخذ من التناسخ موجها ورائدا ، والا كان كل ما بذله من جهد وجهـــاد ونضال فى طلب المعرفة والسعـــادة لا مسوغ له ، وتكبد كل ما قاساه من تعذيب ومجاهدة من غير طائل ، وكان سعيه فى طلب النجاة نجاة نهائية من آلام الحياة غير مفهوم . إن رغبته القوية فى التخلص من توالى الشيخوخة والمرض والموت هى التى فرضت عليه أن يؤمن بالتناسخ دون أن يبحث عن المبررات العقلية التى تسند حقيقة التناسخ .

فإن كان بوذا يؤمن بالتناسخ ؛ الا أنه ينكر أن الروح هى التى تتناسخ ؛ أو هى التى تربط حياة بحياة، وانما الذى يوصل حياة بحياة هى الكارما التى ليست الا مجموعة النتائج المرتبة عن سلوك الفرد فى ولاداته السابقة، وهى التى تنتقل الى كل حياة جديدة . وان الحيوان والإنسان والملائكة جميعــا يموتون ويولدون فى صور تحددها الكارما أى أفعال الفرد الماضية وسلوكه السابق فى الولادات السالفة ؛ فقد يولد الإنســان فى صور أفضل أو أحط حسب الكارما . فالإحساسات الآثمة والأفكار الفاسقة والأفعال الشريرة تحط من نوع الحيــاة الآتية بعكس تجنب الآثام والفسوق والشر سواء فى القول او فى العمل والسير حسب هدى الطريق المثمن يجعل الحياة القادمة خيرا من حياته الحالية . ولذلك يجب على كل فرد أن يركز فكره، ويتأمل تأملا هادئا عميقا حتى يتذكر كل حياة عاشها قبل حياته الحالية، ويعى شتى تفاصيل أفعاله وظروفها حتى يلم بجميع أوزاره فى ولاداته السابقة ، ليعمل على ازالة آثارها ويتطهر من شرورها . ان حياة الإنسان نتيجة حتمية لخطاياه السابقة

فهو لذلك مسئول عن حياته الحالية مسئولية تامة . فإنه يمكنه أن يرفع من قيمتها أو يحط من شأنها بأفعاله وسلوكه . فليس للقدر أو للحظ دخل ما فيما يتمتع به من جاه أو سلطان وفضل ، وليس للصدفة أو للبخت أثر ما فيما يشقى منه من فقر وجهل وضعة . وليس للعناية السماوية سلطة ما فإن السماء لا تحاسب الإنسان فتعاقبه إذا أذنب وتحسن اليه اذا عمل خيرا . إنما سلوكه وسلوكه فقط هو الذى يعاقبه ويثيبه ، وأن نتائج أفعاله هى التى تحدد نوع حياته القادمة . أى أن الكارما هى التى تبعث صورته الجديدة . بل هى الصانع الأول لشتى صور الكائنات الحية . فإن نجح الإنسان فى القضاء على الكارما التى ليست إلا تبعة الأفعال أمتنع عن الظهور فى صورة من الصور الحية . ولا يمكن القضاء على الكارما الا بالامتناع عن الأفعال ذاتها سبب وجود الكارما . حتى لا يترتب على هذه الأفعال نتائج تكون كارما جديدة تنتقل من جسم لآخر . وإن السبيل الوحيد الذى يقضى على الكارما هو أولا : معرفة الحقائق الأربع ، وعدم الاعتراف بوجود الله ، والإيمان بأن الكارما هى التى تتناسخ وليست الروح . ثم اتباع خطى الطريق المثمن ثانيا حتى تتحقق النرفانا بعد أن تتناسخ الكارما على أجسام كثيرة متنوعة ، وتردد ما بين الأرض والسماء ، خلال أحقاب طويلة من الزمن . إن من يصل إلى النرفانا لا يأتى من الأفعال ما يسبب عودته الى الحياة ، فهو لا يأتى خيراً حتى يثاب عليه ؛ أو يقترف شرا حتى يعاقب عليه ويظهر فى صور من صور الحياة ؛ فـلا يوجد هناك داع لولادة جديدة ، ويمتنع السبب الذى يبعث الحياة : فيفلت من دائرة الولادات لأنه حطم قوى الشهوة التى ترغب فى متع الأرض ونعيم السماء ، فهلكت الكارما ، وزالت قوة بعثها للحياة

ولا يولد أبدا بعد ذلك . وهكذا وصل بوذا للاستنارة بعد أن عرف طريق التخلص من الشهوة بالقضاء على الكارما الذى أدى القضاء عليها الى الامتناع عن الأفعال الخيرة والشرير جميعا . وبفناء الكارما يبلغ الإنسان النرفانا حيث لا آلام ولا أفراح حيث الهدوء التام والسكينة المطلقة وهى نهاية الرحلة الإنسانية ونهاية مطاف كل طالب للخلاص من الآلام لأنه لن يولد بعد هذه الحياة ، ولأنه بلغ آخر مراحل الحياة حيث لاشىء على الإطلاق، وحيث العدم الذى ليس بعده وجود .

الفصل الخامس

بوذا ينشر دعوته

وما أن اطمأن جوتاما على بلوغ هدفه ، وأصبح بوذا المستنير ، وتخلص من آلام الحياة ، وأدرك أن حياته الحالية هي الحلقة الأخيرة فى سلسلة الولادات التى مر بها ، وتأكد من أنه لن يولد بعد هذه المرة ، لأنه بلغ مرتبة النرفانا التى ليس بعدها موت أو حياة وليس فيها آلام أو أفراح ؛ حتى راود عقله أفكارا متضاربة بخصوص الاحتفاظ بسر الخلاص من آلام الحياه أو إعلانه على الملأ ، إذ خشى أن لا يفهم طريق الخلا عامة الناس . لأن بينهم الذكى والغبى ، والخير والشرير ، المنغمس فى لذا الدنيا والمنصرف عنها ، المرتبط بالأرض بروابط قوية والمتحرر منها . ولا يمكن أن يفهم النظرية البوذية إلا الحكيم الذكى الخير المسيطر على الشهوات المتحرر من الأهواء والرغبات . ولذلك تردد بوذا فى أول الأمر فى نشر تعاليمه خوفا من ألا يفهمها أغلبية الناس ، وتضيع جهوده سدى بدون فائدة ، وفضل أن يحتفظ بأسرار تعاليمه لنفسه . ولكن ما يغمر الإنسانية من شقاء وبؤس ، وما يعانيه الناس من الآلام والأحزان دفعة لأن يسعى لإنقاذ البشرية مما تعيش فيه من عذاب مرير ، فعزم على أن يعلن ما وصل إليه من معرفة رحمة بالبشرية وحبا لإخوانه فى الإنسانية ، ولم يكترث

لأى نوع من الصعوبات مستعدا أن يتحمل فى سبيل نشر تعاليمه مختلف المتاعب وأن يواجه شتى العقبات ، وعقد النية على أن يحرر الإنسان من شهواته وأهوائه ، ويبين له الطريق السوى الذى يقوده إلى النجاة من عذاب الأرض ، ويهدى الجميع إلى الحق الذى ينقذهم من نكد الحياة .

ثم أخذ بوذا يفكر فيمن يستطيع أن يفهم كنه تعاليمه فهما صحيحا ليبدأ بإعلان هذه التعاليم إليه ، فخطر على باله أن يبدأ بإعلان دعوته إلى أستاذه أراداراما الحكيم الذكى الخير الذى بلغ درجة رفيعة من الطهارة والصفاء الذهنى . ولكن حينما ذهب إليه وجد أن المنية قد وافته قبل ذهابه بسبعة أيام . فتوجه الى أستاذه الثانى أدراراما وهو لا يقل عن أستاذه الأول ذكاء وطهارة إلا أنه توفى كذلك فى مساء اليوم السابق على ذهابه اليه . ثم فكر فى أمر المريدين الخمسة الدين قاموا برعايته مدة ست سنوات المجاهدة الشاقة وانفصلوا عنه لرجوعه عن المجاهدات والتعذيب الجسدى .
وحيث أنهم يقيمون ببلدة إيسباتانا القريبة من بنارس فى غابة الغزال استراح بوذا فترة من الزمن فى غابة أورفيلا ثم سار اليهم . ولما اقترب منهم وشاهدوه عن بعد قالوا لبعضهم بعضا إن جوتاما قد تنكب عن الطريق الحق وانصرف الى متع الحياة ، وتوقف عن المجاهدة والتعذيب الجسدى ورجع الى الحياة العادية ، وقد امتلأ جسمه ، وتيقظت حواسه ، وجملت تقاطيع وجهه ، وهو لا يستحق منهم الاحترام أو التبجيل ، ولا يجب أن يظهروا له شيئا من الترحيب ، ولكن حيث أنه من طائفة الكشاتريا ومن

أصل طيب ومن نسل الحكام فلا مانع من أن يعرضوا عليه الجلوس معهم فقط لا غير . الا أنه عندما قدم نحوهم لم يقدروا أن ينفذوا ما قد صمموا عليه واذا بهم يقفون احتراما له وانحنوا تعظيما لمقامه ، وأظهروا له كثيرا من الترحيب فأخذ أحدهم يعد وسادة الجلوس ، وأحضر آخر الماء ليغسل قدميه وبالغوا فى اكرامه ، إلا أنهم كانوا يخاطبونه باسم عائلته العادى ، فنبههما الى أنه لا يجوز مخاطبته باسمة لأنه وصل الى مرتبة الاستنارةوأصبح بوذا أى المستنير الذى يحيط بالحقائق الأولى وبلغ نهاية طريق الخلاص ولذلك يجب عليهم أن ينادوه باسم بوذا ، فتعجب المريدون الخمسة من بلوغ جوتاما مرتبة الاستنارة إذ كيف يصبح بوذا بعد أن أقبل على متع الحياة ، وأدبر عن المجاهدة والتعذيب الجسدى ! ؟ فأخذ بوذا يعرفهم بأفكاره الجديدة فى الطريق الوسط الذى لا يغالى فى الزهد والتقشف والمجاهدة والرياضة ولا يبالغ كذلك فى طلب المتع الأرضية ولا يطلب من الطعام والشراب الا ما هو ضرورى لحياته ويكفل للذهن اليقظة والحيوية والصفاء . ونظرا لقدوم فصل الصيف الممطر اضطر بوذا أن يقيم معهم فى غابة الغزال . وكان يتناوب هؤلاء النساك يوميا فى استجداء الطعام الذى يأكلونه جميعا . فكان يبقى يوما ثلاثة منهم مع بوذا ويذهب الآخران للقرية المجاورة لاستجداء الطعام وفى اليوم التالى يبقى مع بوذا إثنان ويذهب الثلاثة الآخرون لإحضار الطعام. فتمكن بوذا من أن يلقن لمن يبقى معه تعاليمه . وبعد خمسة أيام عرف الكل شتى نواحى مذهبه ، وآمنوا بصدقها ولقد كانوا عرضة للولادة من جديد فلما أقبلوا على تعاليمه بلغوا مرتبةالنرفانا

وتحرروا من سلسلة الولادات ونجوا من عذاب الحياة .

وكان يعيش فى ذلك الوقت تاجر ثرى له ابن وحيد شاب يدعى ياسا . وقد أتاح له والده جميع وسائل المتعة . فانغمس فى الملذات ، ونعم بسكنى ثلاث قصور ينتقل بينها كلما تغير فصل من فصول السنة . وكان يسكن قصر فصل الصيف الممطر ، يحيط به الراقصات والمغنيات . وحدث أن ضاق ياسا ذرعا بحياة اللهو ، فقام من نومه فى ذات يوم مبكرا بعد ليلة صاخبة فشاهد محظياته وهن نائمات فوجد منهن من يغطن فى نومهن غطا مزعجاً ؛ ومنهن من يسيل اللعاب من فيهن بشكل تشمئز منه النفوس ومنهن من تبعثر شعرهن ، واختلطت زينتهن فبدا قبحهن ، ولاحظ ياسا ماهن عليه من دمامة وتقزز من منظرهن ، فغمرت الكآبة نفسه . فخرج من قصره من غير هدف هائما على وجهه حتى ذهب بعيدا خارج المدينة واقترب من بلدة إيسباتانا التى بها بوذا والنساك الخمسة . وبينما كان يسير فى غابة الغزال كان يتأوه حزنا وحسرة وألما ، وصدر عنه أنين مكتوم ينم عما يعانيه من عذاب ورغبة فى الخلاص منه ، فسمع بوذا تأوه وأنينه وشاهد مشيته المضطربة القلقة ، ولاحظ هيئته الحزينة . فتقدم إليه ودعاه للجلوس ورحب بمقدمه ، ثم أخبره بأن عنده ما يريحه مما يعانيه من عذاب وحزن . وأخذ يلقى عليه تعاليمه التى أعادت إليه الإطمئنان .

أثناء تلك الفترة كانت أم ياسا ذهبت إلى حجرة نومه . فلما لم تجده انشغل بالها ، وأيقظت والده ، وطلبت منه أن يبحث عنه . فأرسل بعض

الرجال الى أركان مدينة بنارس الأربعة . وذهب هو بنفسه إلى بلدة ايسباتانا ، فشاهد بوذا والد ياسا عن بعـــد ، ولما اقترب منه رحب به . وفرح التاجر الكبير برؤية ابنه ثم دعاه بوذا للجلوس ، وأخذ يلقى عليه كذلك تعاليمه فاقتنع بها التاجر وآمن بها . ولما عاود ياسا الاستماع إلى تعاليم بوذا استنار فكره ، ونظرا لأن أعماله فى حياته السابقة كانت فاضلة تحرر من الشهوات بسرعة وبلغ مرتبة النرفانا ، وخرج من دائرة الولادات ، وأبلغ أباه بأنه لا يستطيع أن يعود إلى حياته السابقة بعد أن وصل الى الاستنارة . ولكن والده ألح عليه ليعود لأن والدته تكاد تموت من شدة البكاء والحزن فأخبره بوذا بأن ياسا لا يستطيع أن يعود الى حياة الشهوات والرغبات بعد أن تحرر منها . فما كان من التاجر الثرى إلا أن دعا بوذا وياسا إلى قصره ليقنع بوذا والدة ياسا بذلك . فلما ذهب بوذا وياسا الى قصر التاجر جلست بجوارهما أم ياسا وزوجته اللتان أخذتا تنصتان إلى أحاديث بوذا التى قصد بها تطهير الذهن وإزالة ما به من أوهام واعداده لقبول تعاليم بوذا . بعد أن أخذت الأم والزوجة فى إعداد الطعام وانتهى بوذا من تناوله ألقى عليهما دروسا فى الحقائق الأربع وبقية تعاليمه حتى آمنا بها فكانت أم ياسا وزوجته من أوائل النساء اللاتى اعتنقن تعاليم بوذا .

ولما سمع أقرباء ياسا وأصدقاؤه بأنه هجر الحياة وحلق شعر رأسه ولحيته ، وارتدى اللباس الأصفر وأصبح زاهدا يشحذ طعامه ذهبوا لمعرفة تعاليم الدين الجديد ، فقادهم الى بوذا ، ولما عرفوا منه تعاليمه آمنوا بها ، وبلغوا

كذلك مرتبة النرفانا . ولما انتشر خبر ايمان ياسا وأقاربه وأصدقائه بدين بوذا أقبل على بوذا عشرات الأهالى ليخلصهم من عذاب الحياة حتى بلغ عدد من اعتنق تعاليمه ووصل الى مرتبة الاستنارة حوالى واحد وستين فردا وما أن تأكد بوذا من أنهم عرفوا تعاليمه معرفة تامة واضحة طلب منهم أن يتفرقوا جميعا ـ ماعدا ياسا الذى ظل بجوار والدته ـ فى جميع أنحاء البلاد ، وينشروا التعاليم البوذية بين الأهالى ، ويهدوهم الى طريق النجاة من عذاب الحياة .

أما بوذا فذهب بمفرده الى بلدة سيتا التى تقع عند سفوح جبال كيا كا بالقرب من غابة أورفيلا حيث يسكن مشاهير الزهاد ، وتوجه إلى الناسك كاشيابا الذى كان يعيش هو وجماعته فى هذه الغابة . وكان كاشيابا وجماعته يعبدون الإله كريشنا ، ويسجدون للنار . لما طلب منه بوذا أن يقضى الليل عنده لم يكن هناك مكان خال غيرغرفة للنار المقدسة ، وخاف كاشيابا أن يعرضها على بوذا حتى لا تؤذيه الحية القائمة على حراسة النار . الا أن بوذا قبل أن ينام فى هذهالغرفة بالرغم من أنه يسكنها حية شريرة . وما أن دخل بوذا الغرفة حتى هاجمته الحية ، ولكن بوذا ظل هادئا ساكنا لم يتحرك فلدغته الحية عدة مرات ، فأحنى بوذا رأسه فظن كاشيابا أن الحية قد قتلت بوذا . ولما بزغ نور الصباح ذهب كاشيابا وأتباعه إلى بوذا ، فدهشوا لأنهم وجدوا بوذا مازال حيا وأن الحية ميتة فى طاسة بوذا ، فاحترموا بوذا أشد الاحترام وعظموه تعظيما كبيرا . فأخذ بوذا يهيء كاشيابا الذى يعبد

النار ليقبل تعاليمه بأن يبين له العلاقة بين النار المشتعلة ونار الشهوة ، وكيف أن لهيب الرغبات يملأ الإنسان حزنا وغما وقلقا واضطرابا وخوفا مما يجعل الحياة قاسية مضنية ؛ وبعد ذلك استطاع أن يشرح له الحقائق الأربع والطريق المثمن الذى يقود الى النرفانا . فآمن كاشيابا بتعاليم بوذا ولقد استطاع كاشيابا بنفوذه على أتباعه أن يحولهم جميعا الى البوذية ، فألقوا فى النهر المشاعل والأوانى التى تستخدم فى إشعال النار ، فلما جرف التيار هذه الأوانى بعيدا شاهدها أخان لكاشيابا وهما جادا ونادا ملقاة فى عرض النهر ، فظن الأخوان وأتباعهما أن حدثا خطيرا نزل بأخيهما ، فقاما لتوهما إلى كاشيابا لاستطلاع الخبر . فإذا بهما يريانه مرتديا الملابس الصفراء هو وأتباعه . وأخذ بوذا يطلعهما على تعاليمه فآمنا بها هما وأتباعهما . وبذلك آمن الزهاد الثلاثة وأتباعهم بتعاليم بوذا ، وانصرفوا عن عبادة النار التى لا ترمز إلا الى الشهوة الجامحة والأهواء المتقلبة الفتاكة . هكذا استطاع بوذا بمهارته فى الجدال والمناقشة وبقوة حجته أن يحول ثلاثة من مشاهير الزهاد الى دينه الجديد فضلا عن أكثر من ألف شخص من أتباعهم . ولقد كانت سياسة بوذا فى نشر تعاليمه تسير على هذا المنوال على الدوام . واذا كان يعتمد على الجدال الهادىء والمناقشة الرزينة التى تنتهى بالإقناع دون أن يفرض دينه بالقوة أو يعمد الى سب الأديان الأخرى وتسفيه تعاليمها لكى يكسب عضواً جديداً . كما كان بوذا يهتم بإقناع كبار الزهاد بصدق

تعاليمه لم لهم من سلطان على عدد كبير من الأتباع . فمجرد أن يقتنع الزاهد الأكبر حتى يقبل جميع أتباعه على دينه .

وبعد أن أمضى بوذا ثلاثة أشهر فى غابة أورفيلا توجه هو والزهاد الثلاثة وأتباعهم الى مملكة ماجادها التى تقع فى شرق وادى الجنجز ، وتمتد حوالى مائة ميل جنوب نهر الجنجز ومائة ميل شرق نهر سوما الذى يخرج من نهر الجنجز ويتجه شمالا بين جبال الهمالايا . ولقد قصد من زيارته مملكة ماجادها أن يفى بوعده ويزور الملك بمبسارا بعد أن وصل الى طريق الخلاص . فلما اقترب من مدينة راجاجريها أقام فى غابة استاف . وعندما سمع بمبسارا بقدوم بوذا خرج إليه فى وفد كبير من رجال الحاشية وكبار رجال الدولة وحشد كبير من أفراد الشعب . وحينما رأى بمبسارا بوذا عن بعد نزل من مركبته وسار إليه ، ثم ركع تحت قدميه . بعد ذلك سأله عن صحته وأحواله ورحب به بوذا ودعاه للجلوس .

وما أن شاهد الأهالى الزهاد الثلاثة حتى اختلط عليهم الأمر ، ولم يتعرفوا على بوذا ، أما بمبسارا فقد استغرب لوجود هؤلاء الزهاد مع بوذا ، ثم أدرك أنهم أصبحوا من أتباع بوذا ، فكبر قدرته على اقناع زهاد من مشاهير رجال الدين بدينه الجديد . ولقد استطاع بوذا أن يقرأ ما يدور بخلد بمبسارا ، فسأل كاشيابا عما دفعه لترك عبادة النار ، فاخبره بأن عبادة النار لا تنقذ أحدا من الآلام والأحزان ، ولا تقطع صلة الإنسان بالحياة أو تحرره من دائرة الولادات ، وأن النار رمز للشهوة التى تزودها الحواس بالوقود الذى يزيد من سعيرها . ولقد أثار حديث كاشيابا اهتمام بمبسارا ، وشوقه لمعرفة المزيد من تعاليم بوذا فلما أخذ بوذا

يوضح له هذه التعاليم أنصت اليه بشغف زائد فأخبره بوذا بأن تعاليمه تبدأبهجرة الحياة ثم معرفة الحقائق الأربع واتباع هدى الطريق المثمن الذى يؤدى فى النهاية الى النرفانا التى ليس بعدها موت أو حياة ؛ وليس فيها ألم أو لذة . وما أن انتهى بوذا من حديثه حتى آمن بمبسارا بتعاليم بوذا واعتنق عقيدته .

وفى اليوم التالى كان قد انتشر خبر اعتناق الزهاد الثلاثة وبمبسارا عقيدة بوذا ، فتجمع الأهالى حول الكهف الذى يعيش فيه بوذا فى غابة استاف ليروه ، ويستمعوا إلى تعاليمه . ولقد آمن حشد كبير منهم بالعقيدة الجديدة وتعلقوا ببوذا تعلقا شديداً حتى إذا سار فى طرقات المدينة التفوا حوله . وعندما كان يسير بوذا وقت الظهيرة نحو قصر بمبسارا لتناول وجبته اليومية كانت تحيط به جماهير الشعب . وعندما يصل إلى القصر يستقبله بمبسارا بكل ترحيب وتبجيل . ونظرا لأن غابة استاف كانت تبعد عن راچاجريها حوالى ستة أميال وكان قطع هذه المسافة سيرا على الأقدام يتعب بوذا وأتباعه ، شيد بمبسارا استراحة فى غابة قريبة عرفت باسم غابة بمبسارا أوغابة ڤلوڤانا. وهى تقع على أحد التلال التى فى شمال رچاجريها ويجرى فى وسطها مجرى من الماء يتجه نحو الشمال . ولقد أهدى بمبسارا هذه الغابة بما فيها من استراحة لبوذا وجماعته ، فقبلها بوذا شاكرا ، وأقام فيها ما يقرب من شهرين ، كان يخرج أتباعه فى أثنائها الى المدينة لاستجداء الطعام . وكان الأهالى يرحبون بهم ، ويتسابقون على اعطائهم كثيرا من المأكولات . وكل ذلك ساعد على ذيوع

صيت بوذا فى كثير من البلاد المجاورة ، إذ شاع بين سكانها وقبائلها بأن هناك زاهدا جديدا بلغ مرتبة الاستنارة قد ظهر فى الكون . فأخذت تفد اليه الوفود لتتعرف على تعاليم بوذا ، وما أن سمعتها حتى آمنت بها واعتنقتها .

ولما سمع أعظم زاهدين فى ذلك الوقت بخبر ظهور بوذا المستنير توجه موجاللانا وساريبوترا وأتباعهما الى غابة فلوفانا حيث يقيم بوذا واستطاع بوذا بما وهب من قدرة على الجدال ومهارة فى الإقناع أن يحولهما وأتباعهما الى دينه . ولقد بلغ تعظيم بوذا لهذين الزاهدين الكبيرين حدا كبيرا اذ جعل لهما مكانة ممتازة بين أفراد الجماعة . ولقد أثار ذلك شعورا بالحنق بين أفراد الجماعة مما دعا بوذا لأن يهتم بوضع النظم التى تحدد علاقة أعضاء الجماعة ببعضهم بعضا ، وتعين الأحوال والظروف التى يمكن أن يصل فيها العضو الى مركز رفيع بين أعضائها . وبذلك وضع بوذا البند الأول لقانون الجماعة . وكان من بين التشاريع الأولى التى حث بوذا على اتباعها هو عقد اجتماعات دورية يلقى فيها دروسا فى البوذية . اذ اعتاد زهاد رجاجريها ونساكها فى ذلك الوقت أن يعقدوا اجتماعات دورية فى أول الشهر القمرى وفى منتصفه يحضرها الأهالى . ويستمعوا الى تعاليمهم ، فطلب بمبسارا من بوذا أن يعقد مثل هذه الاجتماعات حتى تتضح التعاليم البوذية فى أذهان الأهالى . فأخذ بوذا يعقد هذه الاجتماعات ويلقى فيها دروسا فى المبادىء البوذية ، ثم وضع تشريعا ينظم عقد مثل هذه الاجتماعات بعد أن صار عقدها تقليدا بوذيا .

بالرغم من جهود بوذا فى توضيح تعاليمه للأهالى ، فإن حماستهم للبوذية أخذت تفتر ، واقبالهم عليها أخذ يقل ، كما تعرض أتباعه لاضطهاد الأهالى. فعندما كانوا يخرجون يوميا لاستجداء الطعام كان الأهالى يستقبلونهم بالسخرية والسب . لأن الدين الجديد يفرض على من يعتنقه أن يهجر الحياة الاجتماعية فى جميع صورها ، وأن يهجر أهله وأولاده ، فسلب البيوت ممن يعولها من الرجال مما يؤدى الى خراب البلد . فأخذ أتباع بوذا يشكون اليه سوء معاملة الأهالى لهم ، وكيف أنهم يتهمون بوذا بأنه يعمل على تحطيم أسس الحياة العائلية مما يهدد البلد بالدمار والخراب . الا أن بوذا أجاب بأن ما يسميه الأهالى بالخراب هو السعادة الحقة وأنه لا يسعى الا اطلب الحق ، ويسير فى نفس الطريق الذى سار فيه كل المستنيرين الذين سبقوه . وأنه لا يجبر أحد للانضمام الى جماعته ، وأنه لا يستخدم من الأسلحة الا الجدل والإقناع . وهؤلاء الذين كسبهم الى جماعته كسبهم بالصدق والحق الذى أعلنه لصالح الجميع .

ومن حسن حظ بوذا أنه بينما كان يجد فى وضع أسس نظم جماعته ، ويجتهد فى توطيد أساليب مزاولة عقيدته ، ويهتم بالرد على انتقادات الشعب لتعاليمه لم تكن الديانة الهندوكية قد تبلورت تعاليمها واستقرت فى النفوس . ولم يكن لها كهانة منظمة يمكن أن تقف فى وجه تعاليم بوذا ، وتناقشها مناقشة عنيدة وتحاربها محاربة جدية تزيد من عداء الشعب لها . ولذلك لانعجب اذا لم تؤثر انتقادات الشعب للبوذية فى انتشار دعوة بوذا ، خصوصا بعد أن احتضنتها

الأسرة المالكة ، وآمن بها الأمراء ، وأخذ يحميها الحاكم ويحث على ذيوعها في أرجاء بلاده .

وفى تلك المدة علم سودهودانا والد جوتاما بأن ابنه أصبح بوذا المستنير الذى يرشد الناس الى طريق الخلاص ، وأنه بلغ مناه . فتاق سودهودانا لرؤية ابنه فأرسل له رسولا من رجال حاشيته يصحبه عــدد كبير من الأهالى لكى يقنعوه بالعودة الى كابيلافستى . الا أن بوذا تمكن من أن يقنعهم جميعا باعتناق البوذية ، ولم يرجع أحد منهم لسودهودانا الذى اضطر أن يختار شخصا شديد الولاء له فأرسل كالودايين رفيق بوذا فى صباه . وقبل أن يرحل أخبره سودهودانا أنه لا يهمه اذا ما اعتنق البوذية أو لم يرض عنها انما يهمه أن يعود اليه ويخبره بأحوال بوذا فوعده كالودايين بأنه سيعود وسيطلب من بوذا أن يزور أهله . ولما وصل كالوادييناالى بوذا استطاع بوذا أن يدخله فى عقيــدته الا أن كالودايين استطاع أن يقنع بوذا بزيارة أبيه وبر بوعــده وعاد الى سودهودانا وبلغه نبأ زيارة ابنه لكابيلافستى .

وكان بوذا يود أن يرحل فى الحال لأنه كان يرى أنه يجب أن ينتقل من بلدة الى بلدة ينشر دعوته طوال السنة وفى جميع الفصول سواء فى فصل الشتاء أو فى فصل الصيف أو فى فصل الأمطار الا ان اتباعه اخبروه بأن جميع المعلمين السابقين لم يرتحلوا فى فصل المطر اذ ان مطر الهند غزير شديد يصعب فيه التنقل ويعوق السير . فسار بوذا على منوال الزهاد المعلمين

القدامى وامتنع عن السفر فى فصل المطر ، وظل فى غابة فلوفانا إلى أن انتهى فصل المطر ثم خرج من مدينة راجاجريها . ومعه عشرات الألوف من المريدين وتوجهوا إلى كابيلافستى التى تبعـــد عن راجاجريها بحوالى ستين فرسخا ، وكانوا يمشون فرسخا كل يوم ، فوصلوا إلى كابيلافستى بعد شهرين سيرا على الأقدام ، ولما علم الأهالى بقدوم بوذا أعدوا له غابة نيجرودها القريبة من كابيلافستى ليقيم بوذا وجماعته فى استراحتها . ولما قرب بوذا من المدينة خرج الأهالى جميعا من أطفال ونساء ورجال لاستقباله والترحيب بقدومه . ولما نزل بوذا وجماعته فى استراحة غابة نيجرودها التى أعدها الأهالى لهم ذهب اليه أبوه وأعمامه وأخواله وجميع أقاربه للترحيب به لزيارته لبلدتهم ، وللتمتع برؤيته بعد طول غياب . ولقـــد كان سودهودانا سعيدا كل السعادة برؤية بوذا ، حتى أنه فى غمرة الفرح نسى أن يدعو ابنه وجماعته لتناول الطعام فى قصره أثناء اقامتهم فى ولايته ، وعاد سودهودانا وأسرته إلى قصورهم دون أن ينتبهوا إلى خطأهم .

وفى اليوم التالى خرج بوذا مع بعض مريديه من غابة نيجرودها وقصدوا إلى مدينة كابيلافستى لاستجداء الطعام من الأهالى كعادته فأخذوا ينتقلون من باب الى باب يطلبون ماتجود به الأهالى من طعام . وسرعان ما انتشر الخبر فى المدينة ، وسمع سودهودانا بأن ابنه يسير فى الطرقات يشحذ طعامه ، ففزع من هذا الخبر ، وأسرع فى الذهاب إلى بوذا فى غابة نيجرودها وأخبره عن تألمـــه وحزنه لأنه يشحذ طعامه بينما هو ابن ملك ، وأنه

باستجدائه يجلب له الخزى والعار ، وما كان عليه أن يشحذ فإن أباه فى استطاعته أن يضيف جميع أفراد جماعته . فرد عليه بوذا بأن استجداء الصدقات من تقاليد جماعته ، ويشرفهم أن يشحذوا طعامهم ، وأنه ليس من نسل الملوك وإنما هو من نسل المستنيرين وهم جميعا يشحذون طعامهم .

فتدارك سودهودانا ماوقع فيه فيه من سهو ، ودعابوذا لزيارته فى القصر وتزويد جماعته بما يلزمهم من مأكولات . ولما وصل بوذا الى قصر أبيه أحسن أهله استقباله ، ورحبوا به ترحيبا عظيما ، إلا أنه لا حظ تغيب زوجته يزودهارا ، اذ لم يشاهدها بين المستقبلين ، فظن أنها تريد أن يذهب هو اليها ليشعرها بأنها مازالت عزيزة عليه فضلا عن أنها لا تستطيع أن تقوم بواجب الترحيب به على الوجه الأكمل إلا فى حجرتها الخاصة . ولم يتردد بوذا فى الذهاب اليها ، واصطحب معه ناسكين من مريديه ، وحذرهما من ألا يمنعاها من احتضانه إذا ما حاولت ذلك بالرغم من أن القانون البوذى يحرم أن يلمس البوذى إمرأة أو تلمسه إمرأة . ولكن لما شاهدت يزودهارا زوجها مرتديا ملابس النساك الصفراء وبرأس محلوقة — وبالرغم من أنها كانت تعلم أنه سيكون على هذه الحالة — لم تستطع أن تسيطر على مشاعرها ، وسقطت على الأرض ، وأمسكت قدميه ثم انفجرت فى البكاء . ثم تذكرت الهوة الشاسعة التى بينها وبينه فوقفت بعيدة عنه . ولما شاهد سودهودانا هذا المنظر المؤثر أخبر بوذا بأن زوجته ظلت وفية له مخلصة لحبه ، ورفضت أن تعيش حياتها المترفة ، ولم تقبل الا حياة الزهاد ، فكانت تكتفى بتناول

وجبة واحدة فى اليوم كالبوذيين ، ولم تنم إلا على حصير على الأرض ، ورفضت أن تعود إلى أهلها عندما طلبوا منها ذلك بعد أن هجرها زوجها . فأخبرها بوذا بأنها تعيش فعلا حياة طاهرة عفيفة . ويرجع ذلك إلى أفعالها الفاضلة السابقة ، فطلبت منه يزودهارا أن تنضم إلى جماعته وتصير ناسكة ولكن بوذا رفض لأنه لم يكن يرغب فى أن تلتحق النساء بجماعته .

وكان اليوم الثالث يوم زفاف أخيه الأصغر ناندا إلى أجمل فتاة فى المدينة ، فذهب إليه بوذا وأهداه طاسة الشحاذة فلم يستطع أن يردها واضطر أن يقبلها منه بالرغم من حبه الشديد لفتاته مع أن قبول الطاسة معناه أنه رضى أن يهجر الحياة ، ويمتنع عن العلاقات الجنسية ، فحزنت فتاته لأن ناندا هجرها فى يوم زفافها . وبعد أسبوع ألبست يزودهارا إبنها راهولا من بوذا أحسن ثيابه، وأخبرته أن يذهب إلى أبيه ، ويطلب إرثه الشرعى . فقال راهولا إنه لا يعرف أبا غير سودهودانا ، وتساءل عما يكون أبوه الحقيقى . فأخذته أمه إلى النافذة ، وأشارت إلى بوذا قائلة : إن هذا الناسك هو أبوك ، وعنده ثروة عظيمة لم ترها منذ اليوم الذى هجرنا . لذلك يجب أن تذهب اليه ، وتطلب حقك فى هذه الثروة ، وقل له إنك إبنه ، وستصبح زعيم قبيلة ساكيا ، وفى حاجة إلى نصيبك فى الثروة التى يملكها ، فذهب راهولا الى بوذا ، وقال له دون خوف أو تردد ، وإنما بشوق زائد « أبى كم أنا سعيد أن أكون بجوارك وأريد نصيبى فى ثروتك » فلم يرد عليه بوذا وكان قد انتهى من وجبته اليومية فقام ليذهب الى غابة نيجرودها ، فسار

راهولا خلفه . وبينما هو فى الطريق أخذ يفكر فى أمر الثروة التى يطلبها منه ابنه راهولا ، بينما هو لا يملك إلا دينه الجديد ، فعزم أن يعلمه هذا الدين ولعل والدته كانت تهدف الى ذلك . فطلب بوذا من ساريبوترا أن يلحق إبنه راهولا بالجماعة . ولما سمع سودهودانا بذلك حزن حزنا شديدا ، لأن ابنه ناندا الأخ غير الشقيق لبوذا قـــد أصبح مريدا له ، وانضم لجماعته وبذلك فقد ابنيه ، والآن يفقد حفيده هو الآخر ولا يجد من يرث عرشه من بعده . فذهب الى بوذا ، وطلب منه أن يسن قانوناً لجماعته بأن لا يقبل عضوا جديدا فى المستقبل فى جماعته من الشبان الصغار دون السادسة عشر إلا بعـــد موافقه والديه فرحب بوذا بهـــذا الطلب وجعله بندا فى قانون جماعته .

بعـــد ذلك غادر بوذا كابيلافستى ، وتوجه الى راجاجريها ، إلا أنه توقف وهو فى الطريق عند بلدة آمنيوبيا التى تقع على ضفاف نهر آنوما ، واستراح فى غابة مانجو قريبة من ذلك المكان الذى سبق أن طلب فيه من تشانا السائق أن يتركه يوم أن قرر هجرة قصر أبيه . وبينما هو فى هـــذه الغابة زاره حشد كبير من أفراد قبيلة ساكيا وقبيلهزوجته كولى على رأسهم أناندا الذى أصبح صديق بوذا الحميم وديفاداتا الذى أراد أن ينافس بوذا فى زعامة البوذيين ويوبالى الذى صار من أكبر قادة الجماعة ، وزاره كذلك أنورودها الذى أصبح فيلسوف البوذية ،ولقـد دخل عدد كبير من قبيلتى ساكيا وكولى فى جماعة بوذا .

ولما انتهت هذه الزيارات واصل بوذا السير نحو راجاجريها . وأقام فى غابة استاف البعيدة عن راجاجريها ، وأمضى فيها فصل المطر الذى يمتد من شهر يونية الى شهر أكتوبر موجها عنايته إلى تثقيف أفراد جماعته . وحدث أن زار راجاجريها فى هذه الفترة تاجر ثرى ومحسن كبير يدعى اناتها بنديكا ، أتى من مملكة كوشالا لمباشرة أعماله التجارية . وسمع من صديق أضافه أن هناك بوذا جديدا ظهر فى الوجود ، فذهب لتوه حيث يقيم بوذا ، وطلب منه أن يطلعه على تعاليمه ويعرفه بدينه ، فرحب به بوذا وأبدى اعجابه لحبه للاحسان على الفقراء واليتامى ، ثم أخذ يعلمه أصول دينه الجديد . بعد أن آمن بهذا الدين أخذ يلح على بوذا لزيارة بلدته شرافاستى عاصمة مملكة كوشالا لينشر تعاليمه بين أهلها ، وأبدى استعداده لأن يشيد استراحة خاصة فى شرافاستى على نفقته الخاصة ليقيم فيها بوذا وجماعته عند ذهابهم ، فقبل بوذا دعوته .

وحينما عاد التاجر أناتها بنديكا الى شرافاستى وقع اختياره على غابة تطل على نهر راپتى يملكها الأمير جيتا فعرض عليه شراءها فغالى الأمير فى طلب الثمن ولكن لما عرف أن التاجر يريد أن يقيم فيها استراحة لبوذا لم يتعنت فى تقدير الثمن . وبعد أن اشتراها شرع فى اقامة بناء فخم مزخرف فى وسطه حجرة كبيرة أعدت خصيصا لبوذا وحولها حجرات منفصلة لإقامة المرشدين وحجرات أخرى عديدة للمريدين . وكان حول هذا البناء حديقة أشجارها ذات أزهار يانعة وثمار وفاكهة متنوعة وبها برك مائية

تحوم حولها طيور مغردة . وبعد أن أتم التاجر بناء الاستراحة التى سماها استراحة غابة جيتا ، أخذ يقيم استراحات عديدة على طول الطريق بين راجاجريها وشرفاشتى ليستريح فيها بوذا أثناء سيره نحو مملكة كوشالا ، ثم طلب من بوذا الحضور. ولما انتهى فصل الأمطار قام بوذا وجماعته وتوجهوا إلى شرفاشتى حيث استقبلهم الأهالى أحسن استقبال إذ هبت المدينة كلها للاحتفال بقدوم بوذا . واستقر بوذا وجماعته فى غابة جيتا التى وهبها التاجر له . ولقد أقام فيها بوذا طوال تسعة أشهر واتخذ منها مركزا لتنقلاته فى مملكة كوشالا . ولما قرب فصل المطر توجه الى راجاجريها وأمضى فصل المطر الرابع بعد الاستنارة فى غابة فلوفانا .

ولما انتهى فصل المطر عبر بوذا وجماعته نهر الجنجز ذهبوا الى فيشالى عاصمة ليكشافيس التى تقع فى شمال نهر الجنجز وفى مواجهة مملكة ماجادها . وأقام فى استراحة بهو كوتاجارا التى كثيرا ما كان يأوى اليها الزهاد والنساك أثناء تنقلاتهم ، وكان يدور فى بهوها الكبير مناقشات بين رجال مختلف العقائد . وبينما هو يقيم فى هذه الاستراحة سمع بوذا عن وقوع خلاف بين قبيلته ساكيا وقبيلة زوجته كولى حول مياه نهر روهينى الذى يفصل بين بلديهما ، فذهب الى أبيه ووفق بين القبيلتين ، وأزال ما بينهما من شقاق ثم عاد الى بهوكوتاجارا ليقضى فصل المطر الخامس . ولكن بلغه فى هـذا الفصل نبأ مرض والده ، فذهب للمرة الثانية الى كابيلافستى وحضر وفاة أبيه ، وتقبل التعازى ، واشترك فى المراسيم الجنائزية ولما عزم على العودة طلبت منه نساء ساكيا أن يدخلن جماعته

وكان من بين أولاد النساء باجاباتى زوجة أبيه ، ويزودهارا زوجته الا أنه لم يرد عليهن . وتوجه منفردا إلى فيشالى . ومع ذلك سارت جميع النساء إلى بهوكوتاجارا بعد أن حلقن شعورهن وأرتدين الأردية الصفراء . فرآهن أناندا وهن فى حالة يرثى لها من التعب إذ كانت أقدامهن منتفخة وأرجلهن مترية ، فسأل أناندا باجاباتى عن سبب مجيئهن ، فأخبرته بأن بوذا لا يسمح بدخول النساء الى جماعته ، ولا يتيح للمرأة أن تهجر حياة البيوت الى حياة النسك ، بينما هن يرغبن فى الإنخراط فى سلك جماعة بوذا فذهب أناندا الى بوذا وأخبره برغبة باجاباتى وبقية نساء ساكيا فى دخول جماعته ، فرفض بوذا ذلك فى الحال . وعندئذ سأله أناندا إذا ما كانت المرأة تستطيع أن تصل الى النرفانا كالرجل ، وعندما رد بوذا بالإيجاب تساءل أناندا عن سبب منع باجاباتى من تحقيق النرفانا وهى أخت والدته التى ربته وتولت رعايته بعد أن ماتت أمه وهو مازال فى المهد ابن أسبوع ، فرضى بوذا بقبول باجاباتى فى جماعته ، وبعدها سمح لجميع النساء بدخول جماعته إلا أنه اشترط فى المرأة التى ترغب فى أن تنضم إلى جماعة بوذا أن تسير حسب سلوك معين حدده بالشروط الثمانية الآتية : ـ

١ ـ أن تحترم المرأة كل رجل فى الجماعة حتى ولو كان أحدث منها التحاقا بالجماعة .

٢ ـ أن تبدأ الرجل بالتحية وتقف عند حضوره .

٣ — لاتمضى فصل المطر فى استراحة لايوجد فيها رجال من أعضاء جماعة بوذا .

٤ — أن تواظب على حضور مختلف الاجتماعات .

٥ — أن تذكر فى الاجتماع كل ماشاهدته ، وتروى كل ماسمعته ، وتستفسر عما تشك فيه .

٦ — إذا ارتكبت إثما أو مخالفة لنظم الجماعة يجب عليها أن تنفذ عقوبات الجماعة .

٧ — أن تقر فى اجتماع الإعتراف بكل ما أتته من آثام ومخالفات .

٨ — أن تقوم العلاقات بين الرجل والمرأة فى الجماعة على أساس من المودة والوداعة ، ولا تحاول إمرأة أن تشهر بسمعة رجل أو تنسب إليه كذبا أو إثما لم يقترفه أى لاتسىء لأحد من قريب أو بعيد سواء بالفعل أو القول .

بعد أن انتهى فصل المطر توجه بوذا الى تل مانكولا الذى يوجد بالقرب من مدينة كوشامبى عاصمة مملكة فامشى وهى تقع بقرب مدينة الله آباد شمال نهر جوما رافد الجنجز . وأمضى فى كهوف تل مانكولا فصل المطر السادس ، ثم سار نحوراجاجريها وسمح لزوجة الملك بمبسارا بدخول جماعته لأنها سبق أن طلبت منه أن تلتحق بجماعته إلا أنه رفض هذا الطلب .

وحدث فى هذا العام أن ربط أحد تجار راجاجريها الأثرياء طاسة ثمينة فوق عود من الغاب المندى أمام جمع من النساك وأغراهم بنزع هذه الطاسة الثمينة بالقوى الخارقة . ومن يستطيع أن ينزعها يحق له أن يمتلكها . فاستطاع أحد مريدى بوذا نزع هذه الطاسة بالقوى الخارقة ، وأخذ الطاسة. ولما سمع بوذا بهذه القصة عقد اجتماعا عاجلا حرم فيه ممارسة الخوارق ، واعتبر كل من يأتيها آثم ، ولكن الملك بمبسارا أخبره بأن هذا التحريم قد يفسره معارضوه بأنه عجز عن إتيان مثل هــذه الخوارق فسمح بوذا لمريديه بممارستها .

وأمضى بوذا فصل المطر السابع فى اقليم تافاتيمشا ، ثم سار الى شرافستى ويحكى أنه بينما كان سائرا طار فى السماء . وذهب الى أمه ولقنها تعــاليم الاستنارة ، ونزل من السماء عند بلدة شانكيسا ، وسار نحو ثلاثين فرسخا حتى وصل الى شرافستى . وبينما كان فى استراحة جيتا رمته إمرأة عابثة تدعى شنشا بأنه هتك عرضها وأعتدى عن شرفها وأزال بكارتها . إلا أنه استطاع أن يكذب ادعاءها ويبين للجميع أن أعداءه حرضوها على أن تلقى عليه هذه التهمة لتحط من سمعته وتنزل من مكانته بين الناس . ثم توجه الى بلدة بهاجا القريبة من كابيلافستى ، وتحف بها تلال شومشومارا التى أمضى فى كهوفها فصل المطر الثامن . وبعد ذلك ذهب الى كوشامبى واستقر فى غابة جهوشيتا حتى أمضى فصل المطر التاسع .

ولقد حدث أثناء إقامته فى هذه الغابة أول نزاع وقع بين بوذا وأعضاء

جماعته ، إذا رأى بوذا فى بعض أفعال العضو ماجانديا مايخالف ماتواضعت
عليه الجماعة ، ولكنه رفض أن يقر بغلطه أو يعترف بأن ما أتاه يعتبر اثما
فانقسمت الجماعة إلى حزبين : حزب يرى أن بوذا على حق وحزب لم ير فى
سلوك ماجانديا مايستوجب معاقبته بالمجاهـــدات التعذيبية ، مما أدى الى
أن يدخل الجميع فى مناقشات حادة تبودلت فيها الألفاظ الجارحة والعبارات
العنيفة مـــا ساعد على اشتداد النزاع بين أعضاء الجماعة حتى توسعت هوة
الخلاف بينهم فأضطر أناندا أن يطلب من ماجانديا أن يبتعد حينا من
الوقت حتى تهدأ الحالة وتخف حدة الجدال وتستقر الأمور ، كما نبه بوذا
جميع أفراد جماعته الى أن الخلافات مهما كانت لا يجب أن تفرق شملهم
وتغرس البغضاء والكراهية فى صفوفهم ، ويجب على الدوام وفى جميع
الأحوال أن تضمهم المحبة والود فى وحدة لا انفصام لها . إلا أن محاولات
أناندا ذهبت أدراج الرياح وفشلت جهوده فى تهدئة عنف هذه المناقشات
ولم يستمع الأعضاء لنصائح بوذا واستمروا فى لغوهم . بذلك حصل أول
تصدع يصيب الجماعة إذ ترك بوذا الأعضاء فى نقاشهم وخلافاتهم واعتزلهم
جميعا ،وعاش وحيدا فى غابة باريليا كا فى كوخ صغير بناه له المزارعون ،
وأمضى فيه فصل المطر العاشر . ولقد أحزن فراق بوذا جميع الأعضاء
واعترف كل من انشق عنه بغلطه ، وتوجهوا جميعا اليه تائبين نادمين مقرين
بأن ماأتاه ماجانديا مخالف حقا لنظم بوذا . ولقد رحب بوذا بقدومهم
وغفر لهم خطأهم ، إلا أنه وجه اليهم كلمات موجعة بين فيها أن الخلافات

مهما عظمت لايجب أن تخرج أحـــداً منهم عن الهدوء والسكينه والرزانة ، ويجب أن يشوب الجدال والصداقة والمحبةوالحكمة حتى يمكن أن يعيش أفراد الجماعة فى انسجام دائم وتعاون مستمر .

بعد ذلك إتجه بوذا مع هؤلاء الأعضاء إلى شرافستى ومنها إلى ولاية ماجادهاوأمضى فصل المطر الحادى عشر فى إحدى قراها وهى قرية نالاالبرهمية . فرآه أحد الأثرياء البراهمة يوم عيد الحصاد فرحب به أتباع هذا البرهمى وأعطوا بوذا صدقات من الطعام . فغضب البرهمى من أتباعه وأخبرهم بأن الذى يزرع هو الذى يأكل فقط ، أما الذى لايزرع فلا يجب أن يأكل ، وأن بوذا لايستحق ما يعطى له من طعام لأنه لايزرع . فرد عليه بوذا بأنه يزرع كذلك . فتساءل البرهمى عن كيفية الزراعة بلا محراث أو بذور فأخبره بوذا بأن الإيمان هو البذرة التى يغرسها فى القلوب . وأن السلوك السوى هو المطر التى ينميه ، وأن الحكمة والتواضع هما أجزاء المحراث ، وأن العقل هو العنان وأن المجاهدة هى الثور ، وأن الحرث هو الجهد الذى يزيل طفيليات الضـــلال ، وأن الحصاد هو النرفانا . وبعد أن كان البرهمى يحتقر بوذا فعندما سمع حديثه عظم قدره فى نظره وآمن بصدق تعاليمه واعتنق مذهبه .

وبعد أن انتهى فصل المطر سار إلى مملكة كوشالا حيث مدينة شاتيابيا ومنها اتجه الى مدينة فرانجا التى تقع بين نهر الجنجز ورافده جوما ، وأمضى فيها فصل المطر الثانى عشر .

وقام بعد ذلك بأطول رحلة من رحلاته العديدة ، إذ ذهب الى بلدة مانتالاجنوب الجنجز ، ثم عاد الى بنارس ، وانتقل الى فيشالى ومنها الى شرافستى وظل يدعو أثناء تنقلاته كعادته الى تعاليه ، ويحث أهل كل بلد يحل فيها على الانضمام الى جماعته ، ويناقش الزهاد ويجادل البراهمة فى أصول مذهبه ونظم جماعته . كما حرص فى هذه الرحلة على أن يلقن ابنه راهولا الذى بلغ سن الثمانية عشر كيف يتخلص من روابط الحياة وقيودها ، ويعده لحياة التأمل الخالص المتحرر من الشهوة والرغبة ليمهد له طريق النرفانا .

وأمضى فصل المطر الثالث عشر فى تل كاليبا وهو قسم من جبال هملايا التى تقع شمال نهر الجنجز ، ثم سار نحو شرافستى ، ومكث فى استراحة جيتا أثناء موسم المطر الرابع عشر . ويحكى أنه استطاع أثناء اقامته فى آلاف أن يستأنس شخصا وحش الطباع غريب الأطوار يدعى آلافاكى يميل للفتك بالأطفال وحدث أن تصدى هذا الإنسان الغريب لبوذا ، وقطع عليه الطريق يريد أن يفتك به ، إلا أن بوذا تمكن من أن يهذب خشونة طبعه الوحشى ويحوله الى انسان هادىء ، ثم أخذ يعلمه مبادىء الاستنارة حتى آمن بها ايمانا قويا حثه على أن يقوم بدوره على نشرها واذاعتها بين الناس بدلا من من الفتك بالأطفال .

وأقام بوذا وجماعته فى راجاجريها أثناء موسم المطر السابع عشر . ولما اعتدل الطقس وخف المطر عاد الى آلافى مارا بمدينـــة شرافستى . وكان

يلتى فى الأماكن التى يمر بها دروسا فى الاستنارة إلا أنه رفض أن يعلم رجلا جائعا فى آلافى قبل أن يأكل .

ولما جاء فصل المطر الثامن عشر ذهب بوذا الى تل كاليبا القريب من شرافستى وأقام فى كهوفه إلى أن توقف المطر ، ثم عاد الى راجاجريها .

وبعد أن أمضى موسم المطر التاسع عشر فى استراحة فلوفانا أخذ يتجول خلال مملكة ماجادها ناشرا تعاليمه فى القرى . وفى احدى تنقلاته شاهد غزالا وقع فى الشراك فأطلق سراحه ، وجلس تحت شجرة قريبة من الشراك . فلما عاد الصياد ولم يجد صيده غضب غضباً شديدا ، وكاد أن يفتك ببوذا إلا أن بوذا بوداعته استطاع أن يزيل منه الغضب ويعده لتلقى تعاليمه . فما أى سمع مبادىء الاستنارة حتى تقبلها مؤمنا بها ، وحث جميع أفراد عائلته على الإيمان بتعاليم بوذا .

ولما قرب موسم المطر العشرون توجه إلى شرافستى حتى أمضى فيها هذا الفصل ، واتخذ من أنا ندا مريده الخاص ورفيقه الدائم بعد أن لاحظ من مريده السابق إهمالا فى خدمته .

وبعد ذلك قام بآخر رحلة له إذ توجه إلى غابة قريبة من تل كاليبا لما سمع بأن هناك مجرما يدعى آنجوليمالا يأوى فى هـــذه الغابة ، ويسطو على أهالى مملكة كوشالا ، ويسفك دماءهم ويسلب ممتلكاتهم ويسرق أموالهم وبلغ جرمه حدا كبيرا إلى درجة أنه كان يرتدى قلادة مكونة من أصابع قتلاه . ولقد نشر هذا المجرم الرعب فى كل مكان ، وتمنى باشنادى حاكم كوشالا أن يقبض على هذا المجرم حتى يتخلص من أشراره ويوقف جرائمه عند حد ، فأمر رجال الشرطة بالبحث عنه والقبض عليه . ولكن بوذا

ذهب بمفرده إلى حيث يقيم هذا المجرم بالرغم من تحذير الأهالى له من الخطر الذى يتعرض اليه فلما رأى المجرم بوذا قادما نحوه ظن أنه قادم للقبض عليه ، فأمسك سيفه ودرعه وأعد قوسه وسهمه ، وتسرب من خلف بوذا راغبا فى قتله . إلا أن آنجوليمالا لم يستطع أن يقترب من بوذا بالرغم من أنه سريع الخطى بينما كان يسير بوذا سيرا وئيدا فأحس المجرم بأن هناك قوى تمنعه من الإقتراب من بوذا ، وتحول دون قتله فخشى بوذا وهابه وكف عن محاولة الفتك به . بل إن بوذا استطاع أن يحول هذا المجرم الكاسر الى انسان وديع ، وأخذ يلقنه تعاليمه فما أن استمع الى هذة التعاليم حتى آمن بها وسار وديعا مع بوذا الى شرافستى ، وأقام مع الجماعة فى استراحة جيتا .

وحينما ذهب الحاكم پاشنادى ليرحب ببوذا ، أخبره عن المجرم آنجوليمالا ومايرتكبه من جرائم ، وكيف أنه يخرب المدن والقرى ويسلب أهلها ويذبحهم ولا يعرف كيف يقبض عليه ويعاقبه ، فسأله بوذا إذا ما رأى آنجوليمالا محلوق الرأس واللحية ، يرتدى الثوب الأصفر ، وترك الحياة الدنيا ، وفضل حياة العزلة ، وكف عن القتل والنهب ، ولا يتناول إلا وجبة واحدة فى اليوم ويسلك حياة فاضلة فهل يفكر فى القبض عليه ومعاقبته ، فأجاب پاشنادى بأنه لاشك سوف يجله ويحترمه بل ويقدم له الأثواب ، ويهبه الطعام والسكن والدواء ، ويحميه من كل من يعتدى عليه . ولكنه عندما شاهد آنجوليمالا بين النساك انزعج فى أول الأمر ، ولكن لما تأكد

من أنه أصبح عضوا فى الجماعة ذهب عنه الخوف ، واطمأن الى أن بلاده قد نجحت من شره ، وأوفى بوعده وعفى عنه ومنع جنده من البحث عنه والقبض عليه .

وهكذا ظل بوذا طوال العشرين سنة بعد الاستنارة متنقلا من بلدة الى أخرى ومتجولا بين القــــرى ، ولم يستقر فى مكان ، يقضى فصل المطر فى استراحة فى غابة أو فى مغارات التلال وكهوف الجبال ، ويسافر سيرا على الأقدام حوالى تسعة أشهر سنويا يمر بالقرى والمدن معلنا تعاليمه وداعيا الأهالى للانضمام الى جماعته التى أخذت فى النمــــو والازدياد بفضل جهاده الدائب . ولقد صادفه كثير من المشاكل داخل الجماعة استطاع بحبه للسلام أن يتغلب عليها . وتمكن أن يدخل فى جماعتــه لا الأمراء والأثرياء فقط بل أدخل كذلك المجرمين والآثمين بعد التوبة .

ولا شك فى أن بوذا بعد هــذا الجهاد الطويل يحق له أن يستريح من مشاق السفر ومتـاعب التنقل خصوصا بعد أن كبر سنه وضعف جسمه ، لذلك لم يستطع بعد الرحلة العشرين أن يستمر فى ترحاله ، واضطر الى أن يستقر فى استراحة جيتـا ؛ وأصبح يـقيم فيها بصفة دائمة . وبالرغم من أنه اتخذ من مدينة شرافستى مركزاً له ولـكنه مع ذلك قام بما يقـرب من أربع وعشرين رحلة أخرى إلا أنه لا يكاد يبعد عن شرافستى حتى يعود اليها بعد فترة قصيرة .

ولقد كانت هناك سيدة ثرية محسنة كريمة تدعى فيشا كها من بلدة بهاديا تعودت أن تهب النساك مايحتاجون اليه من مأكل وملبس وأغطية . وحدث أن رأت بعض المريدات من جماعة بوذا يسبحن عاريات فى النهر فزارت بوذا فى استراحة جيتا لتناقشه فى أمرهن . وكانت تتزين بأثمن الجواهر إلا أنها خلعت هذه الجواهر قبل أن تدخل الاستراحة ولفتها فى قطعة قماش وأعطتها لجاريتها ، ثم توجهت إلى حيث يوجد بوذا . بعد أن حيته ورحب بها دخلا فى نقاش حول بعض نظم الجماعة وطلبت منه أن يقبل منها ما يأتى :

١ - أن تقدم للاعضاء أردية فى فصل المطر لأنها سمعت أنهم لا يملكون إلا رداء واحدا فإذا ابتل يخلعونه حتى يجف ويظلون يرتجفون من البرد إلى أن يلبسونه بعد أن يجف .

٢ - أن تقدم الطعام لأعضاء الجماعة دون حاجة إلى التجول فى الطرقات لاستجداء الطعام خصوصا فى فصل المطر .

٣ - أن يمنع بوذا الأعضاء من الجلوس فى الطرقات شبه عراة يستجدون المارة .

٤ - أن يعالج المرضى من الأعضاء ، وينصحهم بقبول استخدام الدواء الذى يشير به الطبيب .

٥ - أن يمنع استحمام الأعضاء عراة فى الأنهار وخصوصا السيدات .

وبعد أن انتهى حديثها مع بوذا استأذنت وخرجت هى وجاريتها .

ولكن قبل أن تذهب بعيدا تذكرت الجارية أنها نسيت الجواهر في الاستراحة . وكان أحد الأعضاء قد عثر عليها وطلب منه بوذا أن يحتفظ بها لحين عودة صاحبتها ، ولما عادت الجارية أعطاها الجواهر . إلا أن فيشاكها قد عزمت أن تهبها لجماعة بوذا ولا تتزين بها بعد الآن . فأرسلت في طلب صانع الجواهر ليحدد ثمنها ، ثم باعتها ، ووهبت ثمنها لبوذا وخيرته بين المال أو بناء استراحة في الجهة الشرقية من مدينة شرافستي ففضل بوذا الاستراحة . ولما تم بناء هذه الاستراحة احتفلت فيشاكها بافتتاحها لمدة أربعة أشهر كانت تقدم فيها الطعام لجماعة بوذا وسمتها استراحة بوب آراما، واتخذ بوذا منها مركزا ثانيا في مدينة شرافستي فأحيانا كان يستقر في استراحة جيتا وأحيانا في استراحة بوب آراما .

ولم تكن فيشاكها هي السيدة الوحيدة التي أقامت استراحة لجماعة بوذا . فلقد كانت هناك أيضا سيدة أخرى تدعى آمبابالي من مدينة فيشالي قد أشادت له استراحة ولقد كانت هذه السيدة على قسط وافر من الجمال وغانية من الغواني التي تجيد الرقص والغناء ولا ترفض مايطلبه منها العشاق واستطاع بوذا أن يغير مجرى حياتها ويجعلها تترك حيـــاة الفجر والمجون وتؤمن بتعاليمه ، فأنفقت كثيرا من أموالها في بنـــاء استراحة في غابة آمبابالي خلاف ما كانت تغدق به على الجماعة من الهبات من ملبس ومأكل وأدوية .

وقد يبدو أن بوذا كان موفقا كل التوفيق فى نشر دعوته ، يكسب كل يوم أعضاء جدد ، لم تصادفه عراقيل تعوق التفاف هؤلاء الأعضاء حوله فى وحدة متناسقة متماسكة متحابة متعاونة . إلا أن ديفاداتا ابن عم بوذا هو الذى أصاب الجماعة بالتصدع ، وأثار بين أعضائها حركة عصيان ضد بوذا أحدثت إنشقاقا كاد يقضى على الجماعة .

فى إحدى تنقلات بوذا أخذ أهالى كوشامبى على ديفاداتا بعض الهنات لم كان يصدر عنه من مخالفات لنظم بوذا ، وشاع أن ديفاداتا يخالف نظم الجماعة ، فلما بلغ أمر هذه المخالفات سمع بوذا أسرع ديفاداتا وسبق بوذا الى راجاجريها . وكان لديفاداتا مقدرة عظيمة على اتيان الخوارق ، وكان طموحا يأمل فى أن يتولى رئاسة الجماعة بعد بوذا : ولكن بوذا طالت حياته ، وهو لا يطيق صبرا الى أن يموت بوذا ، وينشد أن يكون مستنير الجماعه فى أسرع وقت وبأى ثمن . فتوجه الى الأمير الشاب الطموح آجاتا شاتو ابن الملك بمبسارا العجوز حاكم ماجادها ، واستطاع أن يكسب ثقته بما أظهره له من مهارة فائقة فى اتيان الخوارق . ولما أحس ديفاداتا بأن آجاتا شاتو يطمئن اليه ولا يرتاب فى نواياه أخذ يثير طموح الأمير الشاب ويحثه على التخلص من أبيه الكهل ليتولى الحكم ، وأبدى استعداده على أن يساعده فى هذه المهمة على شرط أن يساعده فى التخلص من بوذا ليصبح مستنير الجماعة .

وأعد آجاتا شاتو خنجراً ، وتسلل الى جناح أبيه الخاص ليذبحه ، الا

أن وزير أبيه الخاص رآه فأمسكه ، وسأله عن قصده ، فأخبره بأنه يريد أن يذبح أباه حتى تتاح له فرصـة تولى الحكم وأن أباه أصبح شيخا كبيرا ضعيفا لا يصلح للحكم وأن الذى أغراه على ذلك هو الزاهد ديفاداتا . بعد ذلك اجتمع الوزراء لبحث هـذه المشكلة الخطيرة ، فرأى بعضهم قتل آجاتا شاتو وديفاداتا وجميع أعضاء جماعة بوذا ، ورأى البعض الآخر قتل آجاتا شاتو وديفاداتا فقط لأن أعضاء جماعة بوذا لا ذنب لهـم ولم يأتوا جرما يستحقون عليه القتل ، ورأى غيرهم من الوزراء أنه يجب عرض الأمر على بمبسارا قبل أن يتخذ أى قرار بصدد هذه الجريمة . فلما عرضت هـذه الآراء على بمبسارا عزل الوزراء الذين رأوا قتل آجاتا شاتو وديفـاداتا وأعضاء جماعة بوذا ؛ وعين الوزراء الذين اقترحوا قتل آجاتا شاتو وديفاداتا فقط فى مناصب أقل من مناصب الوزارة ، بينما رضى عن الوزراء الذين عارضوا قتل أى فرد قبل عرض الأمر عليه . وبعد ذلك طلب أن يحضر إبنه ، وسأله عن سبب إقدامه على قتله ، فرد عليه بأنه يريد أن يتولى الحكم فولاه بمبسارا الحكم . وإن لم يصبح ملك البلاد إلا أن جميع السلطات الفعلية كانت فى يده .

وعندئذ قوى نفوذ ديفاداتا الذى احتضنه آجاتا شاتو ، وأعد له استراحة خاصة ، ويهبه كل يوم كميات كبيرة من الطعام . ولما سمع بوذا من مريديه بأمر هذه الهبات أخبرهم بأنه لا يجب أن يحسدوا ديفاداتا على ما يعطى من طعام ، وإنما يجب أن يشفقوا عليه لأن كثرة الطعام تفسد حياة الناسك إذ

تعرقل الطهارة ، وتعوق صفاء الذهن وتحول دون إكتساب الصفات العقلية التى تعدالناسكللاستنارة . ولما ذهب بوذا إلى راجا جريها استقر فى استراحة فلوفانا ، فتوجه اليه ديفاداتا وطلب منه أن يتنـازل عن رئاسة الجماعة لأنه أصبح شيخا ضعيفا انهكه السفر ، ولا يقوى على تولى مهام الجماعة . إلا أن بوذا رفض رفضا باتا أن يتنازل عن رئاسة الجماعة لديفاداتا او لمن هو اعلى منه قدرا مثل الناسك مونجالانا والناسك ساريبوتا ، فضلا عن أن الانسان لا يمكن أن يصبح مستنيرا بالقوة والالزام ، ولا يطلب من أحد أن يجعله مستنيرا ، وإنمـا سبيل الاستنارة هو جهـاد الشخص فى طريق النرفانا وأن الذى يجعله مستنيرا هـو عمـله من أجل الاستنارة . فغضب ديفـاداتا غضبا شديدا ؛ وترك بوذا ساخطا حزينا مصمما على أن يثير الفتن فى ربوع الجماعة حتى تتفـكك أواصرها فيستطيع أن يكون جماعة أخرى يكونــ هو رئيسـها ومستنيرها .

فعمـد ديفاداتا إلى أن يثـير بعض الأعضـاء المتمسكين بحـرفية التعاليم الأولى ضد بوذا صاحب هذه التعاليم ، واستطاع أن يقنعهم بأنه وصل إلى الاستنـارة فى حين أن بوذا حاد عن طـريق الاستنارة ولا يسـير حسب القانون الذى سنه الجماعة ، فلا يجب ان يطيعه أحد ، بينما يحق لديفاداتا أن يكون رئيس الجماعة ، ويضع لها النظم واللوائح ، وأن كل مايصدر عنه فهو صحيح يجب أن يطاع لأنه مستمد من استنارته . واستطاع ديفاداتا بهـذه الطريقة أن يغرى عددا كبيرا من الأعضاء ، التفوا حوله وكون بهـم جماعة وضع نفسه على رأسها .

وبينما كان بوذا مجتمعا بالأعضاء فى أحد الاجتماعات الدورية توجه ديفاداتا على رأس جماعته الى هـذا الاجتماع وأعلن فيه أن سلوك بوذا يتعارض مع تعاليمه، وأنه خرج على النظم التى وضعها، وانحرف فى خمس نقاط رئيسية عن السبل التى تواضعت عليها الجماعة وتنحصر هذه المخالفات الخمس فيما يأتى:

١ - طالب بوذا الأعضاء باعتزال الحياة البيتية والاجتماعية، وحرم عليهم السكنى بالقرب من المدن والقرى، ولكنه يقيم هو وجماعته فى استراحات قريبة من المدن والقرى.

٢ - حدد إقامة الأعضاء فى المغارات والكهوف ولكنه يسكن فى استراحات فاخرة ومبانى جميلة.

٣ - فرض على كل عضو أن يشحذ طعامه إلا أنه يلبي الدعوات الى الولائم.

٤ - حرم أكل اللحوم والأسماك ومع ذلك يأكلها فى الولائم.

٥ - قرر أن تكون ملابس الأعضاء من الخرق البالية التى يعثر عليها فى المزابل وترك الأعضاء يرتدون ملابس جديدة يأخذونها كهدايا من الأثرياء والتجار.

ويبدو أن هذه الاعتراضات لم تتناول صلب عقيدة بوذا من قريب أو بعيد وإنما تنصب على نظم الجماعة وتقاليدها، وأن ديفاداتا قصد من

وراء هذه الاعتراضات أن يشغل الجماعة بنقاش لا يجدى حول نظم الجماعة ويظهر أمامهم بمظهر المتمسك بأصول الاستنارة وأنه أحق من بوذا فى رئاسة الجماعة ، مع أن هذه الاعتراضات لا تشير إلى الوسائل الجوهرية التى توصل إلى الاستنارة أو تحقق النرفانا ، ومع ذلك لم يترك بوذا اعتراضا دون أن يرد عليه وقال :

١ ـ للعضو مطلق التصرف فى أن يقيم فى معارة فى سفح جبل أو فى استراحة أقامها أحد الأثرياء خصيصا لأعضاء الجماعة بالقرب من المدن والقرى

٣ ـ ليس من الضرورى ألا يأكل العضو إلا مما يستجديه وله أن يلبى الدعوات إلى الولائم إذ ليس عليه أن يرفض مثل هذه الدعوات .

٤ ـ إنه يحرم فقط تناول لحم الحيوانات الى ذبحت خصيصا للعضو ، وإنه يجب أن يمتنع عن تناول اللحم إذا ما شك فى أن هناك حيوانا ذبح خصيصا له .

٥ ـ والعضو حر فى أن يرتدى ثوبا مصنوعا من الخرق البالية إذا شاء ، ولكنه لا يمنعه من ارتداء ثوب مصنوع من قماش جديد اهداه له أحد المحسنين بشرط أن يقطعه الى قطع صغيرة ثم يخيط منها لباسا له .

الا أن ديفاداتا لم يقتنع بهذه الإجابات وتمسك بأن بوذا يخالف نظم الجماعة وبذلك لا يحق له أن يتولى رئاستها ، وطلب تحكيم أعضاء الجماعة على أقوال كل منهما وليفصلوا بينهما . فلما أخذت الأصوات أيد ديفاداتا أكثر من خمسمائة عضوا ، ولكن بوذا تمسك برأيه ولم يجد فى سلوكه

تعارضا مع نظم الجماعة . فأنسحب ديفاداتا من الاجتماع وسار معه جميع الأعضاء الذين أيدوه . وخرج وراءهم ساريبوتا وموجالانا متظاهرين بأنهما من المؤيدين لديفاداتا ، ولقد ظن بقية الأعضاء أنهما إنشقا كذلك عن بوذا ولكنهما فى الحقيقة كان يهدفان الى إرجاع جميع الأعضاء الخارجين الى حظيرة بوذا . فلما رآهما ديفاداتا أحسن استقبالهما لأنه ظن أنهما آمنا بما يقول . وما أن جاء الليل ونام ديفاداتا حتى استطاع موجالانا وساريبوتا من إظهار ضلال ديفاداتا ، وإقناع جميع المنشقين بضرورة العودة الى بوذا المستنير الحق . وما أن استيقظ ديفاداتا حتى وجد معظم مؤيديه قد عادوا الى بوذا ولم يعترض بوذا على عودتهم ما داموا قد أدركوا خطأهم وتابوا . ولكن كل هذه الأحداث أثارت غضب أتباع بوذا على ديفاداتا بسبب ماجلبه للجماعة من اضطراب وإنشاق ، وأحسوا بأن ديفاداتا لا يصلح لأن يكون رئيس الجماعة لأنه يحاول أن يصل الى هذه الرئاسة عن طريق إثارة الفتن والمنازعات بين أفراد الجماعة ، وأنه لا يمكن أن يكون قد وصل الى الاستنارة لأنه يسلك طرقا تخالف سبل جميع المستنيرين ، فقرروا فصله من الجماعة .

ولقد أثار هذا الفصل حقد ديفاداتا على بوذا ، ولم يستسلم لهذه الهزيمة وقرر الإنتقام . فتوجه الى آجاتاشاتو ابن بمبسارا ، وطلب منه أن يخلع بوذا من رئاسة الجماعة ، أو يساعده على التخلص منه . فحرض بعض رجاله على قتل بوذا ، إلا أن كل شخص يذهب لقتله لا يعود ، إذ بمجرد أن يشاهد

بوذا بهيأته الوقورة الوادعة الحلوة حتى يحجم عن قتله ، ويطلب منه المغفرة والعفو وسرعان ما ينضم الى الجماعة . ولما سمع أعضاء الجماعة بمحاولات ديفاداتا لقتل بوذا طلبوا منه ألا يسهر منفردا وأن يصحبوه فى غدواته وروحاته لحراسته وحمايته من غدر ديفاداتا . ولكن بوذا رفض هذه الحراسة وأخبرهم بأن المستنير لا يحتاج لحراسة لأنه لا يأتى شراً ، وأن ديفاداتا لا يمكن أن يصير مستنيرا لأن الاستنارة لا تتحقق بالشر والتحريض على القتل ، اذ لا يتصور أحد أن الإعتداء والجريمة والعنف هى طرق الاستنارة ، ولذلك لا يجب أن تخافوا على بوذا المستنير وانما اشفقوا على ديفاداتا الشرير الذى سول له طموحه وحبه للشهرة أنه يستطيع أن يصبح مستنيراً بالعنف والقتل .

إن فشل ديفاداتا فى قتل بوذا لم يثنه عن الاستمرار فى التفكير فى محاولات أخرى لقتله . فاستطاع أن يغرى أحد الأهالى عنده فيل متوحش على أن يطلق سراح هذا الفيل فى طريق بوذا حين قدومه الى المدينة طلبا للطعام . فلما لمح بوذا عن بعد فك قيد الفيل المتوحش الثائر ، وما أن شاهده أهل المدينة حتى ولوا هاربين فزعين صاعدين فوق اسطح البيوت ، ومنهم من أخذ يصيح محذرا بوذا من خطر الفيل الهائج . فطلب منه المريدون الذين يصحبونه أن يبتعد عن هذا الطريق ويسلك طريقا آخر فأخبرهم بأن من يطلب الحقيقة ووصل الى الاستنارة لا يخاف العنف وأن الإعتداء لا يقضى عليه لأنه حقق النرفانا . وما أن اقترب الفيل تالا جيرى

منهم حتى ابتعد المريدون ما عدا أناندا وظل بوذا على ما هو عليه من هدوء ووداعة ، وما أن رآه الفيل المندفع الرافع خرطومه ومهددا به كل من يعترض طريقه حتى وقف وأنزل خرطومه ، فربت بوذا عليه فهدأ واستكان ووقف ساكنا وديعا ، ثم عاد الفيل تالا جيري الى حظيرته مستأنسا ولما عرف الأهالى أن المحرض على قتل بوذا هو ديڤاداتا غضبوا منه لنزعته الشريرة الماكرة . وهكذا خسر ديڤاداتا جميع الأعوان ، وأصبح أعضاء الجماعة والأهالى يكرهونه جميعا لنواياه الآثمة .

الا أن لهيب حقد ديڤاداتا على بوذا ازداد اشتعالا وصمم على قتله بنفسه . فبينما كان بوذا يهبط تل فلشر بيك القريب من راجا جريها ويقام على أحد سفوحه استراحة فلوفانا التى يقيم بها بوذا وجماعته ، أسرع ديڤاداتا الى قمة هذا الجبل ودحرج صخرة كبيرة لكى تقع على بوذا وتصدمه صدمة قاتلة ، الا أن الصخرة فى تدحرجها تفتتت الى قطع صغيرة جرت على جانبي بوذا دون أن تؤذيه ، ولم تصدمه الا قطع صغيرة أدمت احدى قدميه .

ولقد أساءت محاولات ديڤاداتا لقتل بوذا الى سمعته ، وأن فشله فى قتل بوذا ونجاته فى كل محاولة أفقد ديڤاداتا كثيرا من الاحترام ، خصوصا وانه قد اشتهر بقدرة عظيمة على اتيان الخوارق . ومع أن أتباعه أخذ يزيد عددهم مع الأيام الا أنه لم يعمر طويلا ، وما أن مات ديڤاداتا حتى زال تأثيره الشرير على آجاتاشاتو ، واضطر تحت ضغط الأهالى الى أن يكفر عن آثامه الماضية بأن يطلب المغفرة من بوذا . ولما عرف تعاليم بوذا آمن بها ، وأخذ يرعى جماعته ، ويكثر لها من الهبات والعطايا .

الفصل السادس

نظم جماعة بوذا

إن طبيعة دعوة بوذا التقشفية وحياة أتباعه فى جماعات تقيم فى استراحات خارج المدن قريبة من القرى ، حثت الى وضع تنظيمات توضح شروط إنضمام الأفراد إلى الجماعة ، وإلى سن لوائح تحدد علاقات أعضاء الجماعة ببعضهم بعضا وعلاقاتهم بسكان القرى المجاورة ، وتعين نوع مسكنهم وملابسهم ومأكلهم ، وترسم حياتهم اليومية ، وتبين لهم السلوك الخير من السلوك الشرير ، وتبيح لهم ما هو مناسب لعضو الجماعة وتحرم ما هو خارج عن أصول لوائح الجماعة ، وتفرض عقوبات على كل مخالف. لهذه اللوائح حتى يحافظ العضو دائما على طهارته ولا يصرفه شيء عن غايته .

ولم يضع بوذا نظم الجماعة دفعة واحدة ، بل معظم هذه اللوائح وضعت عند استفسار الأتباع عن تصرف من التصرفات يشكون فى سلامته أو يعتبر. نه خارجا عن قانون بوذا . أى لم توضع هذه اللوائح بطريقة مجردة بعيدة عن حياة البوذيين ، وإنما كل لائحة لها حادثة معينة حفزت الى وضعها بل أن بنود كل لائحة لم تسن دفعة واحدة ، وإنما كان يضاف اليها بنود جديدة من حين لآخر حسب ما يطرأ من مخالفات وملابسات ، فكانت اللوائح تستكمل تدريجيا كلما أصبحت الحاجة ماسة لذلك . وهكذا ظل بوذا

طوال حياته يضع قوانين جماعته ، يغير فيها أو يضيف اليها كلما حصل التباس فى فهم بند من البنود أو أحس بنقص فيها وقد غفل عنه . بل إن وضع هذه القوانين لم يقف بعد موت بوذا إذ ظل مريدوه من بعــده يسنون القوانين كلما تنشأ حوادث لم يجدوا لهـا نصا فى لوائح بوذا ، وإن كانوا ينسبون هذه القـوانين إلى بوذا نفسه وإن لم يضعهـا وذلك لكى يكسبوها قوة وتأثيرا على أعضاء الجماعة البوذية .

وأخذ اهتمام بوذا بسن هذه اللوائح يزداد بازدياد أعضاء جماعته ، وبعد أن أصبحوا يكونون مجتمعا مركبا معقدا يحتاج الى كثير من التنظيمات حتى يتجنب التصادم والإختلاف بين أعضاء الجماعة ، ويشيع المودة والصفاء بين الجميع ، ويدعو الى تماسك الجماعة ، ويوطد علاقة الأعضاء بأهل القـرى المجاورة حتى يظهر البوذيون بمظهر الزهاد الذين لا هم لهم إلا تحقيق الطهارة الحقة التى توصل الى النرفانا مما يحث الأهالى على الإيمان بدعوة بوذا .

ويضم هذه اللوائح كتاب ضخم يعـددها ويذكر ملابسـات وضع كل لائحـة وظروف ما طرأ عليها من إضافة ، ويعرف هـذا الكـتاب باسم Vinaya Pitaka وقد ترجم لمختلف اللغات الأوربية ، وأحـدث هـذه التراجم ترجمة الأستاذة I. B. Horner الانجليزية تحت اسم «كتاب النظم» (The Book of the Discipline) وهى الترجمة التى اعتمدت عليهـا اعتمادا رئيسيا فى كتابة هذا الفصل .

وأول مشكلة واجهت الجماعة هي التحاق الأفراد بسلك الجماعة . فلقد أباح بوذا في أول الأمر دخول الجميع مهما اختلفت طبقاتهم إذ عندما يدخل أي فرد في الجماعة يفقد صفاته العائلية وتقاليده الطائفية ، فلا يمتاز عضو على عضو إلا بمقدار جهده في سبيل تحقيق النرفانا . وكان يقبل الكبار والصغار الأصحاء والمرضى والمدنيين والجنود . وكان يقبل الرجال من دون النساء . ولكن حدث من الأحداث ما دفع بوذا إلى وضع شروط خاصة يجب أن تتوفر في كل من يرغب في الالتحاق بجماعته . فاشترط على كل طالب ما يأتي :

١ ـ ألا يقل سنه عن خمس عشرة سنة ، على أن يوافق والداه خوفا من أن يكون وحيدهما أو مصدر رزقهما وأملهما في المستقبل .

٢ ـ أن يكون سليم البدن خاليا من الأمراض المعدية ، ولا يقبل مريض إلا بعد أن يعالج ويشفى تماما من مرضه حتى لا تنتشر عدوى مرضه بين أعضاء الجماعة .

٣ ـ أن يكون مدنيا وليس جنديا عليه التزامات للدولة أو هاربا من ساحة القتال وذلك حرصا على كيان الدولة وحفظا لسلامة قوة جيشها وقدرته في الدفاع عن الحدود ورد خطر كل غزو خارجي .

٤ ـ أن يكون بريء الذمة من كل دين أو تعهد ، وعلى الطالب أن يسدد ما عليه من ديون وتعهدات قبل أن يطلب الالتحاق بالجماعة .

وبذلك لم يقبل بوذا كل فرد فى جماعته ، فلم يشجع الجندى الهارب أو الرجل المدين على أن ينضم الى جماعته وذلك لأن كل من يريد أن يحقق النرفانا ويرغب فى أن يقطع صلته بالحياة يجب أن تكون هذه القطيعة نظيفة طاهرة خالية من الشوائب والدنس .

أما بالنسبة للنساء فلقد إمتنع بوذا عن قبولهن فى أول الأمر ولم يسمح لهن بالالتحاق بالجماعة إلا بعد أن سمت زوجته يزودهارا وبعض كرائم سيدات قبيلة ساكيا اليه ليسلكن سلوك الزهاد ، ثم ألح عليه أعز مريديه أناندا فى قبولهن فرضخ بوذا فى آخر الأمر وقبل انضمامهن الى جماعته ، وبعد ذلك أخذ يزداد عدد النساء فى الجماعة مما اضطر بوذا الى وضع لوائح خاصة بهن ، فاشترط على كل طالبة أن تتحقق فيها الشروط الآتية :

١ ـ أن لا يقل سنها عن عشرين عاما على أن يوافق الوالدان أو الزوج اذا كانت متزوجة .

٢ ـ لا يسمح بقبول الفتيات الصغار المتزوجات دون سن العشرين أو الزوجات الحوامل أو أمهات الأطفال الصغار أو العذارى .

وحكمة بوذا فى وضع هذه الشروط هو أنه لا يريد أن تكون جماعته سببا فى إحداث أى نوع من الاضطراب فى محيط المجتمع الهندى الذى يعيش فى جنباته ؛ وحتى لا تتأثر الأسرة ويتفكك كيانها بسبب هجرة النساء للبيوت مما يحث الأهالى على محاربة جماعته خصوصا بعد أن إتهم بوذا بأنه

يعمل على هدم المجتمع لأنه يشجع النساء على الهروب من التزاماتهن العائلية وواجباتهن البيتية .

وكل من يتوفر فيه هذه الشروط من الرجال والنساء لايقبل فى الجماعة قبولا تلقائيا نهائيا ، إذ لا يقبل أى فرد من عامة الطوائف بمجرد أن يبدى رغبته فى الانضمام الى الجماعة إلا اذا كان من الزهاد أو الفلاسفة الذين تسمح لهم ثقافتهم الواسعة على استيعاب الاتجاهات البوذية . ولهم من القدرة الذهنية من الحكم على تعاليم بوذا وقبولها دون أن يشكوا فيها. بخلاف عامة الناس فقد يكون لمعتقداتهم القديمة أثر عميق عليهم يحثهم فيما بعد على الخروج على تعاليم بوذا ، ولذلك يعطى لهم مهلة ثلاثة أشهر من وقت طلبهم الالتحاق بالجماعة للتثبت من ايمانهم من تعاليم بوذا ، وذلك حتى لا تقر الجماعة بقبول طالب ثم يعود بعد حين ويخرج عليها ويحن لعقيدته القديمة . وفى أثناء الأشهر الثلاثة يتسنى للطالب أن يتخلص نهائيا من كل أثر لدينه السابق على فكره ، ويتضح له مدى قوة رغبته فى الالتحاق بالجماعة حتى لا يتعثر فى الطريق ويدرك تمام الإدراك ما هو مقبل عليه من حياة ، كما يتسنى للجماعة من أن تتحقق من حسن سمعته وطيبة أخلاقه وصدق نيته فى الانضمام الى الجماعة ، وايمانه القوى بتعاليم بوذا .

وبعد هذه الأشهر الثلاثة يعقد للطالب مجلس بسيط لقبوله قبولا مبدئيا فى الجماعة . يتكون هذا المجلس من عدة أعضاء يكون على رأسهم بوذا نفسه أو مرشد متمكن من قانون بوذا . فى بداية هذه الجلسة يعلن الطالب سواء

أكان رجلا أو إمرأة عن اسمه ورغبته فى الالتحاق بالجماعة ، ثم يزكيه أحد المرشدين بأن يعلن عن تثبته من صدق نية الطالب فى الالتحاق بالجماعة ، ويؤكد رغبته الوطيدة فى إتباع هدى قانون بوذا وسعيه الحثيث فى الوصول الى النرفانا ، كما يزكى سلوكه ويذكر بعض أعماله الخيره ويبين مدى نبل سمعته فإذا اقتنع أعضاء المجلس يقبلون هذا الطالب قبولا مبدئيا ، ويعينون له مرشدا يشرف على توجيهه ونصحه واعداده لمعرفة تعاليم بوذا حتى تقبله الجماعة قبولا نهائيا فى مجلس آخر يعقد عادة بعد ثمانى سنوات من القبول المبدئى

وبعد القبول المبدئى إما يقيم الطالب مع مرشده أو يقيم فى سكن آخر ويشرف المرشد على تثقيفه وتوضيح ما يغلق عليه من تعاليم بوذا ، ويقوم الطالب بخدمة مرشده بأن يساعده فى إرتداء ملابسه وخلعها عند خروجه وعند عودته ، ويعاونه فى غسل يديه وفمه وأسنانه قبل الأكل وبعده ، وينظف له طاسته ، ويرتب أثاث مسكنه ، ويحضر له الكرسى والماء اللازم لغسل قدميه عند عودته من الخارج . وتسود علاقة المرشد بالطالب علاقة ود ومحبة ، يعامل المرشد الطالب معاملة الأب الحنون الحريص على صالح إبنه ، ويعامل الطالب مرشده معاملة الإبن البار بوالده .

ولا يقطع الطالب عادة صلته بالحياة الاجتماعية قطعا تاما إذ يسمح له بالقيام ببعض الأعمال التجاريه حتى لا يعتمد إعتماداً كليا فى طلباته الخاصه على الجماعة ، فيحق له أن يكسب بعض المال الذى يمكنه من تلبية حاجياته

الضرورية ولا يرهق الجماعة بالمطالب . فله أن يتاجر ويربح ولكن لا يجب ان يتاجر فيما يتعارض مع الإنسانية ومبادىء تعاليم بوذا التى تدعو الى المحبة والطهارة وتحرم قتل أى كائن حى ، ولذلك لا يجب أن يتاجر فى الأسلحة كالسيوف ولا يشترك فى تجارة الرقيق التى تهدر الكرامة الإنسانية ولا يسهم فى تجارة اللحوم والمشروبات الروحية والسموم القاتلة .

وبعد أن تنهى فترة إعداد الطالب وهى ثمانى سنوات ويكون عمره قد بلغ عشرين عاما اذا كان رجلا وسنتين وعشرين عاما اذا كان إمرأة يحق للطالب أن يطلب تعيينه تعيينا نهائيا فى الجماعة لأنه يكون خلال هذه الفترة قد درس جميع نواحى قانون بوذا وتثبت منه وذهب عنه كل شك وريبة وصفا ذهنه صفاء تاما . فللطالب أن يستأذن بوذا أو مرشده فى أن يعينه عضوا عاملا فى الجماعة فإذا ما تأكد بوذا أو مرشده من طهارته وحسن فهمه لتعاليم بوذا وقدرته على الاندماج فى سلك جماعة بوذا يعقد للطالب مجلس يتكون من مرشدين — أو مرشدات اذا ما كان الطالب إمرأة — لا يقل عددهم عن عشرة على رأسهم بوذا أو مرشد متمكن من القانون البوذى مضى على تعيينه تعيينا نهائيا عشر سنوات على الأقل .

يجلس المرشدون أو المرشدات على حصيرة فى صفين متواجهين ، ويجلس رئيس المجلس على رأس أحد الصفين . يزكى فى أول الجلسة الطالب أحد المرشدين ويبين صلاحيته لعضوية الجماعة . بعد ذاك يتقدم الطالب الى

المجلس ممسكا بيديه الأردية الصفراء الخاصة بالأعضاء .ثم يحي رئيس المجلس مقدما هدية كرمز للتقدير والإحترام والإكبار ، بعدها يطلب من المجلس ثلاث مرات أن يصبح مريدا ، ويقول للرئيس « إرفق بي يا سيدى وأقبل هذه الأردية واسمح بتعييني حتى أستطيع أن أهرب من الآلام وأجرب حياة النرفانا » فيأخذ الأردية منه ويلفها حول رقبته . ينسحب الطالب بعد ذلك من المجلس ويعود مرتديا هذه الملابس الصفراء ، ثم يركع أمام الرئيس مرددا هذه العبارة :

أتيت لألوذ ببوذا

أتيت لألوذ بالقانون

أتيت لألوذ بالنظام

ويقصد الطالب من ترديد هذه العبارة أن يعلن أنه يؤمن ببوذا وقانونه وتعاليمه التى توضح سبل الوصول الى النرفانا ، وأنه رضى أن يتمسك بنظم جماعة بوذا ويخضع لشتى اللوائح التى تسير عليها الجماعة .

ثم يردد بعد ذلك قسما مكونا من عشرة بنود تنص على المبادىء الأولى التى يجب أن يتبعها المريد ليبدأ حياته الطاهرة ويسير في سلك النرفانا ، وبنود هذا القسم هى :

١ ـ أقسم ألا أزهق حياة

٢ ـ أقسم ألا أسرق

٣ ـ أقسم أن أمتنع عن الاتصالات الجنسية

٤ ـ أقسم ألا أقول الكذب

٥ ـ أقسم ان امتنع عن شرب الخمر

٦ ـ أقسم ألا آكل فى غير الأوقات المشروعة

٧ ـ أقسم ان امتنع عن الرقص والغناء والموسيقى والتمثيل

٨ ـ أقسم ألا اتزين بقلائد الزهور ، ولا اتطيب بالعطور ، ولا اتحلى بالمساحيق والجواهر

٩ ـ أقسم ألا انام على سرير عريض او مرتفع

١٠ ـ أقسم ألا اقبل من احد ذهبا او فضة

بعد ان ينتهى من ترديد هذا القسم امام المجلس يقدم الطالب احترماته للرئيس ، وينسحب على انه صار مريدا او عضوا .

غير ان تعيين المريد تعيينا نهائيا فى الجماعة لا يتم إلا بعد ان يعقد له مجلس آخر من مرشدين لا يقل عددهم عن عشرة يطلب فيه المريد من رئيس المجلس ثلاث مرات ان يكون رئيسه ، فإذا قبل الرئيس يذهب المريد الى نهاية قاعة المجلس حيث تربط طاسة الشحاذة برقبته ، ثم يذهب اليه المرشد الذى اقترح تعيينه ويحضره امام رئيس المجلس . عندئذ يقف مرشد آخر بجوار المريد بحيث يكون بينهما ، ويأخذ المرشدان فى إلقاء اسئلة تستفسر عن اسم مرشده ، وعما اذا كان يملك طاسة الشحاذة والأردية الصفراء ، وعما اذا كان خاليا من الأمراض المعدية وليس عليه التزامات

للدولة أو للأفراد وأن سنه لا يقل عن عشـــرين عاما . فإذا كانت إجاباته مرضية وتتمشى مع تعاليم بوذا ونظمه ، وأقتنع المرشدان بأحقية المريد فى التعيين النهائى يبلغان المريد بذلك ، بعدئذ يتقدم المريد راكعا راجيا من المجلس أن يقبل تعيينه قائلا ثلاث مرات « أيها الشحاذون أرجوكم أن تقبلونى وترفقوا بى وأدفعونى » ثم يأخذ المرشدان من جديد فى اختباره أمام جميع أعضاء المجلس . فإذا لم يعترض أحد على تعيينه يتقدم كل مرشد وينحنى أمام الرئيس مقررا رضاه عن تعيينه فى الجماعة ، وموافقته على أن يكون العضو الذى رشحه مرشدا له . وبعد أن تتم جميع إجراءات التعيين النهائى يتلو احد المرشدين ملخصا للوائح الجماعة ، ثم ينتهى عقد المجلس وينصرف الجميع

وقد يسكن العضو الجديد فى أول الأمر فى مسكن مرشده الذى يأخذ فى نصحه وإرشاده . ولكن سرعان ، ما ينتقل المريد الى مسكن خاص به ، وينصرف الى بذل كل مايستطيع من جهد للسيطرة على جميع أهوائه ونزعاته ، ولا يشغل ذهنه بأمور الدنيا . ولذلك لايسمح له بأن يشتغل بأى نوع من التجارة ، وعليه أن يستجدى قوت يوم بيوم ، ولا يقتنى إلا ماهو ضرورى من الملابس والفراش . فلا يحق له أن يحتفظ بقوت غده . كما يجب عليه أن يطيع نظم الجماعة ولا يخـــرج عليها ، ويعمل على إتباعها ولايعصيها ، فإذا كان غير ملزم بطاعة أحد من البشر إلا أنه ملزم بطاعة قانون بوذا ونظم جماعته . إذ لا يكفى لكى يصير المريد مرشدا أن يطيع

قانون بوذا وإنما يجب عليه كذلك أن يثبت طاعته لنظم الجماعة وإخلاصه في إتباعها فلا يخالفها في كبيرة أو صغيرة. إن التمسك بقانون بوذا وإتباع نظم الجماعة في نفس الوقت يحقق للمريد رقياً يدفعه في طريق الرهبانية وهو طريق طويل شاق يتطلب من المريد نضالا ظاهراً تقشفياً مستمراً.

ولقد كانت حياة بوذا اليومية نموذجاً سار على منواله جميع المريدين والمرشدين. فلقد كانت حياة الوحدة في الغابات هي خير السبل للقضاء على الأهواء. ولكن بوذا منذ استنارته لم يعش منفرداً، ولم يعش منفرداً من البوذيين إلا أنفار قلائل من المترهبين. ولذلك عاش معظم أتباع بوذا في جماعات في الغابات والحدائق، ثم بنى لهم بعض الأثرياء الفضلاء استراحات بعضها بنيت في حياته وبعض الآخر بعد وفاته. واشترط بوذا أن تبنى هذه الاستراحات في أماكن غير آهلة بالحيوانات المتوحشة من ناحية وأن يكون حول هـــذه الاستراحات ساحات مكشوفة حتى يمكن أن يرى عامة الناس سلوك أتباع بوذا ويتخذون منهم قدوة لهم من ناحية، ويحثونهم على بناء الاستراحات لهم وتزويدهم بكل ما يحتاجون اليه من مواد البناء من ناحية أخرى. واذا ما أخذ الأهالي في بناء هـذه الاستراحات لا يجب أن يرهق الأعضاء الأهـالي بطلباتهم، ويجب أن يتشفقوا عنـد استجداء مواد البناء، ولا يظهروا أى نوع من الجشع حتى لا ينصرف الناس عن مدهم بما يلزمهم في تشييد الاستراحات.

ويقيم الأعضاء فى غرف حول فناء فى هذه الاستراحات . وكان بوذا ينتقل من استراحة الى استراحة عندما يكون الطقس صحوا ، أما فى فصل المطر فكان يستقر مع جماعته فى استراحة قريبة من مدينة أو قرية سكانها من الموالين لبوذا وجماعته حتى يتمكنوا من استجداء ما يلزمهم من طعام . وفى فصل المطر يكون عندهم متسع من الوقت الدراسة والبحث والتأمل وتلاوة القانون ونظم جماعته .

أما أثاث غرفة العضو فتتكون عادة من فراش غير مرتفع وغير عريض وكرسى وإناء لغسل القدمين والملابس وحصيرة . والعضو يستجدى عادة هذا الأثاث ولا يحق أن يملك من الأثاث ما هو فاخر وثمين أو أكثر مما يلزمه ، واذا حدث وأن وهب له أثاث يزيد عن حاجته يجب أن يعطيه للعضو المشرف على توزيع ما ينقص الأعضاء من اثاث .

فإذا كانت نظم بوذا تلزم الأعضاء بالتقشف فى السكن فإنها تلزمهم بالتقشف فى الملبس كذلك . وتوجب هذه النظم أن يلبس كل عضو ملابس رخيصة مصنوعة من أقمشة برتقالية اللون لا قيمة لها كالخرق البالية التى تؤخذ من أكوام الأوساخ . فاذا منح العضو قماشا جديدا يجب أن يقص قطعا صغيرة حتى يفقد قيمته التجارية ثم تصنع منه الأردية . وتتكون ملابس الرجل من ثلاث أردية وملابس المرأه من خمس .

أما عن أردية الرجل فهى تتكون من رداء داخلى يلبس داخل الاستراحة

ورداء خارجي يلبس عند الخروج أو عند الذهاب الى القــرية ، ثم عباءة فضفاضة تغطي جميع الجسم ما عدا الكتف الأيمن . ولا يليق بالمريد أو المرشد أن يدخل قرية أو مدينة بدون هـذه العباءة ، ولا يليق به أن يلبس أردية واسعـة . وتتكون أردية النساء من ثلاث أردية تشبه أردية الرجال ثم من رداءين آخريين هما صدرية ولباس وللاستحمام إذ لايجب أن تستحم المريدة أو المرشدة عارية .

ولا يجوز للمريد أو المرشد أن يخلع هـذه الملابس ويبدلها بغيرها لأن إرتداءها شرف له ، ومن يخلعها يستحق الفصل من الجماعة . كما لا يجوز أن يلبس العضو غير الأردية المقررة ولا يتزين بالقلائد والحلى . ولايسمح للعضو بأن يمتلك من الأردية أكثر من ثلاث اذا كان رجلا ومن خمس اذا كان إمرأة . واذا كان هنـــاك أردية تزيد عن حاجته يجب أن يسلمها للمرشد المشرف على توزيع الملابس على المريدين والمرشدين . وكثيراً ما كان ينقص الأعضاء بعض الأردية ولذلك حث بوذا عامة الناس من الموالين لقانونه أن يقدموا ما يزيد عن حاجتهم من الملابس لأعضاء الجماعة وكان بوذا يتقبل هدايا كثيرة من الملابس . وتصنع هـذه الملابس عادة من الصوف أو من القطن . ولقد منع بوذا الأعضاء من لبس الأحـــذية خصوصا الجلدية لأنها تسحق الحشرات الصغيرة عند المشى ، وكذلك حرم لبس جلود الحيوانات ولكنه سمح للذين يعيشون فى المناطق الشديدة البرودة

باستعمال جلود الغنم والماعز والغزال كأغطية لتقيهم البرد .

وليس للعضو أن يأكل ما يشاء فى أى وقت يشاء وإنما لايجب أن يأكل المريد أو المرشد إلا ما يشحذه ، ولا يتناول إلا وجبة واحدة فى اليوم تكون فى الفترة بين شروق الشمس والظهيرة ، ويحرم عليه تناول وجبة غيرها بعد الظهر وإن كان يسمح له أن يشرب مشروبات لا يكون من بينها المشروبات الروحية .

ففى الصباح يخرج المرشد مع مريده يوميا الى القرية المجاورة أو المدينة القريبة من الاستراحة . ويمسك كل منهما طاسة الشحاذة ويمر بكل بيت دون أن يطلب شيئا ، بل يقف خارج الكوخ أو أمام الباب أو النافذة التى تكون عادة مفتوحة نظرا لشدة الحرارة فإذا وضع أحد أى طعام فى الطاسة عليه أن يدعو متمنيا له الخير ثم ينصرف ، واذا لم يعط شيئا يستمر فى سيره صامتا . وهكذا يشحذ المريد أو المرشد طعامه من مختلف بيوت القرية وأكواخها دون أن يميز بين بيوت الأثرياء وأكواخ الفقراء . وعندما يتجمع له فى الطاسة كمية من الطعام تكفيه لوجبة اليوم يعود الى مسكنه ويأخذ فى تناول هذا الخليط من المأكولات قبل وقت الظهيرة غير شره أو متلذذ بجودة الطعام أو مشمئز من إختلاط أنواعه ، ويصرف ذهنه أثناء تناول الطعام الى التفكير فى حقيقة تلاشى الجسد وكيف أنه يبلى فى النهاية وليس هناك جدوى من الأكل إلا أنه يحفظ الجسد الفانى لحين بلوغ النرفانا .

ولقد كان بوذا فى أول الأمر يسمح بتلبية دعوات الأغنياء الموالين لتعاليمه الى تناول الطعام فى منازلهم ، وكان يسمح أيضا لأهل القرى والمدن بإحضار الطعام الى الاستراحات وفى مساكن المرشدين والمريدين فى المناسبات والأعياد ، وكان بوذا لا يمانع فى أكل كل ما يعطى لهم من طعام سواء به لحم أو خال من اللحوم ، وإن كان قد منع أكل لحوم الحيوانات التى تذبح خصيصا للأعضاء ، ولحوم الفيلة والخيل لأنها من الحيوانات الملكية ، ولحوم الحيوانات المتوحشة كالنمر والفهد . ولكن البوذيين المتشددين حرموا أكل جميع أنواع اللحوم ، ورفضوا تلبية الدعوات الى الولائم ، ولم يقبلوا أى طعام يقدم لهم وإنما حرصوا على ألا يأكلوا إلا مما يشحذونه بأنفسهم ويجمعونه فى طاسة الشحاذة الخاصة بهم .

وكما أن العضو لا يجب أن يمتلك أكثر من ثلاث أردية لا يجب أن يكون عنده أكثر من طاسة واحدة على ألا تكون من الذهب أو الفضة واذا وهب طاسة ذهبية أو فضية يجب أن يرفضها أو يطلب استبدالها بأشياء تحتاج اليها الجماعة كالأدوية والعقاقير . واذا كان عنده اكثر من طاسة يجب أن يعطى ما يزيد عن حاجته للمرشد المكلف بتوزيع الطاسات على أعضاء الجماعة .

وهكذا يجب أن يعيش المرشد أو المريد متقشفا فى المسكن وفى الملبس وفى المأكل ، فقيرا لا يمتلك أكثر مما هو ضرورى من فراش وملابس . وإن سمح

للعضو فيما بعد بأن يمتلك الكتب وغيرها من الأشياء الخاصة التى لا تتنافى مع التقشف ولا تدل على حب الاستحواذ والإمتلاك . ولم يعترض بوذا كذلك على أن يحتفظ الأعضاء الأغنياء بممتلكاتهم من الأراضى والمنازل حرصا على صالح الجماعة وتشجيعا للأثرياء بالإندماج فى جماعته وبذل الأموال من أجل تزويد الأعضاء بما هم فى أمس الحاجة اليه .

واذا فرض على العضو أن يعيش متقشفا فقيرا فلقد طلب منه كذلك أن يكون مطيعا . وهذه الطاعة ليست لشخص من الأشخاص أو لهيئة من الهيئات وإنما هى لقانون بوذا . على كل عضو إذن أن يطيع القانون . واذا لم يطلب منه أن يخضع لسيطرة عضو من الأعضاء إلا أنه يجب ان يحترم كل عضو أقدم منه فى الجماعة .

إن طاعة المريد للمرشد طاعة عمياء وخضوعه له خضوعا تاما لا توصل الى النرفانا إذ لا يستطيع أن يبلغ أحد النرفانا بأن يقيد فكره وعمله بالغير إن طريق النرفانا هو الجهاد الحر الذى لا يستطيع أن يلقنه المرشد للمريد . إنما يتوصل اليه بالذهن الصافى والتأمل الطاهر والفكر الطليق من الشهوة والضغط والإلزام . وعلى كل عضو إن يكون حرا لا يستسلم لسحر مرشده ولا يبهر بقدرته الروحية إذ الجميع متساوون فى كل شىء وما حققه المرشد يستطيع أن يحققه أى عضو ، وإنما يختلف الأعضاء بقدرتهم على السير المتواصل فى طريق الجهاد من أجل بلوغ النرفانا ، ومن لا يتعثر فى الطريق

لا بد أن يصل الى النرفانا بجهده الخاص وبعون نضاله الشخصى .

وكذلك للعضو مطلق الحرية فى أن يطيع نظم الجماعة أو يعصيها ، وله أن ينفذ أوامرها ويتجنب نواهيها دون اجبار أو تعنت ، وإن التحاقه بالجماعة ليس أمرا لا سبيل للتخلص منه إذ يمكن لكل عضو من أعضاء الجماعة أن يخرج من الجماعة اذا ما تنازل عن قسمه الخاص بطاعة قانون بوذا ونظم الجماعة .

ويتبين من ذلك أن جماعة بوذا ليست هيئة سرية تنشر تعاليمها فى الخفاء وتطلب من أعضائها الطاعة العمياء وإنما هى هيئة تترك للعضو مطلق الحرية ولا تحتم عليه أن يخلص لها بدون إيمان صادق بتعاليمها ولا تستغل هذا الإيمان بأن تفرض عليه طاعة عمياء تحد من انطلاق فكره وتحول دون صفاء ذهنه . إن عمل الفرد نفسه وتثقيف فكره هو السبيل الرئيسى لتحقيق النرفانا . وإن تعاليم المرشد للطالب واحترام العضو لمن هو أقدم منه ما هو إلا تمهيد لدفع الطالب فى طريق الجهاد الشخصى ، وإن إقتناع الفرد بطاعة قانون بوذا ونظم الجماعة ماهو إلا المشعل الذى يهدى العضو الى طريق النرفانا.

فإذا ما أخطأ الطالب فى سلوكه ، أوخالف المريد لوائح الجماعة ، أو حاد المرشد عن هدى الحياة الفاضلة وارتكب إثما صغيرا كان أو كبيرا عليه أن يعترف به لا لنفسه بل لغيره فى اجتماع عام ، ويتقبل ما يفرض عليه من عقاب حتى يكون طاهرا نقيا على الدوام ، لا يلوثه إثم أو يدنسه ذنب ،

فيقوى على مغالبة الأهواء وقهـــر النزعات الشريرة ويتخلص من الآلام ويقضى على القلق ويستعد لحياة النرفانا الهادئة .

ولذلك اهتم بوذا بعقـد اجتماعات دورية مرتين فى الشهر عند بداية الشهر القمرى وفى منتصفه . يتلو فى هـذه الاجتماعات لوائح الجماعة مرشد متمكن من تعاليم بوذا ، وعلى جميع الحاضرين أن يصغوا اليه بانتباه تام حتى يعيها كل منهم وعيا شاملا دقيقا ولا يخالفها أحد على الاطلاق . فإذا حدث أن خالفها دون أن يدرى ، ولم يشعر بأنه قد أتى إثمـــا فإن تلاوة اللوائح تنبهه الى إثمه فيسرع الى الاعتراف به لبوذا أو لأحد المرشديـــن أو فى الاجتماعات الدورية حتى يتطهـر من دنس الإثم الذى اقترفه دون أن يفتبه اليه .

وفى بداية الاجتماع الدورى يجب ان يعترف كل عضو بآثامه حتى يكون طاهرا عند تلاوة قائمـة لوائح بوذا ، إذ لا يجب أن يسمعهـا إلا كل مرشد طاهر متمكن من تعاليم بوذا . ولذلك لا يجب أن يحضر هذه الاجتماعات عامة الناس أو الطالب أو المريد الذى لم يتم تعيينه النهائى أو المرشد الآثم .

وقبل أن تتلى قائمة اللوائح تصف الوسائد فى حجرة الاجتماع فى صفين متقابلين ، ويجلس رئيس الاجتماع على رأس أحد هذين الصفين . وفى رأس الصف الآخر يجلس أكبر بقية الأعضاء رتبة . بينما يجلس بجوار الرئيس الثالث فى الرتبـــة ، ويجلس فى مواجهته الرابع فى الرتبة وهكذا يجلس كل

عضو حسب رتبته التي تحدد بأسبقيته فى التعيين وأقدميته فى سلك الجماعة . وبعد ذلك يركع جميع الأعضاء بينما يظل الرئيس جالسا ويطلبون من الرئيس المغفرة عما أتوه من مخالفات فى العمل والقول والفكر ثم يجلس العضو الذى يأتى بعد الرئيس فى الأقدمية . ويطلب منه بقية الأعضاء المغفرة ثم يجلس العضو الثالث فى الأقدمية . ويستمر الأعضاء الراكعون فى طلب المغفرة حتى يجلسوا جميعا وبعد ذلك يركعون ثانية ويتلون أدعية تمتدح بوذا وتثنى على قانونه ونظم جماعته .

واذا كان الإثم الذى اعترف العضو بإرتكابه مجرد مخالفة بسيطة يعاقب بعقوبة بسيطة ككنس فناء الاستراحة وإزالة ما حول الشجرة المقدسة من أوساخ . أما إذا أتى إثما كبيرا فإنه قد يحال الى هيئة تحاكمه وتقرر العقاب حسب عظم جريرته وحسب مركزه فى الجماعة وأقدميته فى التعيين .

ولا يسمح لآثم بحضور الجلسات التى تتلى فيها قائمة اللوائح للجماعة . إذ قبل أن يقرأ المرشد المتمكن من تعاليم بوذا هذه اللوائح يسأل رئيس الاجتماع كل عضو ثلاث مرات عن طهارته وعن براءته من الإثم ؛ فإن ظل العضو صامتا كان بريئا من الإثم ، لأن الآثم يجب أن يعترف بإثمه . كما لا يعقد الاجتماع إلا بعد حضور جميع الأعضاء ، ولا يجوز لعضو أن يتغيب عن هذه الاجتماعات إطلاقا إلا عند الضرورة القصوى مثل المرض الشديد أو الجنون . واذا حدث وتغيب عضو لمرضه يجب أن يرسل براءته من الآثام

الى المجلس . إذ لا تتلى قائمة لوائح الجماعة إلا بعد أن يعلن طهارة جميع الأعضاء الحاضرين منهم والغائبين . وعند تلاوة هذه اللوائح يجب أن يصغى الجميع اليها فى يقظة وانتباه حتى يتجنبوا الآثام ، ويعرفوا ما يكونوا قد وقعوا فيه من أخطاء ، وما ارتكبوه سهوا من مخالفات لعدم إلمامهم الدقيق بلوائح الجماعة .

وتشتمل قائمـــة اللوائح على ثلاثة أنواع من اللوائح : أولها تنص على ما يجب أن يتبعه العضو من سلوك حتى يبلغ النرفانا ، وثانيهـا تحدد اللوائح التى تحذر من إتيان أفعال تبعد السالك عن طريق الاستنـارة وأن من يأتى هذه الأفعال يعد آثما ، وثالث هذه اللوائح هى اللوائح التى تحـدد العقوبات حسب جريرة العضو ومكانته فى الجماعة . وعلى كل عضو أن يلم بهذه اللوائح إلماما تاما ، وليس لآثم أن يدعى الجهل بها لأنه يفرض عليه قراءة جزء منها يوميا ، كما تتلى عليه مرتين فى الشهر فى الاجتماعات الدورية ؛ فمن يجهلهـا بعد ذلك لا شك فى أنه آثم ومقصر .

أما من يرتكب إثمـا ولا يعـترف به أو أتاه سهوا دون أن يشعر أنه اقترف ذنبا يجب أن يبلغ عن إثمـه غيره من الأعضاء لأنه من واجب كل عضو أن يبلغ عن مخالفات أى عضو . على أن يكون صـادقا فى تبليغه ، ولا يقصد به التشهير بسمعة عضو آخر ، كما أن التستر عليه فى مخالفاته يعد اشتراكا فى الإثم . ويقدم العضو المخالف بعد ذلك أمام هيئة مكونة من ستة

مرشدين لمحاكمته . والآثام التي يقدم بسببها الأعضاء أمام هيئة المحاكمة كثيرة متنوعة . وقصد من هذه المحاكمات حماية الجماعة من التفكك والتنافر وإلزام الجميع بحدود الطهارة والفضيلة حتى يعيشوا فى إنسجام ومحبة ، ولا يسعون إلا لهدف واحد هو القضاء على الألم والتخلص من القلق والحياة فى النرفانا الهادئة .

وأعظم الآثام التي يجب أن يبتعد عنها الجميع هى : القتل والسرقة والكذب والزنا والسكر ، وهى آثام يقسم كل عضو عند تعيينه بتجنبها ، كما يقسم بالابتعاد عن كل ما لا يناسب حياة الزاهد المتقشف ، فلا يقتنى فضه أو ذهب ، ولا يتزين بالزهور والحلى ، ولا يذهب الى دور اللهو ، ولا يرقص أو يغنى ، ولا يكون كذلك جشعا فى جمع الهبات أو شرها فى الأكل . ومن الآثام التي نبه اليها بوذا تجنب تشهير العضو بعضو آخر بقصد تشويه سمعته والحط من مركزه ، والابتعاد عن المشاغبة وإثارة المنازعات والفتن بين الأعضاء مما يسبب كثيرا من المتاعب التي تؤدى الى حزازات تمزق تماسك الجماعة ووحدتها . وتعتبر لوائح الجماعة كل من يخفى طاسة أو رداء يزيد عن حاجة العضو آثما يستحق العقاب . وتحذر اللوائح كذلك النساء من إثارة المشاكل وسب بعضهن بعضا ، وتمنعهن من التزين والغناء والرقص والتمثيل والاستحمام عاريات فى الأنهار .

وتضم قائمة اللوائح بنودا كثيرة تحدد علاقة الرجل بالمرأة داخل الجماعة

فتحرم على المرأة سوء مخاطبة الرجل ، فلا تسبه لأى سبب من الأسباب ، أو تجلس أمامه دون استئذان ، واذا ماجلست لايجب أن تجلس فى استرخاء وقح ، ولا تدخل استراحة الرجال إلابعد أن يسمح لها بالدخول . كما تطلب هذه اللوائح من الرجال غض النظر عند التحدث أو مقابلة المريدات والمرشدات وعندما يتحدثون اليهن يجب أن تكون نواياهم طاهرة غير دنسة ، فيعتبر المسنات منهن كالأمهات والصغيرات منهن كالأخوات اذا كان شابا أما اذا كان مسنا يجب أن يعتبر المسنات كأخوات له والصغيرات كبنات له .

ولعل من أهم الآثام التى حرص بوذا على أن يلح فى طلب تجنبها هى مطالبة العضو برفع مكانته فى الجماعة ، لأن العضو لا يقدر أن يحكم على مدى رقيه فى طريق النرفانا ، وحتى اذا بلغ د [illegible] ظيمة واقترب من النرفانا لايجب أن يطلب مرتبة رفيعة فى الجماعة ، إنما يجب أن ينتظر حتى يرفعه بوذا الى المكانة اللائقة بجهاده دون أن يطالب بهذا الحق ، لأن ذلك يدل على أنه منصرف حقا الى تحقيق النرفانا ولا يشغله أى شاغل عن بلوغ هدفه ، وأنه متواضع لا يفاخر فى غرور وكبرياء بمجاهداته ويجبر الجماعة على ترقيته ، إنما يجب ترك الأمر لتقدير بوذا وبقية المرشدين دون أن يلتفت لشيء غير الوصول الى الاستنارة .

ويقدم المخطىء الى هيئة مكونة من ستة مرشدين اذا كان رجلا ، وست مرشدات اذا كان إمرأة . ثم تأخذ المحكمة تحقق فى إثمه . فإذا كان هذا

الإثم بسيطا حكمت عليه الهيئة بعقاب هو بمثابة نوع من المجاهــدة يطهر الجسد من الخطايا ، أما اذا كان الوزر كبيرا فيختلف العقـاب حسب عظم الوزر من ناحية وحسب مكانة المخطىء فى الجماعة من ناحية أخرى . وقد يفصل من الجماعة اذا ما قتل إنسانا أو سرق ولو شيئا تافها أو شرب خمرا أو اقترف الزنا ، وقد تنزل من مكانته فى الجماعة وتقل رتبته ويفقد مقامه ، وعليه أن يجاهد من جديد فى سبيل الوصول الى المركز الذى فقده . أما اذا ثبت أنه برىء وأن المبلغ عنه قصد التشهير به والحط من مركزه غيرة منه وحسدا عليه فيقدم المبلغ الكاذب الى هيئة الاتهام لمحاكمته ، وقـد تسحب منه طاسة الشحاذة ، وهى عقوبة قاسية تنزل العضـــو من مرتبة المرشد أو المريد المعين الى مرتبة الطالب .

وهكذا وضع بوذا هذه اللوائح والقوانين حرصا على كيان الجماعة وصونا لها من التفكك ، فضلا عن أنها تحول دون تنازع الأعضاء وتنافسهم وتمكنهم من التصادم والتنافر ، بل أنها تعمل على نشر المحبة والصفاء والوئام بين أعضاء الجماعة ، وأظهرت الجماعة أمام الأهالى فى صورة طاهرة نقية أثبتت لهم أن غرض بوذا وأتباعه هو بلوغ النرفانا فقط ولا شىء آخر ولا يصرفهم عن بلوغ هذا الهدف أى شاغل .

إلا أن بوذا لم يكتف بسن هذه اللوائح التى تحدد علاقات أفراد الجماعة ببعضهم بعضا ولكن اهتم كذلك بوضع التشريعات التى تنظم علاقات

اعضاء الجماعة ببقية أفراد المجتمع الهندى ، خصوصا بالأهالى الموالين للبوذية فاهتم بوذا بأن يكون أعضاء الجماعة على علاقة طيبة بالأهالى وأن يعملوا على توثيق هذه العلاقات حتى يكسب حبهم وتقديرهم واحترامهم وينال عطفهم على الجماعة ، لأنه بدون معونتهم لا بقاء للجماعة ، خصوصا بعد أن ازداد عدد الأعضاء وأصبحوا لا يمكنهم أن يعيشوا على ثمار الغابات ، وفى حاجة دائمة الى هبات المحسنين من المحبين للبوذية ولذلك منع بوذا الأعضاء من إساءة معاملة الأهالى ، أو التشنيع بهم وبعائلاتهم ، أو الحط من كرامتهم حتى لا يكونوا عرضة لكراهيتهم ، ولا يقفوا فى وجه دعوتهم ومحاربتهم ، ويمنعوا عنهم المساعدات الضرورية لبقاء الجماعة ، وطالب بوذا المرشدين والمريدين بحسن معاملة الأهالى قاطبة ، واذا ما طلبوا منهم شيئا يجب أن يطلبوه بلطف وأدب ، وأن يرشدوهم الى طريق الصواب والى الفضيلة ويبعدوهم عن الشر والرذيلة ، ويبينوا لهم طريق الخلاص ويشجعوهم على تحقيق النرفانا ؛ بذلك يمكن أن تنتشر تعاليم بوذا بين الأهالى دون أن يعوقها عائق .

ولكى يضمن بوذا حسن معاملة الأهالى لأعضاء جماعته عنى بوضع نصائح وإرشادات للموالين للبوذية حتم عليهم إتباعها حتى يتصفوا بالتقى والورع والفضل ، وإن لم يلزمهم بالانضمام الى سلك الجماعة فطلب منهم أن يكون الإحترام والحب والود أساس علاقة الأفراد ببعضهم بعضا فى المدينة أو فى القرية ؛ إذ يجب أن يحترم الفرد والديه ومعلميه ، وتحترم الزوجة

زوجها ، ويتبادل الأصدقاء وأبناء القبيلة الحب والاحترام . وطلب بوذا من الأب أن يحسن تربية أولاده وينشئهم على الفضيلة ، وطلب من الزوج أن يحترم زوجته فلا يهملها ويخلص لها ويعطيها سلطة فى بيتها ويزودها بالحلى وطلب من الزوجة أن تبادل زوجها احتراما باحترام واخلاصا باخلاص وتقوم بالأعمال البيتية وتحرص على مصلحته وتكون نشيطة تعمل على نشر السعادة فى البيت ، وطلب بوذا من أبناء القبيلة أن يكونوا أصدقاء يخلصون لبعضهم بعضا ولا يتناولون إلا حلو الحديث ويحرص كل منهم على مصلحة الآخر ولا يحاول أن يضره ويحافظون على الوعد ولا يخنثون العهد ، وطلب بوذا من السيد أن يحسن معاملة الخادم أو العبد فلا يكلفه بأعمال تفوق طاقته ويزوده بالطعام اللازم ويعطيه الأجر المناسب ويقوم بعلاجه عند المرض ويشترى له الدواء ويمنحه أوقات للراحة . وطلب من الخادم أو العبد أن يبدى نوايا طيبة نحو سيده ويخدمه بإخلاص فيستيقظ مبكرا وينام مبكرا ويكون أمينا على ممتلكات سيده نشيطا فى العمل ولا يسوء سمعة سيده بالباطل ويشهر به زورا وبهتانا . كما طلب بوذا من الأهالى أن يحسنوا معاملة رجال الدين بحيث تنسم بالحب والاحترام والعطف ، وان يرحبوا بهم اذا ما قصدوهم ويمنحوهم ما يحتاجون اليه من لوازم مادية ضرورية .

وقصد بوذا من وراء هذه التشريعات أن يوطد العلاقات بين أعضاء الجماعة وأفراد المجتمع الذين يعيشون بينهم ، وحتى تنشأ محبة متبادلة واحترام متبادل قد يؤديان الى كسب طلاب جدد للجماعة ونيل الجماعة

حاجاتها الضرورية . ولذلك لم يكن بوذا مجرد رجل دين إذ لم تقف رسالته عند إعلان دينه وكسب الأتباع والأعوان ، وانما كان رجل تشريع كذلك درس ظروف المجتمع الهندى الذى يعيش فيه ، واستفاد من تشريعات الديانات الهندية التى كانت منتشرة فى الهند فى ذلك الوقت وسن تشريعات جديدة تناسب أهداف دينه وتحقق الرفاهية للجميع . إلا أن هذه التشريعات تمتاز على غيرها من التشريعات الدينية أنها لم تشر الى عبادة الآلهة لأن دين بوذا لا يعرف الإله ، ولم تطلب من الأتباع تقريب القرابين لأنه لا يوجد ما تقدم اليه هذه القرابين وبالتالى لا يوجد فى تشريعات بوذا أى نوع من الشعائر الدينية التى تحتاج الى معابد وكهنة .

الفصل السابع

الحياة اليومية لأعضاء الجماعة

يستيقظ كل عضو فى الجماعة — وعلى رأسهم بوذا — مبكرا فى الفجر ثم يغتسل ، ويكنس الطالب أو المريد غرفة مرشده ، وينظف قسما من فناء الاستراحة ، أو يكنس ما حول الشجرة المقدسة وهى من نوع الشجرة التى استنار تحتها بوذا ، ثم يذهب ويحضر الماء الذى يحتاج اليه مرشده فى هذا اليوم ، وينقيه من الرواسب ويعده للاستعمال . بينما يجلس المرشد فى خلوة ويأخذ فى تأمل تعاليم بوذا ونظم الجماعة ، وكل ما صدر عنه من أفعال فى اليوم السابق ليتبين منها الخطأ من الصواب ويتأكد من طهارته ، ويستمر هذا التأمل الى أن يحين موعد جمع الصدقات للوجبة اليومية ، ثم يلبس الرداء الخارجى والعباءة ويمسك طاسة الشحاذة ، ويذهب الى المدينة القريبة او القرية المجاورة لطلب الصدقات . وقد يذهب بوذا منفردا أو يستصحب معه بعض المرشدين والمريدين ، وقد يذهب المرشد بمفرده وأحيانا يستصحب بعض المريدين . واذا ما ظهر بوذا فى شوارع المدينة أو دروب القرية يتسابق الأهالى على اعطائه هو ومن معه كل مايحتاجون اليه من طعام . وبعد الجولة اليومية يعود الجميع الى الاستراحة . ويغسل المريد قدمى بوذا أو

مرشده ، ثم يضع طاسة الطعام أمامه ليأكل . وبعد أن ينتهى من تنـــاول الوجبة اليومية يغسل المريد الطاسة .

بعد أن ينتهى جميع أعضاء الجماعة من الأكل يتجمعون حول بوذا الذى يأخذ فى القاء بعض الدروس فى القانون ونظم الجماعة ، ويناقشهم فى طرق التأمل وأساليبه ، ويبين لهم كيفية التدرب عليه حسب قـــدرات كل فرد واستعداده . بعد ذلك يستأذن كل عضو فى الانصراف ، ويذهب الى مكان خلوته الذى تعود أن يعتزل فيه أوقات من الليل والنهار . فمنهم من يذهب الى الغابة ويجلس فى ظل شجرة ، ومنهم من يلجأ الى مغارات الجبال والتلال ومنهم من يذهب الى غرفته فى الاستراحة ، ويأخذ فى دراسة ما عنده من كتب تتناول قوانين بوذا ولوائح الجماعة ، أو ينسخ بعض الكتب ، ويسأل مرشده عن الفقرات التى يشق عليه فهمها . بينما يبقى بوذا فى غرفته ، ويستلقى بعض الوقت طلبا للراحة . يستيقظ بعدها نشط الفكر ، منتبه الذهن متجدد الحيوية ، ويأخذ فى التأمل من جديد فى حقائق الوجود .

وكثيرا مايجتمع أهل المدينة القريبة أوالقرية المجاورة فى قاعة المحاضرات فى الاستراحة ، ويجلس بوذا على حصير على الأرض ، ويلقى عليهم دروسا فى التعاليم البوذية . وبعد أن ينصرف الأهالى يستحم بوذا اذا ما رغب فى ذلك أو يبرد المريد أطرافه بالماء ،ثم يرتدى الرداء الخارجى والعباءة ويعتزل الجميع طلبا للخلوة ، ويغرق فى بحر من التأمل . بينما يأخذ الطلاب والمريدون

فى تنظيف الاستراحة وكنسها . وبعد غروب الشمس يوقدون المصابيح ، ويأخذ كل منهم فى الاستماع لدروس مرشده أو فى تلاوة ما استظهره من فقرات من القانون . واذا ارتكب إثما يعترف لمرشده بكل ما آتاه من آثام حتى يتطهر . يجتمع المرشدون بعد ذلك فى غرفة بوذا ويستفسرون منه عن كل ما غمض عليهم من تعاليم بوذا وما صعب عليهم من طرق التأمل ، أو يطلبون منه أن يلقى عليهم درسا فى أحد الموضوعات البوذية ، ثم يستأذنون فى الانصراف . وقبل أن ينام بوذا يمضى بعض الوقت فى التأمل ثم يقوم بتمرينات لتحريك قدميه من عناء الجلوس على الأرض حتى منتصف الليل .

يتضح من عرض حياة أعضاء جماعة بوذا اليومية أنها خالية من العبادات والشعائر . فهم لا يذهبون الى المعابد ، ولا يصلون أو يصومون أو يتلون الدعوات . وأحسب أنه لا يوجد عندهم ما يشبه الشعائر إلا جمع الصدقات والتأمل اذا ما اعتبرنا جمع الصدقات والتأمل كنوع من الشعائر حيث أن بوذا فرض على الجميع جمع الصدقات يوميا والزمهم بالاكثار من التأمل . ولقد سبق أن تحدثنا عن موضوع جمع الصدقات ، أما عن التأمل فإن بوذا يرى أنه هو السبيل الوحيد الذى يقضى على الألم والقلق ، ويتيح للعضو فرصة للسيطرة على الأهواء والشهوات ، ويوصل الى الهدوء والاستقرار أى يحقق النرفانا . ولذلك يجب على كل عضو أن يمضى معظم يومه فى التدرب على التأمل

حتى يجيد طريق النجاة ، فلا نعجب اذا أعتبر بوذا التأمل من أهم أعمـال العضو اليومية .

واذا كان التأمل قوام الحياة اليومية لكل عضو فلا يمكن أن يكون عندنا فكرة واضحة عن حياة الأعضاء اليومية ما لم نعرف كل ما يتصل بهذا التأمل . أن التأمل الصحيح لا يكتسب بدون أن يتبع العضو طرقا معينة يتدرب عليها يوميا حتى يقدر بالمران والخبرة أن يزاول التأمل مزاولة صحيحة ، وأن يصل بالتأمل الصحيح الى أهدافه . وللتأمل عدة مراحل تبتدأ بأن يحاول العضو تسكين حركات جسمه بأن يجلس فى مكان هادىء جلسة القرفصاء أو يستلقى فى استرخاء تام ويسكن جميع أطراف جسمه تسكينا كاملا ، ولا يحرك أى عضو منها إلا لحاجة ملحة وفى بطء وهدوء ؛ ثم يأخذ بعد ذلك فى تصفية ذهنه من كل ما يشتته ويصرفه عن التأمل بأن ينتبه بكل وعيه لعملية التنفس من شهيق وزفير دون أن يحـاول التدخل فى عملية التنفس نفسها ويتركها تسير سيرها الطبيعى . بعد فترة من السكون الشامل يصبح الجسم هادئا ساكنا ، ويصير الذهن صافيا عميقا ، ويشعر العضو براحة واطمئنان تقضيان على كل ماسببته له حياته اليومية من تعب وقلق . وفى هـذه الحالة يكون الذهن قد أعد إعدادا تاما للتأمل فينصرف الى موضوعات تأمله بكل كيانه لا يشغله عنها شاغل ، ويحصر فيها تفكيره دون أن يطرق عليه أى فكرة دخيلة أو شعور عارض يعرقل تأمله ويبعده عن هدفه .

أما عن موضوعات التأمل فتشمل تعاليم بوذا وإزالة النوازع الشريرة وكسب نزعات خيرة من ناحية ، ونقد الذات ومحاسبتها على ما قد ارتكبته من آثام من ناحية أخرى . ويبـــدأ العضو تأمله بتأمل موضوع الجسد وما يصيبه من مرض وشيخوخة وموت فيتأكد من أنه بال وسبب استمرار الولادات ومبعث الشهوات ومصدر الأهواء ، ثم يتأمل موضوع النفس فلا يجد شيئا ثابتا فى الفرد ، فالحواس متغيرة متقلبة ، والانفعالات تتبدل من حين لآخـــر ، والمشاعر لا تثبت على حال ، حتى الأفكار تتطور وتتغير فليس هناك نفس أو أى شىء ثابت فى كيان الإنسان فيثق فى أنه لا يوجد حقا روح أو نفس . ثم يتأمل فى سبب تعلق الفرد بالعالم الأرضى أو بالعالم الآخر ، فيجد أن تعلقنا بالحيـاة الأرضية يرجع الى قوة الشهوات وسطوة الرغبـات ، وأن ميلنا للحياة فى عالم آخر بعد الموت يقويه الاعتقاد بوجود الروح أو النفس أوما شابه ذلك ، ويدعو ذلك العضو الى محاربة كل ما يبعثه الجسد من انفعـالات حتى يقضى عليهـا ، والى مقاومة كل ما تنشره الأديان الأخرى من الأفكار الدينية التى تدور حول النفس والروح حتى لا تحلم بحياة فى العالم الآخر فيبتعد عن عرضه النهائى وهو تحقيق النرفانا التى لا تتحقق فى عالم أرضى أو فى عالم سماوى ولا تحتاج لشعائر وتقريب القرابين ودخول المعابد ، مما تنادى به الأديان الأخرى .

وقد يدعو ذلك الى نوع الشك ، ولذلك يجب أن يتأمل العضو فى ضرر الشك وحيرة التردد وقلق الريبة ، وكيف أن الشك والتردد والريبة تبلبل

الذهن وتشتت الفكر وتبعد العضو عن هدفه . وليس الشك وحده النقيصة الوحيدة التي تفسد التأمل ، بل هناك نقائص أخرى كثيرة يجب أن يتأملها العضو ليقضي على أشرارها . ولذلك يجب أن يتأمل كل عضو في الحقد والحسد وكيفية التخلص منها ، وفي الكسل والخمول والبلادة وكيف أنها تعوق الفرد عن سيره الحثيث نحو النرفانا ، وفي الجهل الذي يجعل العضو يتصرف تصرفات أبعد ما تكون عن السلوك السوي ، وفي الجشع ، وفي الكبرياء ، وفي الطيش والنزق ، وفي قلة الحياء والوقاحة وكيف أنها لا تساعد على كسب الطهارة وتعرقل الصفاء ، وأن التحرر من هذه المساوىء بالتأمل المستمر فيها ضروري لأنها تبعد العضو عن الهدوء والاستقرار .

وبعد أن ينتهي العضو من تأمل النواقص الخلقية وكيف يتخلص منها يأخذ في تأمل الكمالات الخلقية وكيف يكتسبها . فيبدأ في تأمل المنح والعطاء حتى يدرك كيف أن الاحسان يولد سعادة وسرورا ، إذ يبعث على حب الآخرين ، ويدرب الفكر على التجاوب مع الشفقة والرحمة . ثم يتأمل الواجب وكيف أن أداءه يتنافى مع الكذب وقلة الحياء وشرب الخمر ، وأن التدرب على تأمله يكون عن طريق تقوية الإرادة وتصفية القلب ، ولا يتأتى ذلك بدون العمل على تحرير الإرادة والقلب من أشرار الجسد ، وذلك يدعو الى التأمل في إنكار الذات وكيف أن الغيرية تسوق الى حب الجميع وأن تدريب الفكر على تأمل الحب يحرر الذهن وينقيه ، ويسطع عليه بنور وضاح طاهر يقوى من إيمانه بالنرفانا ؛ ولذلك يجب أن ينمي الفرد

حب جميع أفراد البشرية فى قلبه ، ويدرب فكره على طول الإمعان فى تأمل الحب حتى يصفو إيمانه بالنرفانا صفاء تاما . ويدرب العضو كذلك ذهنه على التأمل فى مغزى شحاذة الوجبة اليومية وكيف أنها تحرره من حب الامتلاك والجشع ، وأن التدرب على تأمل استجداء الطعام يحث على تخلص الجسد من الروابط الأرضية . بينما التأمل فى الشجاعة ضرورى لتقوية نزعة الإرادة فى القضاء على الأنانية ومحاربة النزعات والرغبات والأهواء . أما التأمل فى الصبر يقوى الذهن على تحمل كل ما يصادف العضو من متاعب فى سبيل القضاء على الشهوة واللذة والمسرات . ويجب أن يصوب فكره نحو الحقيقة بتأملها على الدوام حتى لا يحيد عنها أبدا . ويجب أن يركز ذهنه فى تأمل الحزم والعزم وكيف أن الإرادة يجب أن تصمم بلا تردد أو تخاذل فى سبيل تحقيق النرفانا . ويجب أن يتأمل كذلك فى الرحمة والشفقة إذ يجب أن يعطف كل عضو على هؤلاء البشر الذين يعيشون فى حزن وألم وقلق من جراء تعلقهم بالأرض ، فيحزن لحزنهم ويتألم لألمهم ويقلق لقلقهم ، ومشاركة البشر فى الحزن والألم والقلق يولد شفقة محبوبة تولد بدورها حبا أخويا وصداقة لجميع الناس . وللعضو أن يتأمل فى سعادة غيره من الناس ويشاركهم فى هذه السعادة بأن يسعد لسعادتهم ويسر لأنهم يعيشون فى سعادة خلصتهم من روابط الأرض وتعدهم للوصول الى النرفانا . وأخيرا يجب على كل عضو أن يركز ذهنه فى تأمل حالة الهدوء والسكينة والاستقرار التى يتساوى فيها

السرور والألم ، وينعدم فيها التميز بين الخير والشر أو العدل والظلم أو الشهوة والأفول أو الغنى والفقر أو الجمال والقبح أو الشباب والشيخوخة أو الصحة والمرض ، ويدرب فكره تدريبا طويلا مستمرا على اكتساب حالة الاستقرار التي هي أقرب الأحوال الى النرفانا أو باكتسابها يصل الى النرفانا.

ولا يمكن إكتساب الكمالات السابقة إلا اذا كان عند العضو رغبة قوية فى التحلى بهذه الخصال الطيبة ، إذ يمكن أن تدفعه الى أن يسلك السبيل السوى لإكتسابها ، وأن تعد قلبه للايمان بها إيمانا صادقا نقيا ، وأن تحث فكره على أن يدرسها دراسة فاحصة . وطالما يركز العضو ذهنه فى هذه الخصال الحميدة ويقوى من إرادته لإكتسابها بالأعمال الطيبة فإنه ينتقل من حال الى حال أرقى منها حتى يصل فى النهاية الى حال الاستقرار . أما عن هذه الأحوال فهى :

١ ـ حال الحيوية والنشاط وهو الذى يحث على العمل من أجل السير فى طريق النرفانا .

٢ ـ حال الوعى وهو الذى يوقظ فى العضو وعى تعاليم بوذا وعيا شاملا كاملا .

٣ ـ حال التأمل الذى يحض العضو على إمعان النظر فى تعاليم بوذا .

٤ ـ حال البحث وهو الذى يلزم العضو بالدقة فى دراسة قانون بوذا دراسة عميقة مستفيضة .

٥ ـ حال النشوة وهو السعادة المكتسبة من التحرر من الشهوات والرغبات .

٦ ـ حال الاطمئنان الذى يتخلص فيه العضو من جميع ألوان الحزن والقلق والخوف مما يدعو الى صفاء الذهن صفاء تاما لا يدفعه الى أى نوع من التفكير .

٧ ـ حال الصبر الذى يحتفظ فيه العضو بنشوته من أجل تحرره التام من الأهواء ، ويتمسك بما حققه من اطمئنان أدى الى صفاء الذهن وأنقذه من هواجس الألم .

٨ ـ حال الاستقرار والهدوء الذى لا تتميز فيه القيم ، ويصبح فيه العضو فوق الأفراح والأحزان بل فوق الحياة والموت ، ويحقق النرفانا حال السكينة المطلقة التى ينفصل فيها عن كل ما يربطه بالوجود من قيم ، وبذلك يصل الى نهاية مطاف كل بوذى .

إن حياة أعضاء جماعة بوذا اليومية تؤكد لنا أن بوذا لايعترف بالشعائر والطلاسم ، ولا يقر بالكهانة وحياة المعابد . وإن حياتهم اليومية تشمل

نوعين من الأعمال : أعمال مادية تنحصر فى تنظيف الاستراحة وخدمة المرشدين واستجداء الطعام ، وأعمال تأملية تنصرف الى التخلص من النقائص وكسب كمالات تقود الى النرفانا . كما أن حياة الأعضاء اليومية تشهد على أن بوذا لايلزم أى عضو بقبول تعاليمه دون أن يتأكد من صدقها ويترك لهم مطلق الحرية الى أن يعيها كل منهم وعيا تاما ، ويتأملها تأملا طويلا عميقا ، ويفحصها فحصا شاملا حتى اذا ما آمن بها يسير فى طريق النرفانا دون أى تعثر .

الفصل الثامن

أيام بوذا الأخيرة

عندما اقترب بوذا من سن الثمانين كان قد دب في جسمه الضعف والوهن ولا عجب في ذلك فلقد قام بما يربو عن أربع وأربعين رحلة بين القصيرة والطويلة متنقلا من بلدة الى بلدة سيرا على الأقدام يدعو الناس الى تعاليمه، ويحثهم على الانضمام الى جماعته، وينشيء مراكز لاستراحة الأعضاء في كل مكان، ويضع النظم واللوائح التي تنظم حياة الأعضاء داخل الجماعة. ولم يكن جهاده سهلا هينا فلقد صادفته بعض المتاعب، وواجهته انقسامات أثارت الفتن والمنازعات، كان أعمق هذه الفتن أثرا في بوذا هي فتنة ديفاداتا التي كان سببها التنافس على رئاسة الجماعة، وأدت الى خروج بعض الأعضاء الملتزمين من جماعته. ولا شك في أن هذه الفتن والمنازعات جعلت بوذا ينشغل على مستقبل جماعته، بينما هو في سن لا يمكنه أن يواجهها بقوة ويقضي عليها بحزم في الحال. وقد توالت عليه المصائب بعد ذلك إذ اغتيل أعز صديق له وهو الملك بمبسارا حاكم مملكة ماجادها وكان من أخلص المخلصين لبوذا وجماعته؛ وهاجم الملك فيرودها كا حاكم مملكة كاش ولاية كابيلافاستي وأخذ يذبح في أمراء ساكيا من أبناء عمومته.

فكبر السن وطول الجهاد وكثرة المتاعب وتوالى المصائب جعلت بوذا يحس بقرب منيته ، فحن الى موطنه ، ورغب فى الذهاب الى حيث أماكن الطفولة والشباب ، واشتاق لرؤية جبال الهيملايا وقممها المغطاة بالثلوج . وكان فى ذلك الوقت قد ذهب الى مدينة راجاجريها عاصمة ماجادها بعد أن مضى فصل المطر الرابع والأربعين فى استراحة جيتا بمدينة شرافستى ، وانتابه شعور بأن رحلته هذه ستكون آخر رحلة له ، ولذلك عزم على أن يمر بأكبر عدد ممكن من المدن والقرى ليلقى على أعضاء الجماعة فى كل منها دروسا فى آخر صورة لتعاليمه . ولذلك طلب بوذا من مريده وأقرب المقربين اليه أناندا أن يدعو جميع الاخوان فى راجاجريها للحضور فى قاعة المحاضرات ، وأخذ يلقى عليهم دروسا لخص فيها شتى تعاليمه ، وأعطاهم فكرة شاملة عن جميع اتجاهات مذهبه .

وأخذ بوذا بعد ذلك ينتقل من بلدة الى بلدة فى مملكة ماجادها داعيا جماعته لسماع محاضراته الجامعة الشاملة لشتى نواحى دينه . ومن تلك المدن بلدة أمبالاتهيكا وبلدة نالاندا ، وبلدة باتاليجاما التى تقع على الحدود بين مملكة ماجادها ومملكة فيجيان ، وكانت المملكتان فى حرب ، وكان لكل منها قوات تحرس الأسوار على الحدود ، وكان ملك ماجادها آخذ فى بناء حصون جديدة تعتبر نواة عاصمته الجديدة التى سميت فيما بعد باسم مدينة باتاليبوتا التى ليست إلا مدينة باتنا الحالية . ولما عرف وزراء ملك ماجادها

بوجود بوذا على الحدود دعوه لتناول الطعام .

بعد ذلك عبر بوذا مع جماعته نهر الجنجز سباحة ، وما أن وصل الى الضفة الأخرى حتى توجه الى بلدة كاتيجاما فى مملكة فيجيان ، وألقى هناك دروسا وافية شاملة لجميع المبادىء البوذية ، ثم أخذ يتنقل بين بلدان مملكة فيجيان خصوصا بلدة ناديكا حيث أقام فى بيت من الطوب ، وألقى نفس الدروس الشاملة الجامعة على جماعة هذه البلدة .

ثم ذهب الى مدينة فيشالى عاصمة مملكة ليكشافيس ، وأقام فى غابة تملكها الغانية أمبابالى ، وكانت على قسط وافر من الجمال ، تجيد الرقص والغناء ، ويتسابق العشاق على كسب ودها ، وكانت لا تبخل عليهم بالحب ولا ترد ما يطلبونه من متعة . فلما علمت أمبابالى بنزول بوذا وجماعته فى غابتها أسرعت اليه ودعته هو وجماعته لتناول الطعام . وبعد أن قبل بوذا دعوتها كان كبار رجال مدينة فيشالى يتسابقون اليه ليفوز كل منهم بشرف دعوة بوذا ، إلا أنه اعتذرلهم جميعا ، وتعجبوا كيف يقبل بوذا دعوة غانية ويرفض دعوتهم . وبعد أن أكل بوذا وجماعته ألقى بوذا على أمبابالى دروسا فى البوذية ونصائح وعظات دفعتها الى تغيير مجرى حياتها والايمان بتعاليمه وترك حياة المجون ، ثم رجت بوذا أن يقبل منها غابة المانجو وما فيها من إستراحة كهدية منها للجماعة فقبلها بوذا ، ولم تكتف أمبابالى بذلك بل وهبت حياتها ومالها كذلك فى سبيل بوذا وجماعته . وقبل أن يرحل بوذا

الى بلدة بيلوفاجاما كما ألقى على جماعة فيشالى دروسا جامعة شاملة تربط تعاليمه فى وحدة كاملة متناسقة .

وفى بلدة بيلوفاجاما كما أمضى بوذا آخر فصل للمطر بعد الاستنارة ، وهى قرية صغيرة لاتكاد تكفى لإقامة جميع أفراد جماعته ، ولذلك طلب منهم أن بوذا يتوزعوا على بيوت الأصدقاء والمعارف فى مدينة فيشالى أو يسكنوا القرى المجاورة لتمضية فصل المطر . أما بوذا فبقى مع أناندا فى بيلوفاجاما كما ولقد أصيب بوذا فى هذه البلدة بمرض كاد يؤدى بحياته حتى يأس أناندا من شفائه . ولكن بوذا شعر بأنه لم يمر بجميع مراكز الجماعة ، وأن كثيرا من الأعضاء لم يستمعوا الى آخر دروسه الجامعة الشاملة وكذلك تذكر أن أناندا لم يصبح مرشدا بعد ، وأنه ما زال مريدا يطلب العلم ، ولم يعين تعيينا نهائيا فى سلك الجماعة ، فتغلب على مرضه واستعاد صحته بقوة إرادته وأخذ ينبه أناندا الى أنه سواء أكان حيا أو ميتا فإن ذلك لا يفيده فى شىء إذ لا ييسر له بوذا تحقيق النرفانا أو يحول دون بلوغ الاستنارة : لأن الاستنارة لا يتوصل اليها الفرد إلا بجهوده الخاصة وبدافع من ذاته دون أن يستعين بمعلم أو ينتظر حافزا خارجيا يدفعه اليها .

وكان بوذا يتوجه كل يوم مع أناندا الى مدينة فيشالى ليشحذا طعامهما ، وبعد تناولهما هذا الطعام كثيرا ما كان بوذا يحدث أناندا عن المراحل التى يسير فيها المستنير بعد الموت حتى يبلغ النرفانا ، وحدد مراحل النرفانا بأحوال ثمانية هى :

١ ـ تبدأ المرحلة الأولى بحال الاحساس بالصور والأشكال .

٢ ـ وينتقل منه الى حال فقدان الشعور بصورته الذاتية وشكله الخاص مع عدم الإحساس بالأشياء الخارجية . .

٣ ـ وفى الحال الثالث لا يدرك إلا المعانى الكلية للصور والأشياء .

٤ ـ بعد ذلك ينتقل الى حال يتلاشى فيه الاحساس بكل ما هو جزئى وينعدم الإدراك بكل ما هو فردى ، ويدرك فيه حقيقة المكان اللانهائى بأنه غير محدد بصورة أو معين بشكل .

٥ ـ وينتقل فى الحال الخامس الى حال يستولى عليه الشعور اللامتناهى وهو شعور غير مقيد بإحساس معين أو بادراك خاص .

٦ ـ ثم ينتقل الى حال اللاشيئية حيث لا يدرك أى شيء على الاطلاق

٧ ـ وفى الحال السابع ينعدم الاحساس بكل ما هو جزئى أو كلى على حد سواء ، ويتلاشى الادراك بكل ما هو جزئى وكلى فى وقت واحد .

٨ ـ وأخيرا ينتقل الى حال يتساوى فيه الاحساس مع عدمه ، ولا يتمايز الادراك عن عدمه وهو حال النرفانا .

وبعد انتهاء فصل المطر اتجه بوذا الى بلدة ماهافانا حيث توجد قاعة كوتاجارا وطلب من أناندا أن يدعو جميع الاخوان المنتشرين فى فيشالى وماحولها من قرى للتوجه الى هذه القاعة . وبعد حضورهم ألقى عليهم بوذا مجملا للقانون

البوذى ، وحثهم على التمسك بلوائح الجماعة والتعمق فى تعاليم البوذية . ثم أخذ بوذا يتنقل بين مدن وقرى مملكة ليكشافيس ، وألقى فى كل منها دروسا وافية عن البوذية

وبعد ذلك قصد بلاد مالان ، وأقام فى غابة مانجو بمدينة بافا . وعندما سمع تشندا صاحب هذا الغابة بقدوم بوذا الى غابته أسرع اليه ودعاه هو وجماعته لتناول الطعام . وقدم لهم من بين ما قدم من طعام لحم خنزير وبعد الأكل عاود بوذا مرضه القديم وهو الدوزنتريا ، فشكر تشندا على ضيافته وقام مسرعا هو وجماعته ، حتى لا يعرف تشندا بمرضه فيؤنب ذاته ظنا منه بأن طعامه سبب مرض بوذا . وضغط بوذا المريض المتعب على قواه واتجه نحو مدينة كوسنارا وهى تبعد حوالى ١٢٠ ميلا عن مدينة بنارس وتبعد من جهة الشرق بحوالى ٨٠ ميلا عن مدينة كابيلا فاستى . فى أثناء السير اعترضه نهر كوكوشتا فاضطر أن يستريح بعض الوقت ثم سبح فى النهر وعبره مع جماعته . ولكنه لم يكد يمشى مسافة قصيرة حتى شعر بوذا بشدة وطأة المرض عليه ، فلم يقو على أن يواصل السير . فتوقف بوذا فى غابة من أشجار السال ، وطلب من أناندا أن يعد له فراشا على أن تكون رأسه جهة الشمال وبين شجرتين توأمتين من أشجار السال . ثم نام على جنبه الأيمن ، ووضع ساقا على ساق ، وغرق فى بحر من التأمل .

وبعد قليل تنبه وأخذ يحدث أناندا عن تشندا ، وطلب منه أن يدافع

عنه اذا ما لامه أحد على ما قدمه لبوذا من طعام به لحم خنزير ، وأن يعلن للجميع بأن أفضل الأطعمة التى قدمت له هو الطعام الذى قدمته له السيدة سوجاتا قبيل الاستنارة وهو تحت شجرة التين ، والطعام الذى قدمه له تشندا قبيل وفاته . كما حدث بوذا أناندا عما يجب عمله بعد موته وعن كيفية دفنه .

وبعد أن انتهى بوذا من حديثه انسحب أناندا بعيدا ، وأخذ يبكى ، فلاحظ بوذا غياب أناندا ، فسأل عنه ، فقيل له إنه تسرب بعيدا وأخذ يبكى فطلب من أحد الاخوان أن يستدعيه ، فلما حضر طلب منه بوذا أن يكف عن البكاء ، وشكره على اخلاصه ووفائه ، وأخبره بأنه لا يوجد انسان لا يموت ويتحلل ويبلى ، فهذه سنة الحياة ولن يفر أحد من الموت ، فلا حاجة للحزن والبكاء .

ولقد ضايق أناندا أن يموت بوذا العظيم فى قرية صغيرة مجهولة ، سورها من طين ، وأرضها برية لا تزرع ، فرجا بوذا أن يذهب الى إحدى المدن الكبرى حيث يوجد عدد كبير من البرهمة والكشاتريا والأثرياء والمخلصين لبوذا ، ويشرفهم أن يحيطوا جثمان بوذا بالاحترام اللائق به ، ويكرموه فى رحيله من الحياة أحسن إكرام . ولكن بوذا منع أناندا من الاستمرار فى مثل هذا الكلام ، وطلب منه أن يذهب الى أهالى كوسنارا ويخبرهم بقرب منية بوذا . فذهب أناندا الى كوسنارا ، ووجد أهاليها — وهم من قبيلة مالان — يعقدون إجتماعا فى قاعة الشورى ويناقشون بعض الأمور التجارية التى

تخصصهم ؛ فأعلن فى هذا الاجتماع بأن هذه الليلة هى آخر ليلة فى حياة بوذا ، وأنه يحتضر الآن ، فحزن الأهالى حزنا شديد ؛ وسرعان ما انتشر الخبر فى البلدة ، وأخذت النساء تولولن وتندبن .

ولما بلغ سمع الزاهد المتجول سودهارا خبر احتضار بوذا أسرع فى الذهاب اليه ؛ إذ كان يشك فى التعاليم الدينية المنتشرة فى البلاد ، وأراد أن يناقش بوذا فى بعض المسائل الدينية لعله يصل الى اليقين على يديه . وطلب من أناندا أن يقابل بوذا ، ولكنه رفض لأنه لم يرد أن يزعج بوذا فى ساعاته الأخيرة . ولكن بوذا سمع نقاشهما فطلب من أناندا أن يسمح لسودهارا بمقابلته . ولما أخبر سودهارا بوذا بعدم ثقته فى رجال الدين فى ذلك الوقت أخذ بوذا يوضح له أسس دينه فآمن بها وطلب من بوذا أن يدخل فى الجماعة فقبل وعينه فى الجماعة ؛ فكان سودهارا آخر طالب دخل الجماعة على يد بوذا.

وقبل أن يلفظ بوذا أنفاسه الأخيرة طلب من أناندا ومن جميع الأعضاء الحاضرين أن يتخذوا من القانون مرشدا لهم ، وعليهم جميعا أن يعملوا من أجل إذاعته ونشره فى كل مكان . ثم تساءل اذا ما كان هناك عضو يشك فى أى شيء من تعاليمه أو يريد أن يستفسر عن شيء غمض عليه . وبعد ذلك قال آخر كلماته « إن الفناء رابض فى كل شيء يولد لا يشذ عن ذلك أحد ، وعلى الجميع أن يبذلوا الجهد فى سبيل الخلاص النهائى » ، ثم مات .

وسرعان ماذاع خبر الوفاة ، وجاءت النساء وأحطن جثمان بوذا وأخذن

بولولن ويندين . أما الأعضاء الذين لم يقهروا بعد شهواتهم أو يقضوا على نزواتهم انتابتهم نوبات من البكاء والنحيب والنواح ، فضلا عن أنهم كانوا يمدون أيديهم الى الامام ثم ينبطحون أرضا ويحركون أجسامهم الى الأمام والخلف . بينما الأعضاء الذين قهروا شهواتهم وتغلبوا على نزواتهم لم يفقدهم الحـــزن السيطرة على انفعالاتهم ولم يخرجهم الأسى عن جادة الصواب . وأنشد أناندا قائلا « يالهـول ماحدث ، لقد مات المستنير الذى هـو أفضل الجميع فى كل شىء » ، وقال أنورودها « لقد خرج النفس الأخير من الذهن الثابت الهادىء ، وخمد فكره كما تخمد النار المنيرة » ، ثم طلب أنورودها من الأعضاء أن يكفوا عن البكاء وذكرهم آخر أقوال بوذا فى فناء سائر الأفراد . إلا أن الأعضاء لم ينقطوا عن النحيب طوال الليل ، واستمر كل من أناندا وأنورودها يخففان عنهم شدة وطأة الحزن ويطلبان منهم التوقف عن النواح .

ولما ذهب أناندا ليبلغ قادة مالان نبأ موت بوذا أسرع أهالى كوسنارا فى صنع الكفن وأكاليل الزهور وفى احضار الطيب والعطر ، ثم توجهوا الى غابة السال وأخذوا يرتلون الأناشيد ويعزفون الموسيقى ويرقصون ، واستمروا على هذا المنوال سبعة أيام بلياليها . وما أن أتى اليوم السابع حتى اغتسل ثمانية من الرجال وارتدوا ملابس نظيفة طاهرة ، ثم حملوا جثمان بوذا وطافوا به فى طرق كوسنارا حتى وصلوا الى ضريح مالان . وهنـــاك

وضعوا جثمان بوذا فى تابوت حديدى به زيت بعد أن لفوه بطبقات من القماش والقطن ، ثم غطوه بقماش طاهر ، ونقلوا التابوت حيث أقاموا محرقة من خشب الأشجار ذات الرائحة الطيبة . وحاول البعض إشعال الخشب لحرق جثمان بوذا إلا أنهم فشلوا فى إشعال النار . فى ذلك الوقت وصل كاشيابا ـ إذ لم يكن حاضرا وقت أن مات بوذا ـ على رأس جماعة عددها حوالى خمسمائه عضوا ، وأخذ يدور هو وجماعته حول المحرقة ثلاث مرات ويلقى قطعا من خشب شجر النخيل ، ثم كشف عن قدمى بوذا وألصق جبهته بهما إجلالا وإكراما لبوذا . وبينما يحيى بقية الأعضاء بوذا بلصق الجباه بقدميه اشتعلت المحرقة ، وسرعان ما تم إحتراق جثمان بوذا حتى لم يبق منه إلا الرماد .

وبعد أن خبت النار أقام أهالى كوسنارا سورا من السيوف والسهام حول رماد جثمان بوذا . وظلوا يكرمون هذا الرماد سبة أيام أخرى بالأناشيد والموسيقى والرقص ، ويلقون عليها العطر والأزهار .

وكان فى نية أهالى كوسنارا أن يحتفظوا برماد جثمان بوذا فى بلدتهم ، ويقيموا ضريحا خاصا لبوذا . ولكن لما سمعت المدن التى تنتشر فيها البوذية بخبر موت بوذا أسرعت بإرسال مندوبيها مطالبة بنصيبها فى رماد جثمان بوذا حتى يمكنها إقامة أضرحة لبوذا فى أراضيها . ومنعا للشقاق أشار العضو دونا بأن يوزع رماد جثمان بوذا على البلدان الثمانية التى طالبت بحقها فى

أخذ هذا الرماد . ولقد رضى قادة هذه البلاد بهذا التقسيم فوزع رماد جثمان بوذا على كوسنارا وماجادها وفيشالى وكابيلافاستى واللا كابا وراما جاما وبافا وفيتهاديا . وبعد هذا التوزيع طالب العضو دونا بطاسة بوذا فأعطيت له ، ثم جاء بعد ذلك مندوب قبائل مورياس وطالب بنصيب بلاده فى رماد جثمان بوذا ولم يكن هناك إلا بقايا من الحطب الذى احترق فيه جثمان بوذا فأعطى له .

ولقد أقامت كل بلدة من البلاد الثمانية ضريحا خاصا دفنت فيه نصيبها فى رماد جثمان بوذا ، وشيد العضو دونا ضريحا تاسعا لطاسة بوذا ، بينما بنى أهالى مورياس ضريحا عاشرا لبقايا الحطب الذى احترق فيه جثمان بوذا . إلا أنه يقال ـ وأحسب أن هذا القول صحيحا ـ إن كاشيابا اعترض على دونا ورفض فكره توزيع رماد جثمان بوذا وإقامة أضرحة متعددة لهذا الرماد ؛ لأن تعاليم بوذا تناهض إقامة الأضرحة وزيارتها ، وكذلك خوفا من أن ينظر الناس الى بوذا على أنه إله ثم يعبده أتباعه بعد ذلك ، بينما بوذا لم يؤمن بالآلهة ولم يأمر بعبادتها . ولذلك عمل كاشيابا على استرداد رماد جثمان بوذا ثم دفنه فى كهف فى جنوب شرق راجاجريها .

وهكذا مات بوذا بعد جهاد طويل شاق دام ما يقرب من نصف قرن أحدث ثورة دينية قلبت الأوضاع الدينية والاجتماعيه المألوفة ، وحاربت نظام الطوائف وسحبت من البراهمة والكهنة ورجال الدين ما كانوا يتمتعون

به من حظوة عند الشعب ومن نفوذ وسطوة عليه . لقد نادى بوذا بمساواة جميع الأفراد ، وأن لا فرق بين برهمى وسودرى إلا بجهاده فى سبيل تحقيق النرفانا وأن تحقيق النرفانا لا يتوصل إليه الفرد إلا بجهده الذاتى ولا ينتظر من أحد عونا لأن ذلك لا يفيده فى شىء وأن الجميع أحرار ليس عليهم من سلطان غير القانون البوذى بل لهم الحق فى التحلل منه إذا ما شكوا فيه وأحسوا أنه لا يحقق هدفهم ، وعندئذ لهم مطلق الحرية فى الانفصال عن الجماعة

ولقد ظل بوذا الى آخر أيام حياته يطوف بمراكز الجماعة يدعو الى تعاليمه ويناقش كل معترض ويزيل الشك من قلب كل مرتاب ويحث على التمسك بالقانون ويدفع إلى نشره فى كل مكان . ولم يقصر بوذا فى أن يعين طالبا فى الجماعة وهو فى ساعاته الأخيرة ، ولم يكف عن النصح والارشاد حتى قبل أن يلفظ النفس الأخير .

وهكذا ظل بوذا مخلصا لتعاليمه ثابتا على دعوته حتى الرمق الأخير .

الفصل التاسع

الجماعة بعد موت بوذا

لم يكن بوذا يؤمن بنظام الكهانة بل حارب الكهانة طوال حياته ، ولم ينشىء مراتب ودرجات لأعضاء الجماعة بل نظر اليهم جميعا على أنهم أخوة متساوون فى كل شىء ولا يحق لأحد أن يفخر على آخر بأى شىء حتى ولو كان متفوقا فى الروحية ، وإن الطالب والمريد والمرشد لا يمتاز أحد منهم على الآخر إلا بالأقدمية فى سلك البوذية ، وإن رائد الجميع ومرشدهم هو قانون بوذا . ولذلك لم يكن بوذا فى حاجة لأن يرشح من يتولى بعده زعامة الجماعة بل إن الجماعة بعد موته لم تشعر بحاجة للاجتماع لانتخاب من يحل محل بوذا لأنهم يعرفون القانون البوذى وهو ملاذ الجميع يلجئون إليه كلما صادفهم أى إشكال .

ولكن أقوال العضو المسن سوبهادا ـ الذى عين فى الجماعة بعد أن تقدم فى السن ـ عند موت بوذا دفعت الأعضاء الى التفكير الجدى فى عقد اجتماع لمراجعة تعاليم بوذا والاتفاق على صورتها الأخيرة . لقدلام سوبهادا الأعضاء الذين أخذوا يبكون حزنا عن موت بوذا وطلب منهم عدم الاستمرار فى البكاء وأخبرهم بأن موت بوذا يدعو الى الفرح لا الى الحزن وكان يجب

أن يسعدهم لأنه خلصهم من صرامة تعليماته ، فلقد كان يفرض عليهم سلوكا خاصا ويلزمهم باتباعه ويقيدهم بقانونه ويضيق عليهم من حين لآخر بأقواله « إن هذا الفعل يليق بالأخ ، وهذا الفعل لا يليق به » أما الآن بعد موت بوذا فلا يوجد من يأمر وأن الجميع أحرار ليس عليهم من سلطان لهم أن يفعلوا ما يشاءون دون رقيب أو حسيب .

وسرعان ما انتشرت أقوال سوبهادا بين الأعضاء وتناقلتها الألسن حتى وصلت الى علم كاشيابا وهو فى طريقه الى كوسنارا ليشترك فى جنازة بوذا . ولذلك دعا كاشيابا الى عقد اجتماع عام بعد الانتهاء من أداء الشعائر الجنائزية ولقد وجد كاشيابا استجابة من الجميع لعقد هذا الاجتماع لأنهم كانوا يحرصون على حفظ تعاليم بوذا من البدع ومن إدعاءات أمثال سوبهادا الذين لا يتورعون عن تحريف تعاليم بوذا وتبديلها أو إضافة ما هو غريب عنها ، كما خاف الأعضاء أن تثير أقوال سوبهادا الزيغ فى قلوب من لم يتوطد إيمانه بتعاليم بوذا فيرتدون عن البوذية .

وتولى كاشيابا رئاسة هذا الاجتماع إذ فضلا عن أنه سار شوطا عظيما فى طريق النرفانا فإنه أقدم الأعضاء فى الجماعة لأنه كان من أوائل الزعماء الدينيين الذين اعتنقوا تعاليم بوذا . وكان يوجد فى ذلك الوقت حشد كبير من الأعضاء منهم الطالب الذى لم يعين بعد ، ومنهم المريد الذى لم يتشب من تعاليم بوذا ولا يجيد حفظ نصوصها ، ومنهم المرشد الذى له أقدمية فى

سلك الجماعة وعلى علم تام بأسرار تعاليم بوذا ، وحافظ فى صدره لقسط وافر منها . فطلب أغلبية الأعضاء من كاشيابا أن يختار من بينهم خمسمائة مرشداً لهم أقدمية فى الجماعة مكنتهم من معرفة أقوال بوذا فى أصول طريق الخلاص وفى قواعد سلوك الأعضاء . فأخذ كاشيابا فى اختيار هؤلاء المرشدين الى أن تبقى عضو واحد ، ولم يجد كاشيابا عضوا له أقدمية تسمح له بالاشتراك فى هذا الاجتماع الخطير . فأشار عليه البعض باختيار أناندا تلميذ بوذا المفضل الذى زامله مزاملة قريبة مدة طويلة ، وسمع منه معظم تعاليمه ، وكثيرا ما كان يناقشه فيها حتى ألم بها إلماما تاما وإن كان ما زال طالبا ولم يعين فى الجماعة . فوافق كاشيابا على اختيار أناندا لأنه يعرف تعلق بوذا بملازمته وثناءه الدائم له على حسن سلوكه ، فهو بذلك لا يقل عن بقية المرشدين الذين اختارهم .

وقرر المرشدون الاجتماع فى غار فى تل قريب من راجاجريها أعده لهم الملك أجاتا شاتو حاكم ماجادها . كما اتفق المرشدون فيما بينهم على أن لا يسمح لأحد غيرهم بدخول هذا الغار لتمضية فصل المطر . قبل تلاوة أقوال بوذا التصديق عليها أشار البعض الى أن بوذا كثيرا ما كان ينصح بضرورة اصلاح الاستراحة قبل تمضية فصل المطر فيها ، فأخذوا فى إزالة ما فى الغار من خرائب ثم شرعوا فى ترميم ما قد هدم واصلاح ما قد كسر وحطم وإعداد الغار للسكنى ، واستمر هذا العمل شهرا كاملا .

وفى الشهر الذى يليه استعد الأعضاء لتلاوة أقوال بوذا لاعلان أقوال بوذا الصحيحة فى صورة رسمية بعد موافقة جميع المرشدين . وقبل البدء فى هذه التلاوة اتفق الأعضاء على تقسيم أقوال بوذا الى قسمين :

القسم الأول ويسمى « سوتا بيتا كا » ، وهو قسم نظرى يتضمن مبادىء العقيدة البوذية ومذاهبها فى الخلاص .

أما القسم الثانى فيسمى « فينايا بيتا كا » ، وهو قسم عملى يشمل شروط سلوك العضو داخل الجماعة وقواعد المجاهدة التى تحقق النرفانا .

اقترح كاشيابا بعد ذلك بأن يبدأ أوبالى بتلاوة فينايا بيتا كا لأنه يفوق جميع الحاضرين حفظا لها ، ثم يتلو أناندا سوتا بيتا كا لأن صلته الوثيقة ببوذا جعلته أكثر الأعضاء معرفة لها . ولما وافق الجميع على هذا الاقتراح أخذ أوبالى يتلو فينايا بيتا كا ، ولكن كاشيابا رأى أن يطلب من أوبالى أن يتلو قسما من فينايا بيتا كا ثم يسأله عن الظروف والمناسبات التى دعت بوذا الى أن يقولها ، وعن كيفية تطور كل تشريع وضعه بوذا ، وعن النتائج التى أدت اليها .

ولقد أخذ أوبالى فى تلاوة قائمة الآثام وعقوباتها ، وشروط قبول العضو فى الجماعة ، وطرق تعيينه وتعليمه وإرشاده ، وأصول عقد الاجتماعات ومواعيدها وأهمية تلاوة قائمة الآثام فى اجتماعات خاصة ، وأنواع المآكل

والملبس والمسكن والأثاث ، وأساليب معالجة المرضى وتقديم الدواء اللازم لهم إلى أن تلا جميع أقسام فينايا بيتا كا .

وبعد أن انتهى كاشيابا من سؤال أوبالى فى جميع ما تلاه من أقسام فينايا بيتا كا وأجاب عليه الاجابة الصحيحة وصدق الجميع على صدق الأسئلة وصواب الأجوبة ، أخذ كاشيابا فى سؤال أناندا فى كل ما يتلوه من سوتا بيتا كا بنفس الطريقة التى سأل بها أوبالى . وتلا أناندا جميع أقسام القانون البوذى من أصول ومبادىء ونظريات ؛ ثم قص مراحل حياة بوذا منذ أن ولد الى أن مات ، وعرض جهاده الروحى ونجاحه فى الوصول الى النرفانا ، وذكر كثيرا من القصص التى تتناول حيوات بوذا فى شتى العصور السابقة وقال قصصا أخرى كثيرة حكاها بوذا للوعظ والارشاد والحث على الايمان بتعاليمه .

ولما انتهى كاشيابا من استعراض سوتا بيتا كا مع أناندا وصدق الجميع على أقوالها أحس أنه لم يعجب بعض الأعضاء أن ينال أناندا شرف تلاوة سوتا بيتا كا بينما هو ما زال طالبا لم يعين بعد فى الجماعة ، فدفعهم الحسد الى إثارة بعض المشكلات حول بعض تصرفات أناندا ، وأخذوا يرمونه بالتقصير وينسبون اليه هنات أعتبروها تفريطا خطيرا فى حق الجماعة وتصل الى حد الإثم . ولقد بلغت آثام أناندا فى عرفهم خمسة آثام وهى :

أولا : بعد أن تلا أناندا سوتا بيتا كما صرح بأن بوذا أخبره بأن هناك نوعين من قواعد السلوك : أحدهما أساسى وهو نوع لا يمكن تعديله أو احداث أى تغيير فيه ، ونوع آخر ثانوى يمكن تعديله حسب الظروف والمناسبات . ولكن لما سئل اذا ما استفسر من بوذا عن ماهية القواعد الأساسية التى لا تقبل التعديل ، وعن نمط القواعد الثانوية التى يمكن تعديلها اعتذر بأنه سها عليه أن يسأل بوذا فى هذا الأمر ، واضطر تحت ضغط الاتهام أن يعترف بأنه ارتكب خطأ بهذا السهو .

ولقد تدخل كاشيابا فى هذا الجدال ، ونبه الأعضاء الى أنه لا يمكن أن يقرر أحد بأنه يمكن إجراء أى تعديل فى أى قاعدة من قواعد السلوك ، لأنه لا يوجد أحد يستطيع أن يميز بين ما هو أساسى منها وما هى غير أساسى . ولذلك لا يجوز السماح بإجراء أى تعديل فى أى قاعدة من قواعد السلوك حتى لا يجرؤ المذبذبون والدخلاء على الجماعة على تحريف قواعد السلوك التى وضعها بوذا زاعمين أن بوذا أمر بذلك ، وحتى لا يظن عامة الناس بأن أعضاء الجماعة انتهزوا فرصة موت بوذا وأخذوا يعدلون ويبدلون فى قواعد السلوك حسب هواهم ، ويخففون من شدتها للتحلل منها كما حاول سوبهادا تعديلها للتحلل من قسوتها ، وذلك يسىء الى الجماعة ، ويدعو عامة الناس الى أن يظنوا بها الظنون فينصرفون عنها مما يعرض مستقبل الجماعة للضياع .

ثانيا : بعد أن نجح الحساد فى إثارة هذه المشكلة ، وأشعروا الجميع بإهمال

أناندا لم تعترضهم صعوبة عند مواجهته ببقية أخطائه التى ارتكبها أثناء حياة بوذا ، فإذا بأحدهم يلومه لأنه خاط لبوذا ثوبا للمطر بعد أن داس على قماشه بقدميه دون أن يراه .

ثالثا : وأنبه آخر لأنه أول من أدخل على جثمان بوذا أدخل النساء ثم الرجال ، ولقد تجمعت النساء حول جثمان بوذا الطاهر وأخذن فى البكاء والنحيب حتى لوثت دموعهن الجثمان الطاهر .

رابعا : كما أخذ عليه أنه جانب الصواب حينما لم يطلب من بوذا أن يعيش دورة كاملة حتى يستمر فى نشر دعوته أطول مدة ممكنة ويسعد أكبر عدد من البشر .

خامسا : ولم ينس البعض بأن يذكره بخطيئه الجسيم الذى ارتكبه عندما ألح على بوذا بقبول النساء فى سلك الجماعة . ولقد سبب ذلك كثيرا من المضايقات لبوذا فيما بعد وعرض الجماعة لمشاكل لم يكن هناك حاجة إليها .

ولم ينكر أناندا أنه أتى هذه الأفعال ، إلا أنه قرر بأنه أتاها عن حسن نية أو سهوا عنه ولم يقصد بها إلا الخير . وما دار من نقاش حول أخطاء أناندا يوحى بأنه كان هناك ضرب من الاختلاف بين رؤساء هذا الاجتماع وأنه قصد من تخطيء أناندا فى بعض أفعال إنقاص قدره ، خصوصا وأن بوذا اصطفاه فى أواخر حياته ولم يزامل أحدا سواه ، كما أن أعضاء المجلس

طلبوا من كاشيابا أن يختاره عضوا فى هذا الاجتماع ، وإن لم يختاره كاشيابا من تلقاء ذاته فلأنه لم يكن قد عين تعيينا نهائيا ولم يصبح مرشدا . ولكن نظرا لأن بوذا كثيرا ما صرح بتفوق أناندا فى معرفة تعاليم بوذا وأمتدح نبل سلوكه وسيره الحثيث فى طريق النرفانا ، فلم يعترض أحد على أن يكون أناندا عضوا عاملا فى هذا الاجتماع التاريخى .

وكان من الممكن أن يؤدى النقاش حول أخطاء أناندا الى نوع من الشقاق بين الأعضاء . ولكن رجاحة عقل أناندا وبعدة نظره جعله يعترف بأن هذه الأفعال أخطاء وإن كان فى قرارة ذاته يشعر بأنها ليست أخطاء تستحق كل هذا النقاش . وكان غرض أناندا من هذا الاعتراف هو حرصه على تماسك الجماعة واتحاد أفرادها وخوفه من أن يصيب الجماعة ضربا من الخلاف يقسمها الى شيع وأحزاب ، ولقد كان أشد ما يكره بوذا أن يسمع عن خلاف بين عضو وآخر ، فكيف يرضى أناندا أن يكون سببا فى خلاف خطير بينما لم يمض على موت بوذا إلا شهران...؟

ولقد ظلت جماعة بوذا بعد هذا الاجتماع سنين طوال تسير على هدى تعاليم بوذا متمسكة بكل ما نادى به من مبادىء وأصول وقواعد ، ويحرص فى الدفاع عنها تلاميذه المخلصون الذين حملوا لواء البوذية من بعده . إلا أن حياة البوذيين فى أحضان مجتمع يعتنق غالبيته الديانات الفيدية والبراهمانية دعا الى تسرب بعض تعاليم الفيدا والبرهماناس واليوبانيشاد الى البوذية

بالرغم من حرص تلاميذ بوذا فى مقاومة تأثر البوذية بغيرها من الديانات الهندية ، وكان من جراء هذا الحرص على نقاوة البوذية كثيرا ما كان يدخل أعضاء الجماعة البوذية فى نقاش وجدال حول تعاليم بوذا الأصلية .

وبعد مضى حوالى قرن من الزمان أو أكثر قليلا على الاجتماع الأول حدث فى عهد الملك كالا شوكا أن لاحظ ياسا ـ وكان فى ذلك الوقت شيخا معمرا بلغ سنة حوالى ١٦٥ عاما ـ أن أفراد جماعة فيشالى من قبيلة فاجيان قد خرجوا على نظم بوذا فى عشر نقاط . ولقد عرف ذلك حينما كان يشحذ طعامه ذات مرة كعادته فى مدينة فيشالى فشاهد أن جماعة فيشالى من قبيلة فاجيان يمسكون طاسات برنزية مملوءة بالماء يجمعون فيها صدقات من قطع من النقود الفضية والذهبية ، فنبه ياسا الأهالى بأنه لا يجوز لأبناء بوذا أن يقبلوا فضة أو ذهبا ، فلم يكترث أعضاء فيشالى لأقوال ياسا ، واستمروا فى جمع الصدقات الفضية والذهبية . وبعد ذلك قسموا ما جمعوه من نقود فيما بينهم ، وقدموا لياسا قسطا منها . فلما رفضها اتهموه بأنه تطاول على أهالى فيشالى وضايقهم مضايقة شديدة تتطلب منه أن يكفر عن إثمه بأن يعتذر لهم عن منعهم من تقديم الصدقات الى أعضاء الجماعة .

ولكن ياسا لم يعتذر لهم ، إنما أخذ يبين لهم ـ وهو العليم بكل ما صدر عن بوذا من أقوال وأفعال ـ أن بوذا يحرم تحريما باتا امتلاك البوذى الذهب والفضة ، وأيد كلامه بذكر كثير من أقوال بوذا فى هذا الصدد ،

ويذكر كثير من الحوادث التى عرضت على بوذا وخطأ فيها من أخذ ذهبا أو فضة . ولقد أقنع دفاعه الحار المدعم بالأسانيد أهالى فيشالى مما دعاهم الى التصريح بأن ياسا هو الزاهد البوذى الحق ، أما غيره فهم أدعياء لا يعرفون عن تعاليم بوذا شيئا . فلما بلغ ذلك جماعة فيشالى من قبيلة فاجيان قرروا المطالبة بإيقافه لأنه حرض أهالى فيشالى ضدهم ، وحط من شأنهم أمامهم .

ولكن ياسا لم ينتظر حتى يعقدوا اجتماعا لإيقافه ، إنما اتجه نحو مملكة كوشامبي واتصل بأفراد جماعة مدينة بافا وكان عددهم حوالى ستين عضوا كما اتصل بأعضاء المنطقة الجنوبية من مدينة أفانتى وكان عددهم ٨٨ عضوا ، وعرض عليهم خلافاته مع جماعة فيشالى ، وهى لاتنحصر فقط فى تحريم جمع الفضة والذهب أو إباحة أخذها وإنما هناك تسع مخالفات أخرى غيرها ، وطالب بعقد إجتماع خاص لبحث هـــذه المخالفات فوافقوا على عقد هذا الاجتماع .

ثم توجه ياسا بعد ذلك الى « سامبهوتا » وهومن الأعضاء الذين عاصروا بوذا ، وكان يقيم فى كهف فى سفح جبل . ولما سمــع من ياسا بقصة جماعة فيشالى كان رأيه من رأى ياسا ، وقبل أن يحضر الاجتماع ويكون فى صف ياسا .

وأدرك ياسا ضرورة حضور « رفاتا » لهـذا الاجتماع لأنه مطلع على كل ما فى سوتا بيتا كا وفى فينايا بيتا كا ، ويسير على هـدى بوذا ، ويسلك

طريقه بكل حزم وإخلاص ، فضلا عن أنه عاصر بوذا مثل ياسا وعرف الكثير عن أفعاله واستمع الى دروسه ومحاضراته ؛ ولذلك توجه ياسا الى بلدة سوريا حيث يعتكف رفاتا ليطلب منه أن يحضر الاجتماع ليكون حكما فى أمر الخلاف الذى بينه وبين أعضاء فيشالى . ويبدو أن رفاتا كان قد بلغه أمر هذا الخلاف وأحس بأن ياسا لابد أن يقصده ليحكم بينهم ، بينما هو زاهد يحب للخلوة والوحدة ولا يميل للتدخل فى مثل هذا الخلاف ؛ فغادر بلدة سوريا قبل أن يصلها ياسا . وعرف ياسا أنه اتجه الى بلدة سامكاسا ولكن ما أن وصل اليها حتى سمع أنه انتقل الى بلدة كانا كوجا . واستمر ياسا ينتقل من بلدة الى أخرى وراء رفاتا حتى التقى به فى بلدة ساهاجاتى . وهناك عرض عليه ياسا أمر الخلافات التى بينه وبين جماعة فيشالى وطلب منه أن يبدى رأيه فيها ، فاتفق مع ياسا على أنه محق فيما ذهب اليه من رأى وأن جماعة فيشالى أخطأت ، إلا أنه لم يكن متحمسا للاشتراك فى اجتماع عام لمناقشة مثل هذه المسائل .

ولم يقف أعضاء جماعة فيشالى مكتوفى الأيدى تاركين ياسا يجمع المؤيدين من شرق فيشالى وغربها ويكسب فى صفه الأحياء من مريدى بوذا أو الذين شاهدوه واستمعوا اليه أو كل ضليع فى الفكر البوذى ومتمكن فى قانون بوذا وشريعته ؛ فأخذت جماعة فيشالى فى جذب المؤيدين الى جانبهم فانتهزوا فرصة تردد رفاتا فى تأييد ياسا تأييدا علنيا ، فتوجهوا اليه وقدموا اليه

هـــدايا من طاسات وأردية وحصائر وعلب لحفظ إبر الخياطة وأحزمة وأوانى لتصفية المياه ، إلا أن رفاتا رفضها كلها لأنه لايحتاج اليها ولا ينقصه شيء ويكفيه ما عنده من حاجيات ضرورية . فلما لم تلن لهم قناة رفاتا ولم يبد أى ميل للانضمام اليهم قصدوا مريده « أوتتارا » وكان أوتتارا صغيرا السن لم يزد عمره عن العشرين عاما فحاولوا إقناعه بأن يتوسط لهم عند مرشده ليؤيدهم ضد ياسا ، وعرضوا عليه نفس الهدايا التى لم يقبلها رفاتا إلا أنه رفضها أول الأمر مثل مرشده ، ولكن لما أخبروه بأن بوذا نفسه كان يقبل الهدايا واذا حدث أن رفضها فإن مريده آناندا كان يأخذها فقبل أوتتارا بعد إلحاح شديد رداء واحدا ، ثم طلبوا منه ان يذهب الى مرشده رفاتا ويرجوه ان يحضر الاجتماع ويقف فى صف جماعة فيشالى ويعلن امام الجميع أنهم أدق علما وأصدق فهما لتعاليم بوذا من ياسا وأنهم لم يخرجوا على شريعة بوذا أو يعارضوا قانونه بتمسكهم بالعشر نقاط التى يناهضها ياسا .

وما أن ذهب أوتتارا الى رفاتا وطلب منه تأييد جماعة فيشالى حتى طرده رفاتا لأنه أحس بأن جماعة فيشالى قد غررت به فأخذ يحرضه على عمل يخالف شريعة بوذا . ولذلك صمم رفاتا على ألا يقف موقفا سلبيا وعزم على أن يعاون ياسا ضدهم بطريقة عملية حتى يوقفهم عند حدهم ولا يتمادوا فى الإثم أو يستمروا فى إدعاءاتهم الكاذبة . فذهب رفاتا بدوره الى « سابا كامين »

وهو عضو من الذين عاصروا بوذا ولهم إلمام واسع بقانونه وشريعته. وهكذا أخذ رفاتا ينتقل بين شرق فيشالى وغربها يجمع مع ياسا المؤيدين حتى التف حولها ما يقرب من ١٢ ألف عضو من الموافقين على وجهة نظرهما.

ولقد قرر الجميع عقد اجتماع عام فى غابة فاليكا فى مدينة فيشالى، ونظراً لكثرة المؤيدين اختار رفاتا من بينهم سبعمائة عضواً حسب أقدميتهم فى سلك البوذية وتبعا لسعة إطلاعهم على أصول تعاليم بوذا ومعرفتهم لقواعد السلوك عنده. ولما بدأ الاجتماع لاحظ رفاتا أن المناقشات تدور بين عدد كبير من الأعضاء بلا هدف وأن جدالهم لا يرمى الى شىء وبغير طائل، فاقترح على المجتمعين أن يختار أعضاء المجلس من بينهم ثمانية أعضاء لمناقشة هذه الاختلافات. فأختارت جماعة شرق فيشالى أربعة من الأعضاء وكانوا جميعا من الذين عاصروا بوذا أو من مريدى أناندا وهم: سابا كامين وسالها وشوحا سوبهيتا وفاسابها جاميكا. واختاوت جماعة بافا من غرب فيشالى أربعة أعضاء وهم كذلك من مريدى بوذا أو من الذين عاصروه أو من مريدى أناندا وهم: ياسا ورفاتا وساميهوتا وسومانا. ولما وافق جميع الحاضرين على اختيار هؤلاء الأعضاء الثمانية طلبوا منهم تشكيل مجلس تؤخذ فيه أصواتهم على كل مسألة.

ترك الأعضاء الثمانية بقية الأعضاء وذهبوا الى داخل استراحة فاليكا حيث الهدوء والسكينة بعيدين عن كل ضجة وضوضاء. وفتح رفاتا الاجتماع

باقتراح هو أن يسأل ساباكامين عن النقاط العشر محور الاختلاف ، ولما وافق ساباكامين على أن يجيب على كل ما يسأل فيه وافق بقية الأعضاء على اختياره .

ولقد بادره رفاتا بالسؤال الأول وهو اذا ما كان مسموحا لأعضاء الجماعة أن يحفظوا الملح فى إناء من دون بقية المأكولات . فأجاب ساباكامين بأن بوذا عارض ذلك فى مدينة سافاتهى وأكد أن من يحفظ أى مأكولات أو ملح فى إناء فهو آثم ، لأنه يأكل طعاما مخزونا ، وليس على العضو أن يستبقى عنده طعاما على الاطلاق ، إذ يجب عليه أن يشحذ قوت يوم بيوم ، ولا يجمع أكثر مما يحتاج اليه فى وجبته اليومية ، فحفظ الملح فى إناء فيه خروج على الشريعة التى وضعها بوذا للجماعة .

ثم سأله رفاتا السؤال الثانى وهواذا ما كان مسموحا للعضو أن يتناول وجبته اليومية عندما يكون عرض ظل الشمس حوالى إصبعين أى بعدالظهيرة بمدة قصيرة . فأجاب ساباكامين بأن بوذا منع تناول الوجبة اليومية بعد الظهيرة مباشرة ، واشترط أن تكون قبل وقت الظهيرة ، ولقد صرح بوذا وهو فى راجاجريها بأن من يتناول بعد الظهيرة غير السوائل يكون آثما .

وعندما طلب رفاتا إيضاحا للاشكال الثالث الخاص بجواز تناول أكثر من وجبة فى اليوم أجاب ساباكامين بأنه لا يجوز إطلاقا تناول أكثر من وجبة فى اليوم ، إذ لا يجب أن يصرف العضو وقته فى جمع الطعام وأكله ،

وأن وجبة واحدة تكفى الزاهد ، وأن الشره فى الأكل يقوى الشهوات ويحيى الأهواء ويدعم النزعات الحسية ؛ ولذلك منع بوذا تناول أكثر من وجبة فى اليوم على أن يكون الغرض من تناولها حفظ كيان الجسد حتى يتمكن العضو من الاستمرار فى جهاده فى سبيل الوصول الى النرفانا : فمن يأكل أكثر من وجبة فى اليوم يكون آثما .

بعد ذلك انتقل رفاتا الى الموضوع الرابع ، وتساءل اذا ما كان يجوز عقد اجتماعات دورية متعددة داخل منطقة واحدة ، فأعلن سابا كامين بأن بوذا صرح بأنه لا يجوز إطلاقا عقد اجتماعات دورية تتلى فيها قائمة الآثام فى أماكن متفرقة فى نفس الوقت داخل حدود منطقة واحدة ، وإنما يجب أن يحدد مكان خاص تعقد فيه مثل هذه الاجتماعات الدورية كل خمسة عشر يوما . ولقد حرم بوذا ذلك فى مواضع كثيرة فى فينايا بيتاكا ، وأن من يعقد أكثر من اجتماع واحد فى منطقة واحدة يأتى فعلا فيه عصيان لقواعد السلوك التى وضعها بوذا .

أما بخصوص النقطة الخامسة فلقد استفسر رفاتا اذا ما كان يجوز عقد اجتماعات لتقرير أمر يخص الجماعة مثل تعيين عضو جديد دون أن يستكمل عدد الأعضاء بأن يتغيب البعض ثم يبلغ الأعضاء الغائبون نتيجة ما حصل فى الاجتماع ، فقرر سابا كامين بأن بوذا نبه جماعة كامبا الى خطأ عقد اجتماعات لم يحضر فيها جميع الأعضاء ، وبين لهم أن عقد مثل هذه الاجتماعات

فيه خروج عن النظم التى تنص عليها لوائح الجماعة البوذية .

وفى السؤال السادس طلب رفاتا تفسيرا اذا ما كان يجوز للطالب أو المريد أن يحاكى مرشده فى عاداته وسلوكه ويقلده فى مختلف أفعاله معتقدا أن هذه المحاكاه وذلك التقليد يمكنه من اختصار عدد الولادات المستقبلة وتقربه من النرفانا ، فأجاب سابا كامين بأن الطالب أو المريد ليس ملزما بأن يقلد مرشده فى شىء من عاداته ، وما عليه إلا أن يطيع لوائح قواعد السلوك التى شرعها بوذا ، فإذا ما كان سلوك المرشد لا يتعارض مع ما سنه بوذا من شرائع فليس فى محاكاة سلوكه إثم ، أما اذا خالف سلوكه شريعة بوذا يخطىء من يقلد مرشده .

وتعرض السؤال السابع لمشكلة تناول اللبن الآخذ فى التخثر دون أن يخض فقرر سابا كامين بأنه لايجوز إلا شرب اللبن الحليب فقط فإذا انتاب الحليب أى تغير وحتى قبل أن يتخثر تمام التخثر يجب الامتناع عن تناوله كما صرح بذلك بوذا فى مدينة سافاتهى ويأثم من يتناوله .

بينما السؤال الثامن يتعلق بجواز شرب السوائل الآخذة فى التخمر ، فأخبر سابا كامين المجتمعين بأن بوذا حرم شرب مثل هذه السوائل وهو فى كوشامبي ، ولذلك فمن يشربها يأثم إثم من يشرب المسكرات .

وأيد سابا كامين اعتراض رفاتا على الاشكال التاسع الخاص بالجلوس

على قطعة من القماش المزركش والمهدب ، إذ لا يجوز الجلوس على مثل هذا القماش ويأثم مَن يستخدمه فى الجلوس .

وأخيرا انتهى النقاش الى الاشكال العاشر سبب الاختلاف بين ياسا وجماعة فيشالى وهو الاشكال الخاص بامتلاك الذهب والفضة ، فقرر سابا كامين بأن تعاليم بوذا صريحة فى هذا الموضوع ، فهى لاتسمح إطلاقا لعضو من الأعضاء أن يمتلك ذهبا أو فضة ، ولقد تعددت أقوال بوذا بخصوص تحريم إمتلاكها ، ولذلك كل من يحتفظ بذهب أو فضة فهو آثم وخارج على شريعة بوذا .

بعد أن وافق الأعضاء الثمانية على رفض كل ادعاءات جماعة فيشالى خرجوا الى بقية الأعضاء فى غابة فاليكا وسأل رفاتا سابا كامين أمامهم فى جميع المسائل المختلف عليها فأجاب بنفس الاجابات السابقة ؛ وبعد ذلك أقر السبعمائة عضوا رفضها وتأييد ياسا . وبعد الانتهاء من حسم هذا النزاع أخذ الجميع فى تلاوة فينايا بيتاكا ثم انشاد سوتا بيتاكا . وكان القصد من ذلك هو مراجعة أقوال بوذا مراجعة دقيقة وتحديد النصوص الصحيحة لتعاليم بوذا الحقيقية ، ولم يكتف الأعضاء بالتلاوة بل أخذوا فى شرحها والتعليق عليها ، كما أوجزوها فى مختصرات سهلة تحدد معالمها الرئيسية ، وأخيرا أضافوا اليها كل ما ذكر فى هذا الاجتماع والأسباب التى حفزت على عقده .

ومع ذلك لم تستسلم جماعة فيشالى لياسا ورفاتا ولم ترضخ للهزيمة وتقبل

قرارات هذا الاجتماع ، وأخذوا بدورهم يجمعون المؤيدين لوجهة نظرهم بخصوص العشر نقاط ، فالتف حولهم ما يقرب من عشرة آلاف عضو ، وكونوا فرقة جديدة سميت « ماها نجهيكا » عقدت اجتماعا آخر تليت فيه فينايا بيتاكا وسوتا بيتاكا بعد أن حرفتا حسب أهوائهم وغيرتا حتى تتمشيا مع ما أدعته من ادعاءات . ولقد حضر هذا الاجتماع جميع الأعضاء المؤيدين وعددهم عشرة آلاف عضو ولذلك سمى اجتماعهم بالاجتماع الكبير نظرا لعظم عددهم . ولقد اعتبر ياسا ورفاقه أعضاء هذا الاجتماع منحـــرفين عن الطريق السوى وخارجين عن تعاليم بوذا .

ويبدوا من هذا الخلاف أنه اختلاف لا يتناول أسس التعاليم البوذية من بعيد أو قريب ، ويشمل فروع العقيدة وشكليات الدين . ولكنه يدل على أن الديانات الفيدية والبراهمانية بدأت فى تسربها الى التعاليم البوذية ، وأنها نجحت فى غرس بذور التفرقة بين أعضائها . وقد يوحى هذا الخلاف بأن هناك ضربا من التنافس بين أتباع بوذا على أيهم أعمق فهما وأكثر إطلاعا على تعاليم بوذا ، أو بأن هناك نوعا من التنافس على الزعامة الروحية أدى الى عناد كان سببا رئيسيا فى هذا الانقسام .

ولقد كان هذا الانقسام بداية انقسامات أخرى أتت بعدها وأخذت تكثر مع مرور الأيام ، وشجع عليها الديانات الأخرى المحلية التى أخذت تدس تعاليمها فى ثنايا البوذية حتى تضاربت فيها الآراء وتعارضت ، وأصبح

بوذا شخصية إلهية وهو الذى لم يقبل أن يعترف بوجود إله . فلا نعجب اذا بلغ عدد الفرق البوذية فى عهد الملك آشوكا هو ثمانى عشرة فرقة .

ولما أعجب الملك آشوكا بتعاليم بوذا لم يكتف بأن يعتنقها بل رأى أنه من الواجب عليه أن يدعو لها ويجعل منها الدين الرسمى للدولة ، فأخذ يحض مواطنيه على الايمان بها . فأقبل الهنود على البوذية حتى انتشرت بينهم انتشارا واسعا ، فكان بهذه عصر البوذية الذهبي فى الهند . ولكن هذه الدعوة العامة للدخول فى البوذية لم تخل من ضرر ، فلقد كان من بين من آمن بها كثيرون يجهلون جهلا تاما كل ما يتعلق بأصولها ، وأدعى بعضهم بأنهم علماء مطلعون على أسرارها طمعا فى التقرب لآشوكا أو كسب الحظوة عنده ونيل العطايا منه . فانتشر أدعياء العلم بالبوذية فى البلاد مما دعا الى ظهور كثير من التعاليم التى هى أبعد ما تكون عن البوذية مما عرضها للشك والريبة . هذا فضلا عن أن كثيرا من الادعياء كانوا يعيشون فى بذخ ورفاهية ، ويدلون بأقوال على أنها أقوال بوذا بينما بوذا منها بريء ، ويطالبون الناس باتباع السلوك الفاضل بينما هم يسيرون حسب هواهم وسلوكهم أبعد ما يكون عن طريق بوذا .

ولذلك فكر آشوكا ـ وهو البوذى الحريص على سلامة تعاليم بوذا ـ فى أن يعقد اجتماعا عاما على نمط الاجتماعين السابقين ، قصد من ورائه أن تطهر الجماعة البوذية من الادعياء الذين يجهلون طريق بوذا ، ويخلص تعاليم

بوذا من البدع وكل ما هو دخيل عليها . فدعا الى عقد اجتماع عام - وضع على رأسه « تيسا » ابن موجالالانى أعظم مريدى بوذا - فى العام الثامن عشر من حكمه أى بعد الاجتماع الثانى بحوالى مائة وثمانية عشر عاما فى عاصمة ملكه بالاليبوترا وهى مدينة باتنا الحالية .

وقبل أن يعقد الاجتماع امتحن آشوكا جميع أعضاء الجماعة البوذية فى ذلك الوقت ، وأبعد عنها كل من ثبت جهله بتعاليم بوذا وكل الادعياء المشاغبين الذين يحدثون الانقسامات والحزازات داخل الجماعة بما يضعونه من تعاليم ويأتونه من أفعال تخالف ما قاله بوذا ويدعون أنها من أقوال بوذا . ثم اختار آشوكا « تيسا » أقدم أعضاء الجماعة فى سلك البوذية على أن يكون رئيسا للاجتماع من بين الأعضاء الذين اجتازوا الاختبار ونجحوا فى اظهار معرفتهم بتعاليم بوذا . وكان عدد الأعضاء المثقفين ثقافة كاملة وملمين إلماما تاما بشتى نواحى البوذيين وحافظين حفظا واعيا لكتب بوذا هو ألف عضو . ولقد اجتمع هؤلاء الأعضاء فى غابة آشوكا لمدة تسعة أشهر أو عشرة أشهر تحت رعاية آشوكا نفسه .

وفى هذا الاجتماع نقحت تعاليم بوذا من كل ما هو دخيل عليها ، وتليت فيه فينايا بيتاكا الخاصة بالسلوك ، وسوتا بيتاكا الخاصة بالعقائد ، كما تليت « أبهيدهاما بيتاكا » (Abhidhamma-Pitaka) الخاصة بفلسفة العقائد .

رئيس الاجتماع الأول قد تلاها بنفسه ولكن لم يرد ذكرها فى الاجتماع الثانى ، ثم تليت فى الاجتماع الثالث هذا .

وتشمل « أبهيدهاما بيتاكا » بعض أجزاء سوتا بيتاكا خصوصا أهم أقسامها الفلسفية « دهامابادا » (Dhammapada) التى تلاهـا أناندا فى الاجتماع الأول كما تليت فى الاجتماع الثانى . وذلك يوحى بأن أعضاء الاجتماع الثالث قد أعادوا تقسيم الكتب البوذية ، وفصلوا بعض الأقسام عن سوتا بيتاكا وكونوا منها أبهيدهاما بيتاكا بعد أن أضافوا اليها كتبا أخرى كان قد جمعها تلاميذ بوذا بعد وفاته عن بوذا نفسه وعن مريديه الأوائل كما أضاف اليها تيسا رئيس الاجتماع الثالث كتابا من تأليفه دحض فيه كثيرا من النظريات التى ظهرت لتعارض تعاليم بوذا .

ومن ذلك الحين انقسمت كتب بوذا الى ثلاثة أقسام بعد أن كانت مكونة من قسمين فى أول الأمر . والأقسام الثلاثة هى : فينايا بيتاكا : السلوك ، سوتا بيتاكا : العقائد ، أبهيدهاما بيتاكا : فلسفة العقائد .

ولم يكتف آشوكا بعقد هذا الاجتماع لتنقية تعاليم بوذا من كل البدع الدخيلة عليها وابعاد كل مدعى بمعرفة البوذية عن حظيرة الجماعة ، وإنما أسس كذلك وزارة جديدة سماها « وزارة العدل والدين » كانت مهمتها المحافظة على نقاء الدين البوذى من ناحية ونشر التعاليم البوذية من ناحية أخرى لا فى مختلف الولايات الهندية فقط وإنما فى خارج الهند كذلك . كما

أقام كثيرا من الأعمدة الصخرية التى نقش عليها منشورات دينية تضم أركان الدين البوذى الرئيسية ، ووضعت هذه الأعمدة فى طول البلاد وعرضها حتى تكون تعاليم بوذا ماثلة أمام الأعين حاضرة فى الأذهان على الدوام تحث على الإيمان بها فى كل وقت ومكان . ولقد أقام آشوكا حوالى ثمانين ألف ضريح لبوذا فى جميع أنحاء البلاد وأشاد استراحات لا عدد لها . فلا نعجب اذا ما انتشرت البوذية فى الهند وكان لها الحظوة والسلطان فى عهد آشوكا لأن عهده كان يتسم بالتسامح والحرية والازدهار والتقدم .

هذا فضلا عن أن آشوكا عمل على تنفيذ وصية بوذا لمريديه بضرورة الاستمرار فى نشر التعاليم البوذية فى كل مكان ، فأرسل البعثات التبشيرية خارج الهند الى جميع البلاد التى من بينها مصر وسوريا . ولعل أهم بعثة أرسلها هى البعثة التى أرسلها الى سيلان وعلى رأسها ابنه « ما هندا » لأنها عملت على نشر البوذية فى سيلان ومنها انتقلت الى بورما وسيام وكمبوديا ، وكذلك الى جاوة التى انتقلت منها البوذية الى جزيرتى بالى وسومطره . كما كان من نتائج بعثة سيلان أن دونت تعاليم بوذا فيما بعد فى سيلان فى عهد الملك « فاتا جامانى » حاكم سيلان فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد . ودونت فينايا بيتاكا وسوتا بيتاكا وأبهيدهاما بيتاكا فى صورة الحوار بلغة أشبه ما تكون بلغة سكان مملكة ماجادها وهى اللغة البالية .

ولم يرسل آشوكا بعثات بوذية الى البلاد التى تقع فى غرب الهند وجنوبها

فقط وإنما أرسل بعثات الى البلاد التى تقع فى شمال الهند كذلك . فوصلت بعثات الى كشمير والتبت . ومن كشمير انتقلت البوذية الى التركستان ، ومن التبت دخلت البوذية بلاد الصين ومنغوليا ، ومن الصين وصلت الى كوريا ومن كوريا الى اليابان .

وما أن خرجت البوذية من الهند واعتنقها كثير من سكان أقطار الشرق الأقصى حتى أخذت تتسرب اليها تعاليم هذه الأقطار من ناحية ، وتتأثر بديانات الهند المحلية من ناحية أخرى مما أدى الى ظهور عشرات المذاهب البوذية أشهرها ثمانية عشر مذهبا . ويظن أن الملك التتارى «كانيشكا» ـ الذى اعتنق البوذية ويحكم امبراطورية تمتد من أفغانستان الى البنجاب ـ دعا الى عقد اجتماع ـ لا يوجد ما يجزم بعقده ـ للجماعة البوذية قبل نهاية القرن الأول الميلادى . وكان كانيشكا يهدف من وراء هذا الاجتماع أن ينظم تعاليم بوذا تنظيما جديدا بحيث يوفق بين الفرق البوذية المختلفة التى أخذت تتعارض بقوة تضعف من هيبة الديانات البوذية .

ولقد حضر هذا الاجتماع أعضاء كثيرون من مختلف البلاد التى انتشرت فيها البوذية ـ على الخصوص الصين والتبت ـ حتى زاد عددهم عن خمسمائة عضوا . ونظرا لأن الرغبة كانت أن يكون عدد الأعضاء هو خمسمائة فقط مثل أعضاء الاجتماع ، فلقد اختير أربعمائه وتسع وتسعون مرشدا ونقص عضو آخر نظرا لعدم وجود أى مرشد آخر ، فاختير «فاسوميترا» بالرغم

من أنه لم يصبح مرشدا بعد لأنه أظهـــر كرامة عجيبة جعلته لا بأن يكون جديرا بعضوية هـذا الاجتماع فقط بل يكون على رأسـه كذلك . ولقد قام المجتمعون بارشاد فاسوميترا بعمل ثلاث تعليقات على فينايا بيتاكا وسوتا بيتاكا وأبهيدهاما بيتاكا روعى فيها حصر الخلافات بين الفرق البوذية فى أضيق نطاق ممكن ، ثم أمر الملك كانيشكا بحفر هذه التعليقات على ألواح من النحاس ، ووضعها فى ضريح خاص .

ولم يعترف المجتمعون إلا بفرقتين رئيسيتين : الأولى فرقة « هينايانا » ومعناها الطريق الأصغر ، والثانية هى فرقة « ماهايانا » ومعناها الطريق الأعظم . وكلتا الفرقتين تعتمدان على تعاليم بوذا الأساسية ؛ إلا أن هينايانا أكثر إخلاصا لتعاليم بوذا الأولى ، بينما لا تتفق ماهايانا مع هينايانا فى أن جهاد العضو لا يجب أن يتوقف عندما يصير مستنيرا وإنما يجب أن تستمر حتى تعم الاستنارة جميع البشر وينتشر الخير فى كل مكان ، وأن المستنير عالم بكل شىء فهو أشبه ما يكون بالإله ولذلك يستحق التقديس والعبادة ، وأن هذا التقديس وتلك العبادة تساعد العضو على بلوغ الاستنارة وتحقيق النرفانا وهـذا يوحى بأن ماهايانا قد تأثرت تأثرا كبيرا بالديانات الهندوكية التى تتعدد فيها الآلهة المعبودة ، لأن بوذا نفسه لم يقر بوجود أى نوع من الآلهة فكيف يقبل أن يكون هو أو أى مستنير آخر إلها يعبد ويقدس ....!؟

وبينما أخذت الخلافات تشتد بين الفرق البوذية مع مرور الزمن ، كانت

الديانات الفيدية والبرهمانية آخذة فى التطور حتى أصبح لها كهانة قوية أسست الديانة الهندوكية ، التى عملت على القضاء على البوذية فى الهند ، بأن صهرت التعاليم البوذية فى بوتقة الهندوكية وجعلت من بوذا إلها من بين الآلهة الهندوكية . فأصبح لا يميز عامة الشعب بين البوذية والهندوكية ، فأقبل الناس على الهندوكية لأنها دين الدولة الرسمى التى فى يدها مقاليد القوة والسلطان ، ولأنها تؤمن بإله يعبد وتعتقد بوجود روح للانسان . فلم يأت القرن السابع الميلادى حتى فقدت البوذية مركزها الممتاز وزعامتها الدينية فى الهند ، وأصبح للهندوكية السلطة الأولى إذ لم يسمح كهنة الهندوكية بأن يكون للبوذية أى نوع من النفوذ فى البلاد .

وإذا لم يكن للهند فضل فى تدوين تعاليم بوذا لأن الكتابة لم تكن منتشرة بين الهنود فى عهد بوذا وكان الفضل فى تدوينها لسيلان ، فإن الفضل لسيلان كذلك فى انتشار البوذية فى ربوع بلاد الشرق الأقصى ؛ إذ بينا كان نجم البوذية آخذ فى الأفول فى الهند كانت البوذية سريعة الانتشار أقطار جنوب شرق آسيا وشرقها دون أن يعوقها عائق بل كانت تمتص جميع الديانات المحلية وتظهرها فى قالب البوذية بخلاف الحال فى الهند الموطن الأصلى الذى نبعت منه البوذية .

وهكذا تعرض البوذيون فى الهند بعد أن أفل نجم البوذية الى كثير من الاضطهاد . وإن لم يقف البوذيون مكتوفى وكثيرا ما كانوا يدخلون فى

نقاش حاد مع الهندوكيين ، إلا أنهم لم يكونوا يشعروا بالاستقرار والاطمئنان على حريتهم الدينية ، إذ كان يجبر الكثير منهم على الإيمان بالهندوكية . وكان أكثر مايضايق أتباع بوذا من الديانة الهندوكية ماتعتنقه من تفرقة طبقية لأنها كانت تنادى بنظام الطوائف الذى يقسم الهنود الى أربعة أقسام : البراهمة والكشاتريا والفيسيا والسودرا ، ولذلك كان ينفر البوذيون من الديانة الهندوكية لأن البوذية لاتفرق بين شخص وآخر إلا بالجهد الصالح الذى يبذله فى سبيل بلوغ النرفانا .

ولما دخل الاسلام الهند هدمت الحروب ما تبقى للبوذيين من معابد واستراحات وأضرحة ، فتفرق شملهم وقضى على وجودهم كهيئة دينية كبرى فى الهند . ومع ذلك كان من أوائل الهنود الذين أقبلوا على الاسلام هم البوذيون لأنهم وجدوا فى الاسلام تسامحا ومساواة وأخاء لجميع البشر ، وعرفوا أنه لا يفرق بين شخص وآخر إلا بالتقوى .

أهم المراجع

المراجع العامة

History of Philosophy Eastern and Western, Edited by Sarvepalli Radhakrishnan.

The Wonder that was India, by A. L. Basham.

Philosophies of India, by Heinrich Zimmer.

Ancient India and Indian Civilization, by Paul Masson - Oursel .

The Essentials of Indian Philosophy, by M. Hiriyanna.

Outlines of Indian Philosophy, by M. Hiriyanna.

The Legacy of India, Edited by G T. Garratt.

Buddhism, by T. W. Rhys Davids.

Buddhism, by Mrs. Rhys Davids.

A Manuel of Buddhism, by Mrs. Rhys Davids.

Outline of Buddhism, by C.H.S. Ward.

Buddhism, by Christmas Humphreys.

The Popular Life of Buddha, by Arthur Lillie .

The Teaching of the Compassionate Buddha, Edited by E. A. Burtt.

History of Buddhist Thought, by Edward J. Thomas.

Kindred Sayings on Buddhism, by Mrs. Rhys Davids.

The Buddha's Way of Virtue, translated by W. D. C. Wagiswara and K. J. Saunders.

مراجع : الفصل الأول
الفصل الثانى

The Life of Buddha, by Asvagosha Bodhisattva. Translated from Sanscrit into Chinese by Dharmaraksha A. D. 420 . Translated from Chinese into English by Samuel Beal .

The Light of Asia, by Sir Edwin Arnold.

The Vedantic Buddhism of the Buddha, translated from the original Pali by J. G. Jennings.

مراجع : الفصل الثالث
الفصل الرابع

The Vedantic Buddhism of the Buddha, translated by J. G. Jennings .

Early Buddhist Scriptures, translated by Edward J. Thomas .

The Dhamapada, translated from Pali by F. Max Muller.

Buddhist Birth Stories, translated from Pali by T.W. Rhys Davids .

The Sutta Nipata, translated from Pali by V. Fausboll.

الفصل الخامس
مراجع : الفصل السادس
الفصل السابع

The Vedantic Buddhism of the Buddha

The Book of the Discipline (Vinaya Pitaka) translated from Pali by I. B. Horner.

Early Buddhist Scriptures.

مراجع : الفصل الثامن

The Vedantic Buddhism of the Buddha.

The Book of the Discipline.

The Life of Buddha, by Asvagosha Bodhisattva.

مراجع : الفصل التاسع

The Vedantic Buddhisn of the Buddha.

The Book of the discipline.

History of Buddhist Thought, by Eward J. Thomas.

The Introduction to the Dhammapada, by F. Max **Muller** .

تصحيح الأخطاء

ص	س	الصواب	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
ص	١٨	العوب	العرب	٤٤	٩	جبيسع	جمع
٤	١٨	أثراً كبيرا	أثر كبير	٤٤	١٣	ثراءا	ثراء
٤	١٨	دخلا عظيا	دخل عظيم	٥٥	٣	تبليه	تبتليه
٧	١٠	طـائة	طـ ئفة	٥٨	٨	صفاءاً	صفاء
١٢	١٩	بالضبط إذا	بالضبط إذ نسب	٦١	٦	صفاءاً	صفاء
			إليه اسماء كثيرة	٦٨	٣	الشرير	الضريرة
			لا يعرف إذا	٧١	٦	فنبههما	فنبههم
١٤	الهامش	Teh	The	٧٢	٤	ثلاث	ثلاثة
١٨	١	ضربا	ضرب	٧٩	١١	أحد	أحداً
١٨	٦	فصل	فصلا	٨٧	١	أولاه	أولاء
١٩	١٥	افتانا	افتتانا	٩٣	١٠	فما أى	فما أن
٢٦	١٦	طفل رضيع	طفلا رضيعا	٩٥	٢	عجت	نجت
٢٧	٣	كهل ضعيف	كهلا ضعيفا	١٠٣	١١	وإنشاق	وإنشقاق
٢٨	١	بكاءاً	بكاء	١٢٦	٩	ذهب	ذهباً
٢٨	١٨	طلب من	طلب من تشانانا	١٤٥	٥	أن يوذا يتوزعوا	أن يتوزعوا
٣٠	١٩	رداءاً	رداء	١٥٣	١٠	صحيحا	صحيح
٤٣	١٠	يفضل الآخر	يفضل أحدهما	١٦٢	٣	وجداو	وجدال
٤٤	٧	قضاءا	قضاء	١٦٦	١٢	واختاوت	واختارت

الفهرست

* قصة بوذا : بحث علمى يعرض حياة بوذا مستمدة من المصادر الأولى.

* قصة بوذا : قصة أمير مل حياة القصور وسئم الترف والراحة واللهو فهجر القصر واعتزل الحياة بحثا عن السعادة الحقة .

* قصة بوذا : حياة زاهد ضحى بالثروة و الجاه والسلطان فى سبيل الخلاص من الآلام، والنجاة من المرض و الشيخوخة والموت .

* قصة بوذا : سيرة حكيم وضع دينا خلقيا بدون إله ولا شعائر ومعابد

* قصة بوذا : كتاب عن ناسك رسم طريقا صوفيا ليس فيه مكان لتعذيب الجسد

* قصة بوذا : دراسة عن جهاد بطل من أبطال الإنسانية فى عالم الحب والخير والأخاء والمساواة

* قصة بوذا : مؤلف عن صاحب عقيدة تنكر له مواطنوه فقدسه أكثر من نصف بليون نسمة فى سيلان و بورما و سيام وكمبوديا والصين والتبت وكوريا واليابان

كتب تحت الطبع للمؤلف :

١ ــ فلسفة تاجور

٢ ــ حول الفكر الإسلامى

ملتزم التوزيع مؤسسة المطبوعات الحديثة

الدار المصرية للطباعة